

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران



كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في لسانيات النص

إشراف الأستاذ:

د/محمد ملياني

إعداد الطالب:

بن يحيى ناعوس

لجنة المناقشة:

رئيسا	وهـران	جامعة	أ.د عبد القادر شرشار
مشرفا	وهـران	جامعة	د.محمد ملياني
مناقشا	وهـران	جامعة	د.محمد برونـة
مناقشا	مستغانم	جامعة	أ.د. منـخـطار لزعر
مناقشا	سعيدة	جامعة	د. مجاهد ميمون
مناقشا	مستغانم	جامعة	د. حمودي محمد

السنة الجامعية: 2013/2012م

الإهداء

- إلى والديّ الكريمين، رمز التضحية والوفاء.
 - إلى زوجتي وأبنائي.
 - إلى أستاذي الكريم د. محمد ملياني حفظه الله.
 - إلى كل الإخوة والأخوات.
- هدية تقدير واحترام، وعربون محبة وعرّفان.

بن يحيى ناعوس.

الشكر

أتقدم بأخلص الشكر والامتنان والتقدير لأستاذي المحترم الدكتور / محمد
ملياني، الذي منحني من وقته الثمين وعلمه النافع ما أعاني على إتمام هذا
البحث ... فقد كان لتوجيهاته السديدة وتصويباته الدقيقة أجمل الأثر في إخراج
هذا العمل على هذه الشاكلة.
... والله أسأل أن يحفظه لنا ولطلبة العلم نبراسا وعونا.

بن يحيى ناعوس

مقدمة:

مما لا يخفى على أي دارس، أن الدرس اللساني عرف تحولات كبرى خلال فترة الستينات، والدافع الكبير لهذه التحولات تساؤل عن حدود البحث اللساني وانحصاره في الجملة، مما أدى إلى بروز ما يسمى بلسانيات النص (Linguistique Textuelle).

وهو علم ناشئ، وحقل معرفي جديد، تكوّن بالتدرّج في السبعينات من القرن العشرين، وبرز بديلاً نقدياً لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر الحداثة، وما بعد الحداثة، وراح هذا العلم الوليد يطوّر من مناهجه ومقولاته حتى غدا أهم وافد على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد نشأ على أنقاض علوم سابقة له كلسانيات الجملة واللسانيات البنيوية والأسلوبية، ثم انطلق من معطياتها، وأسس عليها مقولات جديدة، وهو قريب جداً من صنوه تحليل الخطاب، غير أن هذا الفرع الأخير يقوم على أساس التحليل البنيوي، أما فرع لسانيات النص، حتى وإن استثمر جميع النظريات اللسانية السابقة عليه، فهو يقوم في الأعم الأغلب على أساس التحليل النصي، وأهم ملمح في لسانيات النص أنه غني متداخل الاختصاصات، يشكل محور ارتكاز عدة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع، ووجهات النظر، والمناهج والأدوات، والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم.

حددت اللسانيات المعاصرة جغرافية الخطاب عند حدود الجملة، حيث حظيت هذه الأخيرة بالاهتمام والدرس، بوصفها وحدة تتوافر على شرط النظام، وهي غير قابلة للتجزئة، وإذا أمعنا النظر في ماهية الخطاب على أنه ملفوظ يشكل وحدة جوهرية خاضعة للتأمل، فإننا نجد أنه ليس إلا سلسلة من الجمل المتتابعة التي تصوغ ماهيته في النهاية.

وهنا ظهر مأزق اللسانيات أو محدوديتها بتعبير أصح في معالجة إشكالية الخطاب، لأنها حصرت في نطاق الجملة التي يعرفها أندريه مارتيني (André Martinet) بأنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتامة للخطاب. غير أن هذا لا يفضي إلى عجز الدراسات اللسانية في عدم قدرتها على معالجة قضايا أكبر من الجملة، وبالتالي عدم عجزها عن تحليل الخطاب. فهناك تباين في

تحديد بنية الظاهرة اللغوية. فعلماء اللغة يعرفون الكلمة بأنها وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها، والجملة تتشكل من مجموع الوحدات التي يصح أن يقف بينها (الكلمات) بالإضافة إلى درجة الصوت والتنغيم والمفصل، ونحو ذلك مما يدخل في إيضاح المعنى.

يطرح هذا البحث جملة من الأسئلة المنهجية والمعرفية، تتمحور حول تحليل الخطاب وسر تغير آليات تحليل الخطاب عبر العصور الأدبية المختلفة؟

وعلى رأس هذه الأسئلة السؤال التالي: كيف يتم تحليل الخطاب من منظور لسانيات النص؟ وهل يمكن تطبيق ذلك على النص القرآني؟

وهل هناك من علاقة بين البلاغة وعلم النص "لسانيات النص" من جهة وبين الأسلوبية والبلاغة من جهة أخرى؟

كما هو معلوم، فإن لسانيات النص تهتم بقضية الاتساق والانسجام؛ لأنها ما يجعل النص نصاً، ويحقق للنص تماسكه جملة من العناصر اللغوية اللفظية كإحالة مثلاً، ومن هنا سيحاول هذا البحث تتبع أهم وسائل وآليات تماسك النص القرآن المتمثل في سورة البقرة، لكونها أطول سورة في القرآن الكريم.

ومن هنا، وجب التطرق لهذا الموضوع لمعرفة كيف حدث الانسجام والاتساق داخل المدونة التي اخترناها.

وهي دراسة تحاول الجمع بين المكتسبات المعرفية القبلية عند العلماء العرب الأقدمين وبين الدراسات النصية الحديثة.

وتعود دوافعي في اختيار هذا الموضوع إلى عدة أسباب أهمها:

1. ندرة الدراسات النصية التطبيقية للنصوص العربية لاسيما القرآن الكريم، ولاشك أنّ مما يميز هذه الدراسة أنّها خاضت تحليل نصّ مقدس (القرآن الكريم) في ضوء منهج لساني نصي.

2. الإسهام في ميدان التطبيق في علم اللّغة النصي

3. الرغبة المعرفية الملحة في معرفة خصائص الخطاب لقرآني من منظور الدراسات النصية الحديثة.

4. التطبيق في سورة البقرة لأنّها أول ما نزل في المدينة وآخر ما نزل.

انطلاقاً من القناعة السابقة الذكر فإنني أروم إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

1. رصد أهم وسائل اتساق النص وانسجامه من خلال تطبيقها في سورة البقرة.

2. زرع التقارب المفهوماتي في حقول تحليل الخطاب بين النقد القديم (البلاغة) والجديد (لسانيات النص).

3. محاولة تفسير طبيعة الصور البلاغية القرآنية وكيفية اشتغالها بإدخالها في نسق عام واستخراج البنية المشتركة بينها.

4. الربط بين البلاغة وعلم النص في نسق معرفي واحد وشامل لتسهيل عملية التواصل بين العلمين. علنا نبلغ إلى اكتشاف معانٍ أحر داخل النص الأدبي في شتى مظهراته الإبداعية والتحليلية.

وفيما يخص المنهج المقترح في هذه الدراسة والذي يتلاءم مع طبيعتها هو -في رأبي- المنهج الوصفي الاستنباطي التحليلي الذي يقوم على تتبع التطورات والتغيرات التي عرفت في هذا المجال

ثم ينتقل إلى عملية الاستنباط والاستدلال الإستنتاجي على الأحكام وفيه ينتقل الفكر من العام إلى الخاص ومن المبادئ إلى النتائج ليشكل لنا في الأخير صورة مركبة.

هذا وقد قسمت خطة البحث إلى ثلاثة فصول: فصلا ن يهتمان بالجانب النظري وفصل يولي أهمية الجانب التطبيقي، بالإضافة إلى المقدمة والمدخل والخاتمة والفهارس على الشكل الآتي:

المقدمة

المدخل: العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص، حيث نحاول أن نبين أهى علاقة تنازع وانفصال أم ترابط و اشتمال؟

أما في الفصل الأول فيتحدث عن لسانيات النص بين التأسيس والآفاق، ذاكر الماهية لهذا العلم، ثم يتحدث عن أهم المدارس النصية عند الغرب، وينتقل في النهاية للحديث عن علاقة العرب بهذا العلم.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن تحليل الخطاب بين البلاغة والأسلوبية، فيذكر في البداية العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، ثم يدلف بالحدث عن تحليل الخطاب من منظور الدراسات البلاغية، ويختتم بالحديث عن تحليل الخطاب من منظور الدراسات الأسلوبية. وأما الفصل الثالث فيهتم بظاهرتي الانسجام والاتساق تعريفا ثم تطبيقا على سورة البقرة، المدونة التي اخترناه في هذا البحث، وفي الخاتمة نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد واجهت، أثناء البحث، جملة من الصعوبات على رأسها قلة المراجع العربية التي اهتمت بتحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، وإن وجدت فإنما هي تكرر فكرة واحدة ليس إلا، أو ترجمة لما كتبه غيرنا، وفوق ذلك قلة الدراسات التطبيقية.

ويحاول هذا البحث ذكر أهم خصائص وآليات الاتساق والانسجام للنص القرآني، من خلال اختيار مدونة واحدة وليس كما نجده في بعض الكتب التي طبقت في السور القرآنية ظاهرة واحدة فقط.

وبعدُ فهذا جهد المقل، فإن بلغ غايته من الصّواب فبتوفيق من الله وحده، فله الحمد والمنّة، وإن أخطأت فمن نفسي ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وحسبي حسن نيتي، والله لا يضيع أجر المحسنين، وأسأل الله الكريم أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم..

بن يحيى ناعوس

وهران 2012/08/02

توطئة:

تبرز أهمية هذا المدخل في كون أن العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص تشعبت فيها الآراء وتنوعت، ولهذا سنحاول الوقوف على رأي جامع نعتمده في البحث، وهذا أمر يفرض علينا العرض الموجز لأهم تعريفات بعض المصطلحات، التي نرى ضرورة عرضها في بداية هذه الدراسة لنستقر على تعريف واحد، لكل مصطلح، نعتمده في هذا البحث.

والجملة هي أول مصطلح نبدأ به، حيث جاء في (مقاييس اللغة) "الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمّع وعِظَم الخلق، والآخر حُسْنٌ. فالأول قولك أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ، وهذه جُمْلَةٌ الشَّيْءِ.

وأجمَلْتُهُ حصَلْتُهُ"¹. وقد ورد لفظ الجملة في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً"² للدلالة على الجمع.

ونجد في (القاموس المحيط) "والجُمْلَةُ، بالضم: جماعة الشيء"³. والجملة لغة كما ورد في الصحاح قوله: "الجملة واحدة الجمل وأجمل الحساب رده إلى الجملة"⁴. وفي لسان العرب: "الجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء وأجمل الشيء جمعه عن تفرقه، أجمل الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب وغيره"⁵. وفي مختار الصحاح: "الجملة واحدة الجمل، وأجمل الحساب رده إلى الجملة"⁶.

¹ - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، البابي الحلبي، مصر 1969م، مادة (جملة).

² - سورة الفرقان/32.

³ - القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج1، مادة (جمل).

⁴ - الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3/03/1984، مادة (جمل).

⁵ - لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ - 1994م، مادة (سنم) (308-306/12). ص1128.

⁶ - مختار الصحاح: الرازي، محمد ابن أبي بكر، دار عمار، عمان، ط1، 1417هـ - 1996م مادة (جمل).

وجاء معناها في القاموس المحيط: "والشيء جمعه عن تفرقه والحساب رده إلى الجملة"¹. وفي تاج العروس: "الجملة بالضم جماعة الشيء، وكأنها اشتقت من جماعة الحبل لأن قوة كبيرة جمعت فأجمعت جملة، وقال الراغب: "واعتبر معنى الكثرة فقبل لكل جماعة غير منفصلة جملة، قلت: "ومنه أخذ اللغويون الجملة لمركب أسندت إحداهما للأخرى"².

ومعنى الجملة لغة، في كل ما ورد، لا يخرج عن كونها تدل على جمع الأشياء عن تفرقها، وأنها جماعة كل شيء. ويتفق ابن هشام (761هـ) مع ابن الحاجب (646هـ) في ذلك ويقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره: كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما. وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما توهم كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى: جملة. والصواب: أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعونهم يقولون: جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام"³.

وبعدما عرفنا الجملة نذكر فيما يلي تعريفات للنص، وللوقوف على معاني كلمة (نص) فإننا سنتبعها في المعاجم العربية، قديمها وحديثها، فقد أورد الفيروزآبادي في مادة (نصص) قوله: "(نص) الحديث رفعه، وناقته استخراج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان ينصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً: استقصى مسأله عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوّت على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجملة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نصّ ونصيص جد رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى: أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو قدرن على الحقائق

¹ - القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ج1، مادة (جمل)، مصدر سابق.

² - تاج العروس: الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، سنة 1888، مادة جمل.

³ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري: طبع دار الشام للتراث، بيروت، د. ت. ص 490.

وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغره، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نضاص أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه: استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله والبعر أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض¹.

وفي مختار الصحاح للرازي مادة (ن. ص. ص) " في حديث علي رضي الله عنه: " إذا بلغ النساء نص الحقاق " يعني منتهى بلوغ العقل و(نصنص): الشيء: حركه. وفي حديث أبي بكر، رضي الله عنه، حين دخل عليه عمر، رضي الله عنه، وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد².

وفي لسان العرب لابن منظور: " (النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه. وكل ما أظهر فقد نُصَّ. ووضع على المنصة: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور ومنه منصة العروس. وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام³.

لقد تطور تعريف النص، ولم يقتصر الأمر بالنسبة لتعريفه على ما ورد في المعاجم القديمة، وأصبحت المعاجم الحديثة تعرفه بشكل أشمل وأكثر إجرائية كما في معجم المصطلحات اللغوية لخليل أحمد خليل الذي يعرف النص (Text) بأنه:

يعني في العربية الرفع البالغ ومنه منصة العروس، كما بينا، وهو كلام مفهوم المعنى فهو مورد ومنهل ومرجع.

¹ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ج1، مادة (نص)، ص 858، المصدر السابق.

² - مختار الصحاح: الرازي، مادة (نص)، ص 381-382، المصدر السابق.

³ - لسان العرب: ابن منظور، ج13، مادة (نص)، ص 97-98، المصدر السابق.

التنصيص المبالغة في النص وصولاً إلى النص والنصيصة.

النص (Textus) هو النسيج، أي الكتابة الأصلية الصحيحة، المنسوجة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes) والشروحات والتعليقات (Commentaires).

النص: المدونة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصه، أي في أصله الموضوع.

النص كل مدونة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النص المشترك (Co- Texte).

سياق النص، مساقه، أجزاء من نص تسبق استشهداً، (Citation)، أو تليه، فتمده بمعناه الصحيح. يقال: ضع الحدث في سياقه التاريخي. أي: في مكانه الصحيح.

التساوق (Contexture) هو التوافق بين أجزاء الكل: تناسق القصيدة، تساوق الكلام¹.

ولكي نوضح أهم خصائص النص ووظائفه نسوق في هذا المجال تعريفاً لسانياً معاصراً، فقد عرفه محمد مفتاح بأنه مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة؛ وهذا يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

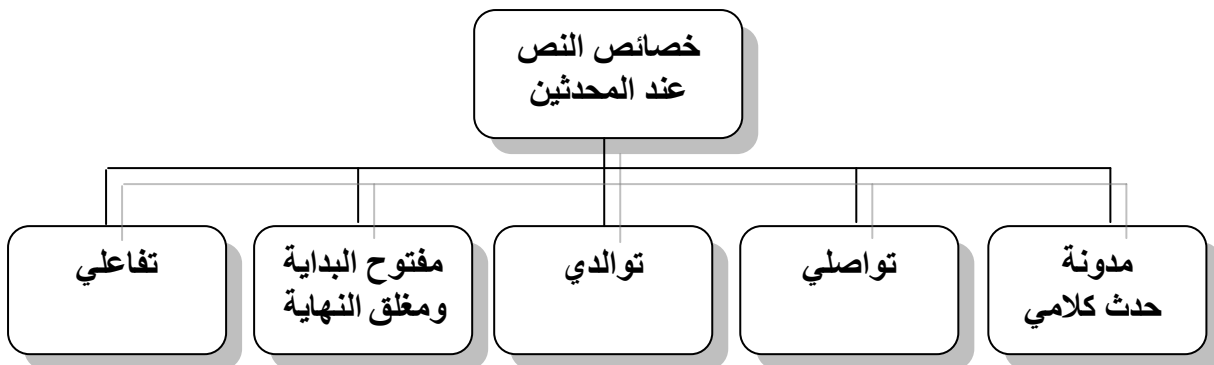
ويرى أيضاً بأنه حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي؛ وهو ذو صبغة تواصلية، لأنه يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب... إلى المتلقي؛ على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

¹ - ينظر معجم المصطلحات العربية: خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص136-137.

وهو فوق ذلك مغلق، ويقصد بالانغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية توالدي لأن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له¹.

ومن الخصائص الأخر لهذه البنية اللغوية (النص الأدبي)، أنها "مفتوحة البداية ومغلقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية. ولذلك فإن القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التعبير. إنّ القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النور أو كهطول المطر وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة وكأنها مد لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنها كذلك لأنها نص يأتي ليتداخل مع سياق سبقه في الوجود. وكذلك فالنص مفتوح وهو بنية شمولية لبني داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص ثم إلى النصوص الأخرى ليكون بعد ذلك: (الكتاب امتداداً كاملاً للحرف"²، هذا هو الامتداد الطبيعي والفني للنص الأدبي بصفة عامة.

وهذا المخطط يجمل لنا جميع خصائص النص عند المحدثين:



¹ - تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص - د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 120.

² - الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1985، ص 90.

ومن خلال هذا المخطط، نلاحظ أن حركية النص وتشعب معانيه، بين القديم والحديث، تجعلنا نبحث عن سر دينامية النص، وتأكيداً على إجرائيته وسعيًا به إلى أقصاه فقد أوضح الغدامي أن النص "كلي في حركة مرحلية لأنه نص بنيوي، والبنية شمولية / ومتحولة / وذات تحكم ذاتي والنص يتحرك داخلياً بحركة مفعمة بالحياة كي يكون بنية الوجودية، ليكون له هوية تميزه. فإذا ما تميز فإنه يتحرك كاسراً لحواجز النصوص ليدخل مع سواه في سياق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجراتها"¹ في تناغم شامل يجمع بين الصورة الجميلة والمعنى الواضح، إلا أن هذا يدفعنا لطرح السؤال التالي: كيف نفسر حقيقة التداخل بين النص والجملة؟

بين النص والجملة:

استناداً على التعريفات السابقة، فإن النص والجملة يدخلان في إطار ثنائيات ضديّة: فالجملة وحدة نظرية نظاميّة، إطارها اللّغة، وتنطلق من قدرة لغويّة، وممكن لنا أن نعرّفها "بأثما عبارة عن فكرة تامّة، أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكّنة"².

وأما النصّ فهو وحدة إجرائية استعمالية، إطارها الكلام، وتنطلق من إنجاز لغوي أو قدرة تواصلية، وهو أيضاً "الصّيغة المنطوقة أو المكتوبة التي صدرت عن المتكلّم أو المؤلّف في موقفٍ ما، قاصداً دلالة ما وهذه الصيغة قد تكون لفظاً، أو إشارة، أو جملة، أو متتاليات من الجمل المترابطة"³.

وعلى هذا، فإن جل الدراسات اللسانية النصية، في حدود علمي، اعتمدت هذا التداخل بين النص والجملة حيث: بنوا تعريفهم للنصّ ولسانيات النصّ على الجملة ونحو الجملة، واتخذوا النصّ مطيّةً للانتقال إلى الحديث عن ظواهر الانسجام والترابط بين الجمل المنجزّة في إطار مقامٍ مُعيّن. وتحدّثوا عن حدود النصّ أي بدايته ونهايته، عن عنوانه واستهلاله وعلامات نهايته. وعن

¹ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغدامي، المرجع السابق، ص 90.

² -نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس التحوي: د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، 2001م/17/

³ -التماسك النصّي في الحديث الشريف: د. عبدالعزيز فتح الله عبد الباري،

مكوّناته أي عناصره التي يتأسس عليها كالجملّة والقول المنجز والقضيّة... أي من مكوّنات أصغر من الجملة، ومكوّنات جُمليّة، ومجموعة جمل، ومجموعة أقوالٍ استعملها المتكلم.. ومن شروط قيام النصّ: أنّه صياغة لغويّة متكاملةً مستقلّة، تتحقّق بشروط:

- استقلال النصّ وحدوده الفاصلة: الصّحّة النّحويّة لكلّ جملة من جمل النصّ (أو فسادها) لا تقتضي بالضرّورة صلاح النصّ (أو فساده) من حيث هو كلّ.

- البنية: وجوبُ توفّرِ شروطِ البنية مثل الائتلاف والانسجام والتّرايط والاتّساق...
- المقصدية (Intentionnalité): يجب أن تخضع المتواليّة في النصّ لقصد المتكلم وتبيته. : ويعني بها موقف منتج النصّ لإنتاج نص متماسك و متناسق، باعتبار منتج النصّ فاعلا في اللغة مؤثرا في تشكيلها وتركيبها. وأن مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها. ويظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للإتساق والانسجام، ومع عدم التخطيط إلى الغاية المرجوة.

- المقبولية (acceptabilité) وهي وَقْفٌ على تعاوُن المُتقبِّل واستعداده، ويقصد بها موقف متلقي النصّ تجاه كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ تتوفر فيه عناصر الاتساق والانسجام. وللقبول مدى من التّغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج.¹

- الوظيفة: أن تكون جُمْل النصّ ذات وظيفة تواصلية.

- الإفادة (informativité) أو الإعلامية: ويشار بها إلى ما يحمله النصّ من المعلومات التي تهم السامع أو القارئ، وهو العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية في مقابل البدائل الممكنة، والواقع أن كل نصّ يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال، فهو يوصل على الأقل معلومات محددة، غير أن مقدار الإعلامية هو الذي يوجه اهتمام السامع. إذ يمكن أن تقود الإعلامية إلى رفض النصّ، إذا كان هذا الأخير يحمل حداً منخفضاً من المعلومات.

¹ - ينظر: النص والخطاب والإجراء: روبرت ديوجراندي، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103

- المناسبة المقامية (Situationalité): أن يكون النص مفيداً في مقام معين.
- التناس (intertextualité): ويعني به العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وبصورة أدق ارتباط النص بنصوص متقدمة، يتم التعرف إليها بخبرة سابقة.

- الإعلامية: ويشار بها إلى ما يحمله النص من المعلومات التي تهتم السامع أو القارئ وهو العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية في مقابل البدائل الممكنة والواقع أن كل نص يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال، فهو يوصل على الأقل معلومات محددة، غير أن مقدار الإعلامية هو الذي يوجه اهتمام السامع. إذ يمكن أن تقود الإعلامية إلى رفض النص، إذا كان هذا الأخير يحمل حداً منخفضاً من المعلومات¹.

نحو الجملة ونحو النص:

يحرص علماء اللغة النصيون على توضيح أهمية نحو النص من حيث كونه لا يقتصر على دراسة الجملة بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعاتها ومظاهر انسجامها، محاولين إبراز أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص في النقاط الآتية:

- 1 - تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي (النحو)، في حين يعد النص نظاماً واقعياً، تكوّن من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.
- 2 - تتحدد الجملة بمعيّار أحادي الذي هو "علم القواعد"، ومن نظام معرفي وحيد أي علم اللغة، في حين تتحدد نصية النص بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية².

¹ - ينظر: النص والخطاب والإجراء: روبرت ديوجراندي، ترجمة تمام حسان، المرجع السابق، ص 105، 104.

² - ينظر مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر: د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 م، ص 10.

- 3 - تكون الجملة قواعدية" أو لا تكون جملة البتة. أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة"¹.
- 4 - يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص في حين يضعف تأثير الجملة بهذه المؤثرات.
- 5 - يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضي له صفة العمومية، أما استغلال النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.
- 6 - يقوم نحو الجملة "بدراسة الجمل معزولة عن سياقها أو الجملة المصنوعة، وهو يؤمن باستقلالية الجملة"²، وهذا ما لا نجد في نحو النص، فهو يدرس العلاقات بين الجمل فالنصيّة تستمدّ من علاقة التماسك الذي تتعلّق أجزاءه بعضها ببعض لتكونَ كتلةً واحدة.
- 7 - يعدّ النص حدثًا يوجهه المرسل إلى المستقبل؛ لإنشاء علاقات متنوعة، وتوصيل مضامين يعينها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعدية، في حين لا تُعنى الجملة إلا بالعلاقات القواعدية؛ ومن ثم فهي لا تمثل حدثًا.
- 8 - تتخذ الجملة شكلها المعين وفقا للنظام الافتراضي المعلوم، في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء.³
- 9 - يهتمّ نحو الجملة "بالقاعدة ومعياريّتها، أمّا نحو النصّ أبعد ما يكونُ عن المعياريّة، فهو ينشأ بعد أن يكتمل النصّ"⁴.

¹ -لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب: د. محمد خطايي: المركز الثقافي العربي، بيروت 1991 م، ص 13 .

² -نحو النصّ: اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، ص73، المرجع السابق.

³ -ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، المرجع السابق، ص 89

⁴ -نحو النصّ، د. أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص74.

10 - لا يبحث علم نحو الجملة في الجملة من البلاغة وأثره في السامع، "بينما نحو النص فجلُّ عمله هو البحث في تلك الأمور"¹. ولذلك في عهد علمائنا القديم ظهر نحو النص بشكل واضح لديهم عند تفسيرهم للقرآن الكريم، فهذا السيوطي (991هـ) ينقل عن ابن العربي (638هـ) "ارتباط أي القرآن بعضها البعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"².

11 - يتجاوز نحو النص "المقروء إلى المكتوب وبالعكس، فهو يرى الكلمات المستخدمة وعلاقتها بالمضمون، لذلك يبحث في مناسبة النص، وهذا ما لا تجده في نحو الجملة"³.

12 - إن النص نظام فعّال ولهذا ينعت عند النصانيين بـ "Actual System" على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي Virtual System . والجملة كيان قواعدي Grammatical خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، أما النص فحقه أن يعرف تبعاً للمعايير الكاملة للنصية Textuality. وإن قيود القواعد المفروضة على البنية التحريرية للجملة في النص يمكن أن يتم التغلب عليها Be overdid in بواسطة الاهتمام بتحفيظات تعتمد على سياق الموقف - Context Dependent motivations فالعناصر التي يمكن فهمها من الموقف مثلاً من خلال الإدراك الحسي يمكن السكوت عنها أو اقتضاها بواسطة المتكلم دون ضرر يعود على الطاقة الاتصالية للنص. وهكذا لا ينبغي للصواب النحوي أن يعد قانوناً بل أن يعد تعويضاً Default أي معياراً يلجأ إليه فقط عند عدم وجود قرائن محددة، أو هو تفضيل Reference أي معيار يفضل على غيره حينما تتعدد الاحتمالات"⁴.

والحق أن هذا الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص لا يتناسب مع الواقع الفعلي لكونهما متكاملين؛ وذلك لأن النص ما هو إلا "مجموعة من الجمل، فكما أن الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل

¹- المرجع نفسه، ص75.

²- الانتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 2، دمشق دار ابن كثير، 1993م / ج 2، ص 977.

³- نحو النص: د. أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص76.

⁴- النص والخطاب والإجراء، روبرت دوجراندي، ترجمة تمام حسان، المرجع السابق، ص89.

النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك مطلقاً في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة "الفونيمات، والمورفيمات، واللكسيمات، والمركبات الاسمية والجملة"¹ بل على العكس يجب أن تستمر مثل هذه "الدراسات وتقوى حتى تقوم بدور في تشكيل نحو النص؛ ومن ثم لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر؛ ومن ثم ينظر إلى دراسات نحو الجملة على أنها تمهيد ضروري لدراسة نحو النص؛ ومن ثم فهما متكاملان².

ويؤكد هذا الاتجاه التكامل بينهما كون نحو النص يشترك مع نحو الجملة في تحليل مواد لغوية ذات صفات مشتركة، منها:

1- أن كلا الاتجاهين يخللان البنية النصوص، وهكذا نستطيع أن نصمم أنموذجاً النحو واحد يعالج بنية الجملة وبنية النص من خلال توسيع وتطوير النظام الذي يحدد بنية الخطاب.

2 - النصوص مثلها مثل الجمل ذات معنى. لقد أثبت (دي بوجراند 1980 م) أن العلاقات الدلالية في الجملة يمكن أن تقوم أيضاً بين الجمل في نص ما.

3 - فكما تقوم العلاقات الإحالية بين العناصر في الجملة يمكنها أن تكون ضمن العناصر في جملتين منفصلتين في النص؛ وهذا يستدعي وجود معالجة نحوية واحدة لكلتا الحالتين؛ كما يس تدعي ذلك من المؤيدين لنحو الجملة السعي إلى تطوير نموذجهم على أساس تجريبي³.

4- ومن جهة أخرى أن السامع عندما يتلقى نصاً ما" يستدعي له بنيتين: داخلية تعتمد على الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما بغيره، وخارجية تكمن في مراعاة المقام المحيط

¹ - مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1999م، ص7.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص8.

³ - نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو النص: د. مازن الوعر، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد385/2003.

بالنص؛ ومن ثم فلا فصل بينهما عند المتلقي، ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني تأكيداً على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه¹.

العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص :

تنازع وانفصال أم ترابط واشتمال؟:

وخلاصة لما سبق تبيانه، سنذكر أهم الآراء التي قيلت في العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص وفق الترتيب التالي:

أ- الانفصال:

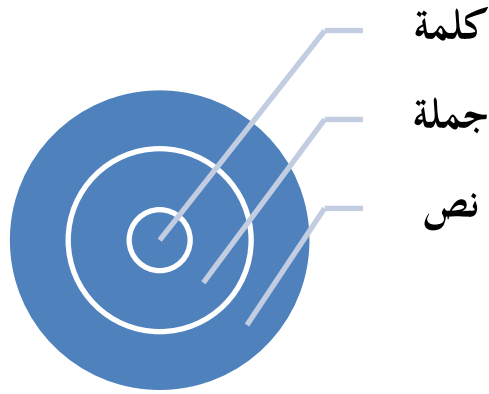
من خلال الدراسة لجملة من البحوث وجدنا أن بعض الباحثين ذهب إلى وجوب الفصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النص باعتبارهما كيانين متقابلين منفصلين.

ب- الاشتمال:

في حين وجدنا أن فريقاً آخر ذهب إلى أنّ نحو النصّ يتضمّن نحو الجملة تبعاً لتضمّن النص للجملة، فكل ما دخل في موضوع لسانيات الجملة فهو داخل في موضوع لسانيات النص، والعكس غير صحيح، وعلى هذا فإنّ العلاقة بهذا الاعتبار تتحوّل من القيام على التّكامل إلى القيام على التّضمّن، أي تضمّن الكلّ - وهو نحو النص - للجزء وهو نحو الجملة وذهب Van¹ "Dijk, 1972" المذهب نفسه.

وهذا ما يوضحه هذا المخطط:

¹ - نحو النصّ، د. أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص76.



وعليه، فإنه لا نستطيع أن نجعل الجزء يحوي الكل، وعلى هذا فالعلاقة هي علاقة احتواء الكل للجزء وليس العكس.

ج- استيعاب معكوس:

ورغم ما سبق، إلا أننا وجدنا رأياً ثالثاً يذهب إلى استيعاب الجملة للنص، والمنطلق فيه تقدير أفعال في البنية العميقة تمثل فيها مكونات عملية القول، ففي بداية كل جملة أو نص يتم الانطلاق من تقدير فعل القول، فيصبح للنص محل في الجملة يتحكم فيه فعل القول، ويترتب على هذا الاعتبار انضواء النص في شكل الجملة باعتباره مكوناً من مكوناتها.

ومن هنا، يمكن، إذا لم نأخذ الرأي الثالث في الاعتبار، أن نرجع لسانيات النص إلى اتجاهين:

-أولهما ينطلق مما استقر في لسانيات الجملة ليتصدى لدراسة الظواهر التي تتعدى الجملة، ويدخل في الاتجاه هاليداي (Halliday) ورقية حسن وإيزنبرغ (Isenberg) وبرنكر (Brinker) -وأما الثاني فيتناول النص من حيث هو كل، ويدرسه باعتباره منطلقاً، ويدرس تركيبه وصياغته. ويمثل هذا الاتجاه فان ديك (Van Dijk)، ويذهب هذا الاتجاه إلى أن تكون النص ليس إلا مرحلة تمهيدية للسانيات النص يتم بها عبور الحدود الفاصلة بين الجملة والنص. بين الخطاب والنص.

بعد حصر أهم تعاريف الجملة والنص وعلاقتها سأذكر فيما يلي علاقة النص بالخطاب، لأن حديثنا في هذا البحث سيركز على تحليل الخطاب إن على المستوى النظري أو المستوى التطبيقي، وهذا لدرء اللبس، في هذه الدراسة على الأقل، بين المصطلحين.

إذا كان من اليسير تحديده مفهوم الجملة بشيء من الدقة، نظراً لما تراكم من أدبيات وكتابات في نحو الجملة قديماً، وفي لسانيات الجملة والتكريب حديثاً.

فإن مفهوم الخطاب لم يحظ، على كثرة التداول، بتعريف قارٍ، ويزداد الأمر غموضاً عندما يتعاقب في الاستعمال مصطلحان اثنان هما الخطاب (Discours) والنص (Texte)، وكأتهما مصطلحان مترادفان.

وسأبين، في هذا الإطار، أهم تعريفاته، ففي الكافي لمحمد الباشا، الخطاب: "مصدر خاطب: المواجهة بالكلام، ويقابلها الجواب - الرسالة. والخطابة مصدر خطب: عمل الخطيب وحرفته. والخطب: مصدر خطب: الحال والشأن. " قال فما خطبكم أيها المرسلون"¹ الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه. (ج) خطوب. الخطبة: مصدر خطب: ما يخطب به من الكلام"².

ونجد في معجم المصطلحات العربية الخطاب "الرسالة Letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية- سواء أكتب نظماً أو نثراً - أو من المقامة في الأدب العربي"³.

¹-سورة الذاريات/ 31، سورة الحجر/57.

²-الكافي: معجم عربي حديث: الباشا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ص 414.

³-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، المصدر السابق، ص 90.

وفي المعجم الوسيط: "خاطبه) مخاطبة، وخطاباً: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجه إليه كلاماً، والخطاب الكلام وفي القرآن الكريم: " فقال اكفليها وعزني في الخطاب"¹.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: " وفصل الخطاب"؛ قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده، وقيل: فصل الخطاب أما بعد، وداود عليه السلام، أول من قال: أما بعد؛ وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء..."².

وفي القاموس المحيط: "خ.ط.ب: (الخطب) الشأن. والأمر صغر أو عظم ج خطوب (...)، والخطاب - كشداد: المتصرف في الخطبة، واختطبه: دعوه إلى تزويج صاحبته. وخطب على المنبر خطابه بالفتح، وخطبة بالضم، وذلك الكلام خطبة أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخطبة بالضم..."³.

أما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب "مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية **Discours** وفي الإنجليزية **Discourse**، وتعني حديث، محاضرة، خطاب، خاطب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدث إلى"⁴. وفي معجم أوكسفورد الموجز للغة الإنجليزية، يعرف الخطاب بأنه:

"عملية الفهم التي تمر بنا من المقدمة حتى النتيجة اللاحقة.

الاتصال عبر الكلام أو المحادثة، القدرة على المناقشة.

سردي.

¹ -المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة مصر، ج1، 1960، مادة (خطب)، الآية من سورة ص:23.

² -لسان العرب المحيط: ابن منظور، م 1، الخاء، ص ص 855-856، المصدر السابق.

³ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، م 2، حرف الخاء، ص: 75-76.

⁴ -قاموس الياس العصري: الياس انطون الياس، دار الجليل، بيروت، 1972، ص191.

تناول أو معالجة مكتوبة، أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو أطروحة أو موعظة أو ما أشبه ذلك.

الاتصال المؤلف، المحادثة.

أن يقوم بخطاب تعني أن يتحدث ويناقد مسألة ما.

أن يتكلم أو يكتب بشكل مطول عن موضوع ما.

أن يدخل في نقاش منطوق أو مكتوب، أن يجبر، أن ينطق.

أن يتحدث مع، أن يناقد مسألة مع، أن يخاطب شخصاً ما.

المخاطب هو الذي يخاطب، المخاطب هو الذي يفكر.

عملية أو قدرة أو مقدرة التفكير على التوالي منطقياً، عملية الانتقال من حكم لآخر بتتابع منطقي، ملكة التفكير¹.

ونستخلص من هذا التعريف بأن الخطاب يشمل المنطوق والمكتوب، وفي هذا تلاقٍ كبير، من حيث المعنى، بين النص والخطاب.

وفي معجم المصطلحات الأدبية الحديثة لـ (محمد عناني): "الخطاب ومعناه" اللغة المستخدمة (أو استخدام اللغة) **Language in use** لا اللغة باعتبارها نظاماً مجرداً. و يقول مايكل ستابز (Stubbs) تعليقاً على استخدام مصطلحي النص والخطاب **Text and discourse** في كتابه "

¹ - ينظر : The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles. p563

تحليل الخطاب " (1983) إن ذلك كثيراً ما يتسم بالغموض ويبحث على البلبلة. وهو يقول إن الخطاب كثيراً ما يوحي بأنه أطول وبأنه قد يتضمن أو لا يتضمن التفاعل"¹.

ومن هنا، وجدنا بعض اللغويين يعتبرون أن الكلام الذي يقال "في حلقة دراسية Seminar يمثل كله خطاباً، بمعنى عملية تبادل للأفكار تكتسي ثوباً لفظياً، على حين يعتبر آخرون أن بياناً واحداً في الحلقة يعتبر خطاباً، طال أو قصر. كما يختلف اللغويون في إمكان " جمع " الخطاب، فبعضهم يقول إنه يجمع (خطابات) والبعض الآخر يقول إنه يجمع وغير قابل للعد والإحصاء، ويذهب فريق ثالث إلى إمكان جمعه في أحوال معينة. فإذا كان الخطاب " يجمع " فسوف تكون المشكلة التالية هي البت فيما يشكل حدود تعريف الخطاب الواحد، ويقول ستانز إن وحدة خطاب محدد يمكن تعريفها من حيث البناء أو الدلالة أو الوظيفة"².

ويرى (جيرالد برنس Gerald Prince) بأن للخطاب معنيين منفصلين في إطار نظرية السرد: الأول هو المستوى التعبيري للرواية لا مستوى المضمون، أي عملية السرد لا موضوعه، والثاني يتضمن التمييز بين الخطاب والقصة Story (وبنفتيس Benveniste) يستخدم الخطاب و *histoire* في كتابه بالفرنسية، لأن الخطاب كما يقول ستانز يوحي بعلاقة بين " حالة أو حادثة وبين الموقف Situation الذي يوحي فيه لغوياً بهذه الحالة State أو الحادثة Event أي إن التعريف هنا يستند إلى التفرقة بين الخبر والإخبار به، أو بين الواقعة والإبلاغ عنها، مما يماثل الفرق بين *enonciation* و *enonce*.

ويفضل بعض كتاب الإنجليزية الاحتفاظ بالصورة الفرنسية للكلمة أي دون حرف ال(e) الأخير عند استخدام الخطاب بالمعنى الذي استخدمه فيه (بنفتيس *benvenisit*)³.

¹ -المصطلحات الأدبية الحديثة: د. محمد عناني، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان، ط1، 1996، ص09.

² -معجم علم السرد: جيرالد برنس، المترجم: عابد خزندار، المراجع: محمد بري، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة - مصرالطبعة: الأولى2003، ص5.

³ -ينظر: المصدر نفسه، ص47.

فالخطاب على ما سبق، هو بيان كلامي سردي تعبيرى عن كل ما يختلج في ذهن المرسل، بل يمثل مجموعة كبيرة من الأقوال أو العبارات والتي نعني بها مساحات لغوية تحكمها قواعد، وهي القواعد التي تخضع للاحتتمالات الاستراتيجية. ومن ثم فإن فوكو (foucault) إنه في لحظة معينة من تاريخ فرنسا مثلاً سيكون هناك خطاب معين (أي لغة معينة) للطب - ويعني بها هنا مجموعة من القواعد والأعراف والنظم (نظم التوسط mediation) التي تحكم أسلوب الحديث عن المرض والعلاج، ومتى يكون ذلك وأين وعلى أيدي من؟ ولكن المشكلة، لا تزال قائمة وهي كيف نضع حدود خطاب معين؟ ويرجع أحد جوانب المشكلة إلى استخدام فوكو لتعبير Discursive formation بطريقة توحى بأنه يمكن أن يعنى تقريباً ما يعنيه " الخطاب"؛ إذ إن كلمة discursive هنا تستعمل صفة من discourse لا بمعناها المؤلف أي باعتبار صفة من اللف والدوران.¹

وهذا ما دفع ناقداً آخر هو جون فراو Jone Frow يقترح استخدام تعبير بديل عنه وهو "عالم الخطاب" universe of discourse ويقدم نماذج له من أنواع الخطاب الديني والعلمي والبراجماتي والتقني اليومي والأدبي والقانوني والفلسفي والسحري، وما إلى ذلك بسبيل، ويفرق بين ذلك كله وبين أنواع الخطاب genres of discourse التي يعرفها، استناداً إلى فولو شينوف بأنها "مجموعات من الملامح الشكلية والسياقية والموضوعية، ذات أبنية معيارية، أو "طرائق الحديث" في موقف من المواقف"².

وتأكيداً على المعنى السابق، يقول فوكو (foucault): "إن لكل مجتمع وسائله في" ضبط أنواع الخطاب فيه، واختيار بعضها وتنظيمه وإعادة توزيعه، وأن الهدف من هذا" الضبط " هو تفادي " الأخطار والقوى".³

¹ - ينظر حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط. الثانية 1987، ص 37.

² - الماركسية والتاريخ الأدبي: جون فراو Jone Frow، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي - المغرب، 1968م، ص 57.

³ - حفريات المعرفة: ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 52.

وهذه الوسائل تتحكم فيما يطلق عليه فوكو تعبير **discursive practices** (ممارسات الخطاب) و **discursive strategies** (استراتيجيات الخطاب) و **discursive objects** (أهداف الخطاب) بحيث تتضح الملامح المنتظمة للخطاب **discursive regularities** في كل حالة.

وتعلق ليندا نيد (Lynda Nead) على استخدام فوكو لهذا المصطلح قائلة إنه يتسم بعدم الاتساق ومن ثم فإن المرء لا يثق فيما يعنيه المصطلح على وجه الدقة حتى داخل كتاب واحد أو مقال واحد من مقالات فوكو، وهي تدلل على ذلك بتحليل استخدامات فوكو للمصطلح في كتاب "تاريخ النزعة الجنسية" **History of Sexualit**.¹

وإذا نظرنا إلى المعجم الصغير الملحق بكتاب باختين "الخيال الحوارية" وجدنا أن كلمة الخطاب تستخدم ترجمة للكلمة الروسية **Slovo**، التي قد تعني كلمة واحدة، أو طريقة في استخدام الكلمات توحى بدرجة ما من السلطة.

ونلاحظ بأن المعنى هنا ليس بعيداً عن معاني فوكو (**foucault**)، فخطاب الثقة أو حديث الثقافات **authoritative discourse** هو اللغة ذات المزايا التي تأتينا من خارجنا، وتفصلنا عنها مسافة، وهي محرمة، ولا تسمح بالمساس بسياق إطارها". أما خطاب الإقناع الداخلي **Internally persuasive discourse** فهو الخطاب الذي يستخدم نفس ألفاظنا ولا يقدم نفسه في صورة "الآخر" أي باعتباره ممثلاً لقوة أجنبية، أي غريبة عنا. وأما الخطاب السامي **ennobled discourse** فهو الذي أضفي عليه الطابع "الأدبي" وأصبح رفيعاً وليس في متناول أيدي الجميع.²

ويورد تودوروف (Todorov) في كتابه عن باختين (**Bakhtin Mikhail**) مقتطفات من كتاباته تدل على الاختلافات القائمة بين شتى معاني الكلمة لديه (أو ما يقابلها بالروسية) — منها " الخطاب"، أي اللغة في مجموعها المجسد الحي، و"الخطاب، أي اللغة باعتبارها ظاهرة مجسدة كلية"، و"الخطاب، أي النطق" (بالروسية) **vyskazyvanie**. ويصر باختين على أن الخطاب يعني اللغة المجسدة الحية ذات الشمول والاكتمال، وينكر أنها اللغة " باعتبارها موضوع

¹ - ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة: د. محمد عناني، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، المصدر السابق، ص25.

² - المصدر نفسه، ص26

دراسة علماء اللغة والتي يعرفونها من خلال عملية تجريد ضرورية ومشروعة من شتى جوانب الحياة العملية للكلمة".¹

والواضح، كما يرى هوثورن (Howthorne)، أن الإيديولوجيا بشتى تعريفاتها، من "الجيران الأقربين" للخطاب طبقاً لمفهوم فوكو وباختين. ولم ينس تودوروف أن يأتي بمصطلحين جديدين هو الآخر للحاق بأسرة الخطاب، هما الخطاب الأحادي التكافؤ **monovalent discourse**، والخطاب المتعدد التكافؤ **polyvalent discourse** ".²

وخلاصة الأمر، فإن مصطلح الخطاب قد تجاذبته اتجاهات متعددة، إلا أننا يمكن أن نستقر على الجمع بين الخطاب والنص من حيث الدلالة.

لأن النص ما هو إلا وحدة معقدة من الخطاب، إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب وإنما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد.³

وبين الخطاب والنص علاقة قوية جداً "فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما... أو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في إطار ما"⁴

ولهذا كله وغيره، ألفينا " (ديفيد كرسنال David Crystal) يذكر أن تحليل الخطاب يرتبط بتحليل اللغة المنطوقة. بينما تحليل النص يرتبط بتحليل اللغة المكتوبة، ولكنه أكد بعد ذلك أن

¹-ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية: ترفيتان تودوروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الثانية 1996م، ص428.

²-المرجع نفسه، ص 19-22.

³-مقالات في الأسلوبية، دراسة: منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1990م، ص 241.

⁴-النص والخطاب الإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998، ص6.

التحليل سواء أكان نصاً أم خطاباً فإنه يشمل كل الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة مع تحديد "الوظيفة التواصلية"¹.

وقد لاحظنا عندما نُطلِقُ مصطلح "خطاب" فإنّ الدّهْن يتّجه إلى إنجازه لغويّ (سواء أكان جملةً واحدةً أم كان أكثر من جملة، وهو الغالب، أم كان جزءاً من جملةٍ فقط، أو نصّاً...) يُرْبَطُ فيه بين بنيته الداخليّة وظروفه المقاميّة (أي بين مقالته ومقامه) ومُستعمليه (من متكلّمٍ ومُخاطَبٍ) ربطاً تبعيّيّاً وتعلّقياً، أي إنّ بنية الخطاب لا يمكنُ أن تتحدّد إلّا وفقاً لهذه الظروف، وأنها (أي البنية اللَّفْظيَّة) خاضعةٌ لوظائف المقام وظروف التّواصل... .

وعليه، يُمكن تصنيف أنواع الخطاب من حيث الغرض التّواصلِيّ إلى خطابٍ سرديّ أو حِكائيّ، وخطابٍ وصفيّ، وخطابٍ حجاجيّ إقناعيّ، وخطابٍ تعليميّ تلقينيّ، وخطابٍ ترفيهيّ...

كما يُمكن تصنيفه من حيث نوع المشاركة إلى حوارٍ ثنائيّ أو حوارٍ جماعيّ أو خطابٍ الذات (مونولوج). وقد تكون المشاركة مباشرةً بين المتخاطبين أو غير مباشرةً كأن تكون مكاتبةً أو مكالمَةً هاتفيةً بينهم.

أمّا مفهوم "النّصّ" فهو لا يتعدى كونه مجموعة من الجمل البسيطة، أو مجموعة من الجمل البسيطة والمركّبة، التي تشكّل خطاباً، أي وحدةً تواصليةً تامّةً. فتكون أصغر وحدة نصيّة هي الجملة.

لعل هذا ما جعل كريستيفا تربط مصطلح الإنتاجية بإعادة "توزيع اللغة التي يقوم بها النص وهذا يعني: أن مجال النص هو الكلام الملموس وليس اللغة المجردة. وأن إعادة توزيع اللغة عبر الإنتاجية النصية تعني أن النص يستخدم لغة الاتصال ويدمرها في آن، أي عبر علاقة هادمة/بناءة، ويعني هذا أن النص يقوم بدور مزدوج، فهو يكشف عن الآلية التي تستخدم بها اللغة، فيما يوضح (جون مويت)، مزيجاً المتحدثين عن وضعهم التمثيلي **Represential** المقيد، وعلى هذا

¹ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م، ص35.

فالإنتاجية النصية ترجع إلى البنية التحتية للغة **Infrastructure** أي إلى الاستخدام الشائع للكلام¹.

ومن هنا، فإن مفهوم النصّ ينصرف، غالباً، إلى مبادئ صياغة بنية الخطاب وقواعدها، أي إلى شكله ونظامه والعلاقات التي تربط أجزاءه الداخليّة بعضها ببعض، وإلى الآليات التي تُنظّم العناصر داخل هذا الكيان اللغوي المسمّى نصّاً، بغضّ النظر عن الوظائف الاتّصالية وعلاقة المقال بالمقام وربط الكلام بالمتكلّم والمخاطب.²

ويتميز النصّ بكونه وحدة لغوية ذات علاقاتٍ داخلية، ومكوّن من مكوّنات الخطاب، و"الفرق بين النصّ والخطاب أنّ كلّ خطابٍ هو نصّ بالنظر إلى بعض مكوّناته، وهي الآليات الداخليّة التي تُشكّل قوامه، وليس كلّ نصّ خطاباً لأنّ النصّ يُنظر إليه باعتباره آلياتٍ بنيويّةٍ داخليةٍ يُبنى بواسطتها الخطاب، أمّا الخطابُ فيربو على النصّ بامتيازِه بمكوّناتٍ أخرى كأطراف التّواصلِ وظُروف التّداول اللّغوي..."³

أنواع الخطاب:

تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعيتها، ولقد قسمها منذر عياشي إلى ثلاثة أنواع؛ يأتي على رأسها الخطاب القرآني. الذي هو موضوع دراستنا في جانبها التطبيقي، وهو

¹ -التناص في شعر السبعينات (دراسة تمثيلية): فاطمة قنديل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، كتابات نقدية، العدد 86، مارس 1999، ص 53، عن John Mowitt, text: The Genealogy of an Ant- disciplinary object, Duke University press, duhram & London, 1992. Pp. 105:106 . Ibid.P.107.

² -كتاب الخطاب القرآني -دراسة في العلاقة بين النص والسياق: الدكتورة خلود العموش الطبعة الأولى 2008م، جدار للكتاب العالمي عمان الأردن، ص45.

³ -المرجع نفسه، ص46

خطاب إلهي، مطلق ولا نهائي في دواله ومدلولاته "ليس كمثلته شيء"¹، كتب الله على نفسه حفظه، قال تعالى: "إننا له لحافظون"².

إن الخطاب القرآني خطاب إلهي، لم يستطع أحد تسميته إلا كما سماه الله عز وجل في كتابه الكريم حيث سماه (الكتاب) متفرد عن غيره من الخطابات وفي كل مستوياته الصوتية، والمعجمية، والتركيبية، والإيقاعية، والتداولية.

أصواته منسجمة متماسكة، ألفاظه واحدة لا تقبل التعدد وتركيباته وإيقاعاته مطلقة ولا نهائية، خطابه متفرد "ليس كمثلته شيء" ورغم ذلك فقد أخذت عنه كل الخطابات والأجناس، وليس لأحد أن يأتي ولا بآية من مثله، ولقد تحدى القرآن بذلك قال تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إذ كنتم صادقين"³.

وإن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته فالله سبحانه وتعالى هو المرسل، والقرآن كلمة الله نزلت على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلمته التي تحمل كل صفاته ولا نهائيتها وبقائه على خلاف الأنواع الأخرى من الخطابات التي تفرض بعض النظريات المعاصرة مثل موت المرسل بمجرد الانتهاء من إنجاز عمله وخروج عمله إلى النور وتسلمه من قبل المتلقين.

الخطاب القرآني لانتهائي الدال والمدلول أو التركيب "خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله. وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمه الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته"⁴.

¹ -سورة الشورى/ 11.

² -سورة الحجر/ 9.

³ -سورة البقرة/ 23.

⁴ -مقالات في الأسلوبية: منذر عياشي، المرجع السابق، ص 220.

الخطاب القرآني خطاب لا يُنطق إلا بلفظه، حيث لا يجوز لقارئه أن يقرأه إلا بلفظ داله، وإن اختلفوا في لغات المدلول، فالخطاب القرآني موجه للناس كافة هادياً ومنيراً، ولكل متلق حاذق الحق في تأويل مدلولاته اللاهائية المستمرة المطلقة المنسجمة مع حاجات الناس في كل زمان ومكان، ولكل الحق في إعادة إنتاج النص الديني معرفياً بالإيمان الحق.

الخطاب القرآني لا يترجم وإنما تشرح مدلولاته بكل اللغات، ولا يستطيع أحد أن ينقله إلى أي لسان آخر كما ترجم الإنجيل والتوراة إلى العربية وغيرها. وإذا كان الأسلوب يعرف أحياناً بأنه الشيء الذي يفقد العبارات عند ترجمتها إلى لغة أخرى، كما يحدث في ترجمة الشعر حيث تقتل روحه وإيقاعه أي خاصيته، أسلوبه بالترجمة، وكذلك فإن القرآن بالترجمة يفقد إعجازه في مستوى من مستوياته، وإن لم يكن بها جميعاً فلم يستطيع أحد ترجمة "حتى يلج الجمل في سم الخياط" أو "رؤوسها كأنها طلع الشياطين" وغيرها من الأمثلة مما لا يحصر فلقد كتب الله على نفسه أن يحفظه.

النوع الثاني: ويمكن تسميته "الخطاب الإيصالي" ونماذجه متعددة سياسية، وإرشادية ووعظية وقضائية وإقناعية، واجتماعية، وإعلامية إلى آخره. - يقول د. الجابري: "صنفنا الخطاب... إلى أربعة أصناف: الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة عامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، والخطاب السياسي ومحورناه حول "العلمانية" وما يرتبط بها والديمقراطية وإشكالياتها، والخطاب القومي وركزناه حول "التلازم الضروري" - الإشكالي الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة وبينهما وبين تحرير فلسطين من جهة ثانية. ويأتي الخطاب الفلسفي أحياناً ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر، وإشكالية الأصالة والمعاصرة -"¹.

¹ - الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994،

والنوع الثالث: ويمكن أن "نسميه الخطاب الإبداعي (الشعري) ونماذجه متعددة هي الأخرى، ولكن يتميز عن الأول بأنه خطاب يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية"¹.

وسنعمد في هذه الدراسة المصطلحين كمترادفين، لأن الخطاب كان أصلاً نصاً، والنص لا بد أن يصير خطاباً لتحقيق فيه خاصية الإعلامية، ولهذا وجدنا كثيراً من الدراسات الحديثة تعتمد المصطلحين بمعنى واحد، كما نجد ذلك عند محمد الخطابي في كتابه (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) إذ يقول: "يحتل اتساق النص وانسجامه موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب/النص، ونحو النص، وعلم النص..."² فلم يجعل فارقا بين النص والخطاب في حديثه.

بعد ذكر تعريفات أهم المصطلحات، سنتحدث عن نشأة لسانيات النص عند الغرب، وعلاقة الدراسات العربية، قديمها وحديثها، به.

¹-مقالات في الأسلوبية: منذر عياشي، المرجع السابق، ص215.

²-لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب: د. محمد خطابي، المرجع السابق، ص05.

المبحث الأول: ماهية لسانيات النص

إنّ المتتبع للدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة يجد أنّها تجاوزت حدود الجملة إلى بنية لغوية أكبر منها وهي النص؛ الذي هو كلام "متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية، ويتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه، وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة، وبين بداية النص وخاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي، وهذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظائفه التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص وملتقيه"¹، وهي نقلة لها أسبابها ودوافعها.

ويعدُّ ز. هاريس " Z. Harris " أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتجاوز حدود الجملة إلى النص، عندما نشر سنة 1952 بحثاً اكتسب أهمية كبيرة في تاريخ اللسانيات الحديثة يحمل عنوان "تحليل الخطاب *Analyse de discours*" الذي اهتم فيه بتوزيع العناصر اللغوية في النص كما اهتم بالربط بين النص وسياقه الاجتماعي.² ثم توالى الدراسات بعد ذلك تترأ، حيث بدأ اللسانيون يهتمون بما أشار إليه هاريس " Z. Harris "؛ من أهمية تجاوز الدراسة اللسانية مستوى الجملة إلى مستوى أكبر ألا وهو النص. والربط بين اللغة ولسياق الاجتماعي وشكلوا بذلك اتجاهها لسانياً جديداً، أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور منذ منتصف الستينات تقريباً وذا الاتجاه عرف "بلسانيات النص".

وتعتبر لسانيات النص "فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد"³.

وعلى ما سبق، فإن لسانيات النص مجالها النصوص سواء كانت مكتوبة أو منطوقة فهي تسعى إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات التي تساهم في اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية.

¹ - كتاب الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش، المرجع السابق، ص 22.

² - ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 23.

³ - المرجع نفسه ص 35.

ومن هنا، وجدنا صبحي إبراهيم الفقي يذكر مهام لسانيات النص ويرى بأنها تتجلى في " إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل، ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق والتواصل¹" وهي عناصر، كما سنرى، متكاملة تعمل جميعاً لتحقيق ذلك التماسك والترابط النصي.

ولهذا، فإن لسانيات النص تنطلق من دلالات عامة متجاوزة الجمل إلى وحدات نصية كبرى، بهذا يكون تميزها في اتساع مجال الدراسة؛ لأن هدفها هو تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء ومتراصة، وللإشارة فإن الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لم يكن انتقالاً اعتباطياً بل هو انتقال في المنهج و أدواته وإجراءاته و أهدافه.

وإضافة على ما سبق، فقد استطاعت لسانيات النص بلوغ محطات متقدمة إذ تمكنت من تحديد العلاقات التي تربط بين الجمل وفقرات النصوص على مستويات متعددة منها المعجمي والنحوي والدلالي. في حين لم تستطع لسانيات الجملة بلوغها وهذا ما أدى إلى مجاوزتها في الدراسات اللسانية الحديثة.

إذن، فإن الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لم يكن مجرد تعديل طفيف في اسم العلم أو في موضوعه؛ ولكن الدراسات الجادة أكدت أن التحول الأهم حدث في المنهج من خلال مقولاته وأدواته ولهذا كله أكد الباحثون، في هذا المجال مثل فان ديك **van dick**، أهمية هذه النقلة من الجملة إلى النص واعتبارها تمس الجانبين الدلالي والسياقي لأن الفهم "الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجترار والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى، فكان الاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقّعا واتّجاهاً أكثر اتساقاً مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث²"

ولهذا، فإن نحو النص يمكن من توضيح وتشخيص "علاقات لم يُنظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة: بين الجمل والفقرات والنص. وذلك على المستوى المعجمي،

¹ -علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 56.

² -البديع بين البلاغة واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 68.

والمستوى النحوي (الصوت والصرف والتركيب)، والمستوى الدلالي¹. وكل هذا يبين لنا حقيقة وطبيعة هذه النقلة من (نحو الجملة) إلى (نحو النص)، أنها ليست مجرد نقلة "حجمية (من الجملة إلى النص)"²، وإنما هي نقلة نوعية منهجية.

واستنباطا مما سبق، فإن من أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط، مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، وهذا يؤدي إلى الاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية³ للنص دون فصل بين أجزائه، أو مكوناته المشكلة لمتتالية من الجمل.

وترتكز لسانيات النص على:

أ- وصف النص: ويراد به توضيح مكونات النص (وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه، توضيح الموضوعات المتناولة، بيان الروابط اللغوية والدلالية الموجودة وما تؤدي إليه من اتساق وانسجام بين جمل النص، حتى تغدو كأنها جملة واحدة.

ب- تحليل النص: ويتم فيه بيان الروابط الخارجية. والاهتمام بالسياق الذي يؤدي دورا هاما في جمع أشقات النص التي تظهر متفتتة فتصبح متجاذبة⁴.

ج - مراعاة دور النص في التواصل؛ وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقي للنص.

د- تحديد نمط النص وغرضه⁵

هـ- الوقوف عند بنية النص المتمثلة في: المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي، هذا بالإضافة إلى المستوى الإستراتيجي؛ المتمثل في اختيار إستراتيجية معينة للنص.

¹-البديع بين البلاغة واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 68

²-المرجع نفسه، ص 68.

³-علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونغمان، ط 1997. ص 36

⁴-ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، الشركة العالمية للنشر، لونغمان، ط 1996، ص 1، ص 247.

⁵-المرجع نفسه، ص 248.

نشأة لسانيات النص

لقد لاقت محاضرات دي سوسير ونظرياته، في بدايات القرن العشرين من النجاح حظا وفيرا، بين كثير من الدارسين وكانت معينا لعدد كبير من المدارس قامت على المبادئ النظرية التي أرسى دي سوسير قواعدها. والأسس المنهجية التي سطر معالمها ووضعها، فقد أصبح غنيا عن التعريف بالنسبة إلى المهتمين باللغة، بأن هذه النظريات مهدت لميلاد علم جديد، لهذا اعتبر كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة (Cours de linguistique générale) - الكتاب الأم في ميدان الدراسات اللغوية¹.

فقد كان لتلك الأبحاث التي قام بها "دي سوسير" في مجال اللسانيات أثر كبير لتقدم البحث اللغوي وفي تطور مناهج لغوية ونقدية تعنى ببنية النص ذاته وبمعايير بنائه، وكان لتفريقه بين اللغة "Langue" والكلام "Parole" أثره، كذلك، في تحليل النصوص الأدبية من الداخل، وفي تركيز البحث في بنية العمل ذاته، وكان، أيضا، للحلقة اللغوية في "كونبهاجن"، وحلقة "براغ" اللغوية أثر واضح في توجيه النظر النقدي على علم اللغة والإفادة منه و تطوير النظر للنص².

وقد أكدت الدراسات بأن نحو النص ولد من رحم البنيوية الوصفية القائمة على نحو الجملة في أمريكا، ففي الوقت الذي كان أعظم اهتمام لعلم اللغة بالجملة المفردة نشر "زهريس"³ "Z. Harris" بحثا اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة يحمل عنوان "تحليل الخطاب" "Analyse de discours" الذي نشر المرة الأولى سنة 1952 في مجلة. Languages (n° 13 mars 1969) بهذا كان هاريس "Z. Harris" أول لساني يعتبر

¹- ينظر: أهم المدارس اللسانية: د. عبد القادر المهيري ومحمد الشاوش، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص 5.

²- نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية: د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، 1991، ص 225.

³- المرجع نفسه، ص 225.

الخطاب موضوعاً شرعياً للدرس اللساني، لأنه قدم منهجاً لتحليل الخطاب المترابط واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي.

ومن هنا، أصبح الخطاب بداية من سنة 1952م موضوعاً للتحليل اللساني وبناءً على ذلك تم تكسير القاعدة التي وضعها بلومفيلد (Bloomfield)، الذي كان يعتبر "الجملة" أكبر وحدة قابلة للدراسة، وأنها هي الموضوع الشرعي الوحيد لللسانيات على اعتبار أن الأشكال الأخرى التي تكبرها لا يمكن تحديدها في إطار يمكن من دراستها على أحسن وجه، وتبيان خصائصها اللغوية والدلالية.

والمتتبع لمساره الدراسي التحليلي يجد أن هاريس "Z. Harris" قد استخدم إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص، ولكي يتحقق هذا الهدف رأى هاريس أنه لا بد من "تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية وهما: الأولى: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، حيث اهتم هاريس في أعماله بتحليل الخطاب بتوسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة. الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح"¹، ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

1-العلاقة التوزيعية بين الجمل.

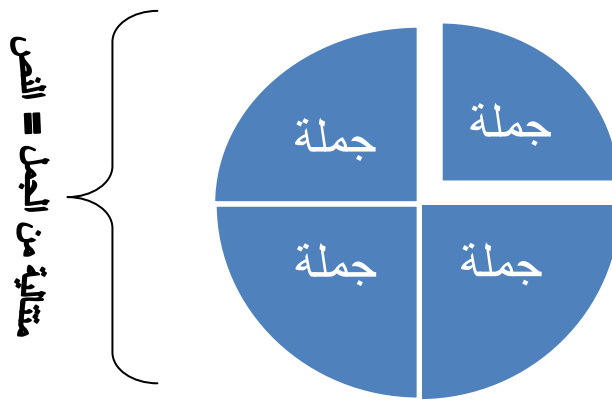
2-الربط بين اللغة و الموقف الاجتماعي .

وعن هاتين الركيزتين يقول ز. هاريس "Z. Harris": " يمكن أن نتصور تحليل الخطاب انطلاقاً من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان: أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية يتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، وأما الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة"².

¹ -البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 65.

² -أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، سلسلة اللسانيات، المجلد 14، جامعة منوبة، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 2001م، ص 38-39.

ومنذ منتصف الستينات شهدت اللسانيات في أوروبا ومناطق أخرى من العالم توجهها قويا نحو الاعتراف بنحو النص بديلا موثوقا لنحو الجملة، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعاد الأثر في تحليل الخطاب عن طريق دراسة اللغة ووظائفها النفسية والاجتماعية والفنية والإعلامية¹. وفي الواقع، فإن هناك جهودا غربية متنوعة في دراسة التماسك النصي، بالإضافة إلى ما قدمه هاريس **Z. Harris**، أسست على النظر إلى النص بأنه يحمل وسائل اتساقه. لأن النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا وسيلة يتحقق بها النص، كما يوضح هذا المخطط:



وفق هذا المنظور المشار إليه في المخطط السابق، قامت دراسات لسانية أخرى، ومن أهم هذه الدراسات ما قام به "هاليداي و رقية حسن" **Michel. A.K. Halliday et Ruqaiya Hasan** " في سنة 1976 " **cohésion in english** " الاتساق في اللغة الانجليزية). وما قام به "تون فان ديك" **T. Van. Dick** " في كتابين له أولهما هو " **some expects of texte grammer** " سنة 1972 (بعض وجوه نحو النص)، والآخر هو " **Text and context** " سنة 1977 (النص والسياق)².

حيث بدأ " **Van Dick** " ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من أهميتها وقيمتها أو

¹-ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، المرجع السابق، ص153.

²-ينظر: علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات": د. سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 134 و218.

التشكيك في صحتها، فعلى الرغم من أشكال النقد التي وجهت إلى نحو الجملة؛ لا تعني أنه لم يعد له قيمة وأنه قد عفى عليه الزمن وأن كل هذا التراث النحوي الضخم السابق لأجيال متعددة لم يعد له مكان.

فقد كان التراث النحوي السابق بكل ما يضمه من تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال وصف وتحليل الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية، فالأمر بالنسبة "لـ فان ديك" **Van Dick** "ولغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة، لأن الحاجة أصبحت ماسة إلى وضع مفاهيم ومقولات جديدة تضم عناصر لغوية وغير لغوية لم تجد مكانا متسعا في نحو الجملة، فهذا الإطار لم يعد كافيا لاستيعاب العناصر السابقة وبخاصة أنه لم يعد ينظر إليه كوحدة أساسية للوصف النحوي بل عدّ النص بأكمله -على الرغم من الاختلاف الشديد حول مفهومه- وحدة أساسية لا تستوجب تحولا كليا في المعايير، بل يرى أن هذا الإطار الموسع يدفع إلى تغير كيني في إطار حرص "فان ديك" على تكوينه وقد ميزه وخصصه بمصطلح "نحو النص".

وبغض النظر عن طبيعة هذه الإسهامات فإن الأكد أنه حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغير وفق منهجية لا تغفل الجملة ولكنها في المقابل لذلك -لا تعتبرها أكبر وحدة قابلة لتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقاتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، إضافة إلى علاقاتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها وبمستقبلها¹.

كما تناول "براون ويول" **Browan et yole** " سنة 1983م في كتابهما "تحليل الخطاب" **Analyse de discours** " سبل تحليل الخطاب وفق الاتجاه النصي.

¹- ينظر: ظواهر تركيبية في مقاسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقات بين البنية والدلالة: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1995، ص 237.

وقد اعتبرا كل مقارنة تتخذ لها موضوعا للوصف وحدة لغوية أكبر من الجملة من الممكن عادة أن تُسمى تحليلا للخطاب، بمعنى أن تصنيف هذه المقاربة أو تلك ضمن "تحليل الخطاب" يبنى أساسا على الوحدة اللغوية المحللة وحجمها.¹

وسنبين هذه القضايا بأكثر تفصيل في المباحث اللاحقة، ليتسنى لنا الوقوف على أهم المحطات التي مرت به لسانيات النص، من حيث المنطلقات والمبادئ و الأدوات الإجرائية.

¹ -لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 47

المبحث الثاني: لسانيات النص عند الغرب

تقتضي طبيعة هذا البحث منا الوقوف قليلاً عند البدايات الأولى لظهور لسانيات النص في الغرب؛ إذ يعدُّ علم لغة النص من أحدث فروع علوم اللغة الحديثة، وقد نشأ هذا العلم كنهاية طبيعية لوجوب البحث عن أفق نظري يتجاوز الجملة، كما أسلفنا، بعد أن كانت جُلُّ الدراسات اللغوية لا تكاد تتعدها ويذكر **Malcom Coulthard** تحت عنوان (المحاولات المبكرة لتحليل الخطاب) إنه : " في الفترة الممتدة إلى أواخر الستينيات كانت هناك محاولتان منفردتان لدراسة تراكيب ما فوق الجملة. إحداهما قام بها هاريس (1952م)، والأخرى قام بها ميتشل **Mitchell** (1957م)، وعلى الرغم من عنوان مقالة هاريس الواعد (تحليل الخطاب)، إلا أنها كانت مخيبة للآمال؛ لأن العمل وفقاً لتقاليد البولومفندية أنتج طرقاتاً شكلية لتحليل الحديث أو الكتابة..."¹

لكننا وجدنا بعضاً من الباحثين يشير إلى أن الأمريكية (**I.Nye**) قد تكون أوّل من أنجزت عملاً يمثل إرهاباً حقيقياً لعلم اللغة النصي في أطروحتها للدكتوراه عام (1912م).²

ومن أبرز الداعين إلى إقامة نحو النص، والذي بدأ معه الجهد النظري لإنشاء اللسانيات النصية الهولندي فان ديك " **Van Dijk** " الذي سعى، في جل دراساته، إلى "إقامة تصور متكامل حول " نحو النص " منذ (1972م) حيث ظهر كتابه " بعض مظاهر أنحاء النص " **Some Aspects of Text Grammar** "، وظل كذلك حتى (1977م) مع كتابه " النص والسياق " **Text and Con text** "، وحتى كتاباته الأخيرة.

حيث بدأ ينطلق من تحليل "سيكو لساني" للخطاب توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالباً عند حدود وصف الجمل بمصطلحات المكونات والنص رابطاً بين الدلالة والتداولية.³ وبهذا استطاع إرساء قواعد متينة في تحليل الخطاب وفق المنظور النصي، متجاوزاً بذلك حدود الجملة.

¹ – Malcolm Coulthard : An Introduction Discourse Anaiysis, Longman , London & New York,"1985"p3.

² –علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 18.

³ –انفتاح النص الروائي (النص . السياق): سعيد يقطين، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1989م، ص 14.

ومما يلاحظ، فإن لسانيات النص استطاعت تجاوز الإطار اللغوي للتداخل مع علوم أخرى؛ ليصبح علم لغة النص علماً بين معرفي، فعلى سبيل المثال يمكن للمرء أن يجد اهتماماً بنحو النص عند تودوروف على الرغم من المنطلقات الأدبية التي يشتغل بها¹، وقد رسّخ تون أ فانديك (Van Dijk) مفهوم بينية علم النص، أو علم اللغة النصي في كتابه " علم النص مدخل متداخل الاختصاصات"².

وقد اتضح لفريق من العلماء، مع استمرار البحث لوضع قواعد محددة لما فوق الجملة، كان من بينهم تون أ. فانديك (Van Dijk) اجتمعوا لهذا الغرض في إحدى الجامعات الألمانية أن "الفرق بين علم قواعد الجملة، وعلم قواعد النص أكبر شأنًا مما كان يعتقد قبلاً .."³

وكان لزاماً على ما سبق، أن تتعدد مناحي النظر للنص، وتتعد اتجاهات الدارسين لمقارنته معرفياً ومنهجياً، ومن أجل الوقوف عند أبرز الاتجاهات في علم اللغة النص في العصر الحديث، واعتماد البحث وارتكازه هنا هو على تقسيم تلك الاتجاهات وفقاً لما تعتمده تلك البحوث في مقارنة النص من أدوات البحث اللغوي ومناهجه المختلفة.

وينبغي التنبيه، بدايةً، "أنه كثيراً ما يُوجدُ في الاتجاه الواحد في علم اللغة النصي تأثيرات لمدارس ونظريات مختلفة، فتجتمع أحياناً التأثيرات الدلالية، والتداولية، مع بعض مقولات النحو التحويلي عند (تشومسكي) التي استثمرت على المستوى النصي"⁴.

ولذلك فسوف يتم تصنيف بعض النظريات النصية على أساسٍ من التأثير السائد فيها كما سيتم الاكتفاء بالإشارة إلى بعض من أهم النظريات في كل اتجاه.

¹ -النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص: جان ماري سشايغر، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2004م، ص 122.

² -ترجم هذا الكتاب إلى العربية وعلق عليه الأستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري، وصدرت طبعته الثانية عن دار القاهرة في 2005م

³ -مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص 49.

⁴ -علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 86.

أ-الاتجاه اللغوي النحوي.

لعل أول عمل يمكن إدراجه في هذا الاتجاه، على الرغم من كونه يمثل البدايات الأولى، هو عمل اللغوي زليج هاريس "Z. Harris" الذي أرسى دعائم المنهج التوزيعي، ثم حاول تطبيقه بعد ذلك على الخطاب.

وتعد فكرتا التوزيع / التصنيف (distribution) والاستبدال / المعاقبة (substitution)، هما أساس تحليل الجملة لديه... ويبدأ التحليل [لديه] بالتجزئة، حيث تقسم الجمل التي يمكن ورودها في لغة ما. على المستوى النحوي. إلى مجموعة من الوحدات المتميزة وفقاً للسياق الذي ترد فيه كل منها، يطلق عليها وحدات التقسيم الكلامية: (الأسماء، الأفعال، الصفات، الحروف...)، وتتسم كل وحدة منها بالثبات، إذ يلزم ورودها في الجملة حين تتوفر شروط وجودها من جهة السياق.

وتتمثل العلاقات الأفقية في تلك العلاقات القائمة بين الوحدات النحوية، والعلاقات الرأسية أو العمودية في تعاقب أبنية / أشكال مختلفة داخل وحدة نحوية بعينها: (قائمة الأفعال، وقائمة الصفات، وقائمة الأسماء)¹.

أما أول بحث نصيٍّ موسَّع، مع تركيزه على إيجاد نظرية خاصة بالنص، فقد كان البحث الذي قدمه هارفع (Harweg) حيث يرى أن آلية الاستبدال من خلال سلاسل الإضمار هي التي يتم من خلالها ترابط النص.²

¹- ينظر: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 19. نقلاً عن .ff. ; Harris,Z.

Methods in Structural Linguistics ,p.22

²- ينظر:

-مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص 47.

-مدخل إلى علم اللغة النصي: وفولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر: ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م، ص 27-28.

ويرى سعيد حسن بحيري في هذا الصدد بأن التجزئة النحوية للنص عند **H. Weinrich**، هي من الإسهامات المهمة ذات المنطلقات النحوية في تجزئة النص، الذي يرى قصور منهج تحليل الجملة، ويطرح بديلاً له منهج تجزئة النص.

حيث يركّز فيه على أفعال النص، أو حتى الأسماء الواردة في النص لتنظيم تجزئة النص. فيما لو أراد باحث الانطلاق من الأسماء. فإذا ما تم الاعتماد على أفعال النص؛ فسيصل بها في إطار النظرية ظواهر نصية كثيرة تتصل بالفعل، كما أنه يراعي النحو وعلاماته، ويعدها ركناً مهماً في التحليل كما أنه في تحليته يستبدل الأفعال في النص بأرقام تشير إلى تتابعها، ويقسم الأفعال في نظريته إلى أفعال بسيطة ومركبة من خلال وجهات نظر متباينة تتركز على المعلومات النحوية، التي تتعاقب معها... ويصوغ تحليله على هيئة جدول فيه رموز خاصة بورود الفعل والموقع الذي يشغله، ورموز أخرى تتعلق بالمعلومة النحوية التي اعتمد تشكيلها من خلال النظام الثنائي.¹

ب-الاتجاه اللساني الوصفي

من بين الدراسات التي انتهجت هذا المسلك ما قام به "هاليداي و رقية حسن. **Michel**." "A.K. Halliday et Ruqaiya Hasan" في سنة 1976 **cohesion in english** الاتساق في اللغة الإنجليزية). والقريئة التي اعتمدنا عليها "هي نعت الباحثين عملهما بأنه وصفي: "كما هو الأمر دائماً في اللسانيات الوصفية، سسناقش اشياء (يعرفها) متكلم اللغة الناشئ مسبقاً، لكن دون أن يعلم أنه يعرفها"²

ومن خلال ملاحظة عنوان الكتاب يتضح لنا جلياً، أن الباحثين يهتمان بالاتساق، الذي يقصد به عادة، ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص /خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته.

¹- ينظر: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص: 191- 217.

²-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص12.

ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلل-الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو يعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا¹.

وهذا الكل، المشار إليه آنفا، يستدعي أدوات لتجعله متسقا، وهذه الأدوات هي التي نجدها عند هاليداي ورقية حسن " Michel. A.K. Halliday et Ruqaiya Hasan " وقد جمعناها في النقاط التالية :

1-الإحالة وأدواتها ؛ كالضمائر وأسماء الإشارة وغيرها، إحالة مقامية وإحالة نصية؛

2-الاستبدال؛

3-الحذف: هو علاقة داخل النص وعن طريق فهمه يتمكن القارئ من ملء الفراغات في النص.

4-الوصل وهو تحديد للطريقة التي بتربط بها اللاحق بالسابق بشكل منظم حتى تدرك متتاليات الجمل في النص كوحدة متماسكة، وهو أنواع: وصل إضافي، ووصل عكسي، ووصل سبي، ووصل زمني؛

5-الاتساق المعجمي؛ وهو نوعان: التكرير، والتضام، أي توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نزرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، من مثل (المحاولة /النجاح)².

وهذه الوسائل التي يقترحها هاليداي ورقية حسن " Michel. A.K. Halliday et Ruqaiya Hasan " موجودة داخل النص، تتطلب من القارئ المتمرس البحث عنها داخل الخطاب، ومن ثم إبراز خصائصها من خلال النص.

¹-ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص05.

²-ينظر: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بجيري، المرجع السابق، ص: 191- 217.

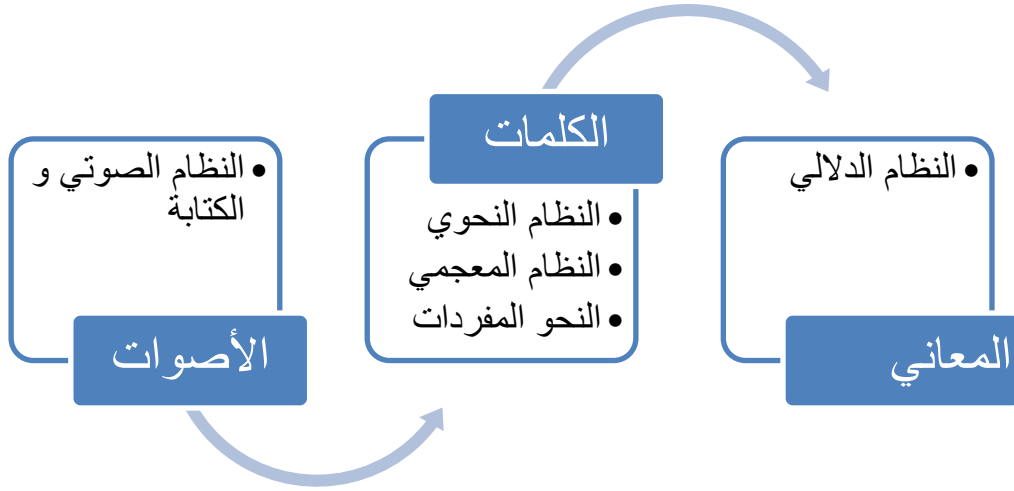
وفي نفس السياق، فإن المتابعة الدقيقة الشاملة لعملهما تكشف عن مسألة جوهرية لا ينبغي إغفالها، تلك هي اهتمامهما بالخصائص التي تجعل من عينة لغوية نصاً؛ فإذا كان النص يتكون من جمل، فإنه "يختلف عنها نوعياً، إن النص وحدة دلالية، وليست الجملة إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص. أضف إلى هذا أن كل نص يتوفر على خاصية كونه يمكن أن يطلق عليها (النصية)، وهذا ما يميزه عما ليس نصاً. فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"¹ فهما حين يبحثان وسائل الاتساق في الوقت نفسه يذكران ما يميز النص مما ليس نصاً.

وهذا ما يدعونا للقول بأن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، لأنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كـنص. ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية، خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر. يفترض كل منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول.

وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق الذي "لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضاً في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، وهذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/ مستويات"²، كما يوضحه المخطط التالي: ...

¹-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص13.

²-المرجع نفسه، ص15.



يُستخلص من الرسم أعلاه أن الاتساق يتجسد أيضا في النحو وفي المفردات، وليس في الدلالة فحسب، ومن ثم يمكن الحديث عن الاتساق المعجمي وعن الاتساق النحوي.

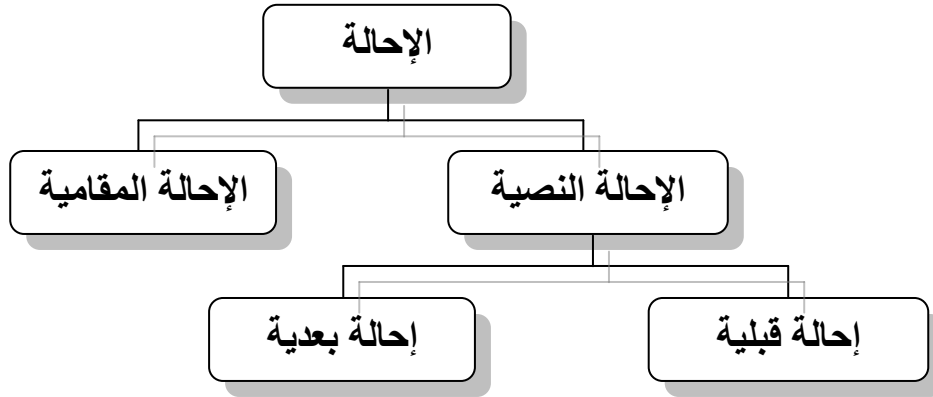
أما بالنسبة للاتساق وبنية الخطاب، ينبه الباحثان على أن الاتساق "ليس اسما آخر لبنية الخطاب، وذلك لأن هذا المفهوم الأخير يستعمل للإشارة إلى وحدة مفترضة أعلى من الجملة، كالفقرة مثلا، بينما يأخذ مفهوم الاتساق بعين الاعتبار العلاقات في الخطاب، وبناء عليه فهو يشير على مجموعة من الإمكانيات التي تربط بين شيئين. وبما أن هذا الربط يتم من خلال علاقات معنوية فإن ما يهمنا هو العلاقات المعنوية تشتغل بهذه الطريقة: أي الوسائل الدلالية الموضوعية بهدف خلق النص."¹

ومن خلال الدراسة المتأنية والدقيقة، للنظرية النصية لديهما، نلاحظ أن الباحثين يستعملان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيطة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة على ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: "الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، وتعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالية وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه."²

¹-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص16

²-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع نفسه، ص 16-17.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية والإحالة النصية. وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، وإحالة بعدية" وقد وضع الباحثان رسماً يوضح هذا التقسيم نسوقه أسفله:



ولتبيان وظيفة هاتين الإحالتين، المشار إليهما في المخطط، وكقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، وإذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل على السابق أو إلى اللاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة، والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع إحالتها.

ورغم الاختلاف الملحوظ بين نوعي الإحالة المقامية والنصية، فإن ما يعد أساسياً بالنسبة لكل حالة من الإحالة هو وجود "عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما". لكن هل معنى هذا أن نوعي الإحالة (المقامية والنصية) متساويان بحيث تلغي جميع الفروق بينهما؟ يذهب هاليداي ورقية حسن، وبهذا الخصوص، على أن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص¹.

ومن هنا نلاحظ أن الإحالة النصية لها دور فعال في اتساق النص، وهذا لا يتأتى إلا بوسائل الاتساق الإحالية التي هي: (الضمائر، أسماء، الإشارة، أدوات المقارنة)، والضمائر بوصفها وسيلة اتساق إحالية لها دورها المهم داخل النص، ولهذا يشترط الاتساق النصي لدهما توفر بعض الضمائر العائدة صحبة الكلمات التي تعود عليها، فالإحالة تكون تبادلية بين

¹ - ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 16-17.

الضمائر والكلمات التي تحيل إليها أي أن الاثنين يحيلان إلى الشيء ذاته. فإن الضمائر تنقسم إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... إلخ. وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا... إلخ. (mine, yours, theirs, his, ours ...).¹

إذا نُظر إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص، أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به، أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي، "وذلك لأن سياق المقام في الخطاب السردي سياقاً للإحالة، وهو تحيل ينبغي أن يبنى انطلاقاً من النص نفسه، بحيث أن الإحالة داخلت يجب أن تكون نصية، ومع ذلك لا يخلو النص من إحالة سياقية (إلى خارج النص) تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن) أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت، وأنتم...) هذا بالنسبة لأدوار الكلام، أما الضمائر التي تؤدي دوراً هاماً في اتساق النص فهي تلك التي يسميها المؤلفان "أدواراً أخرى (others roles)، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً أو تثنية وجمعا (هو، هي، هم، هم، هن، هما). وهي، على عكس الأولى، تحيل قبلها بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص، وتصل بين أقسامه"²

وفي تتبعنا لوسائل الاتساق الإحالية، نلاحظ على أن هذه الوسائل لها دور فعال في لحمة النص وتماسكه، وبدل تتبع التفاصيل نشير إلى أن "أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، إذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محلية إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق ومن ثم تساهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان الإحالة الموسعة، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل."³ وهذه هي الوظيفة الاتساقية لأسماء الإشارة كما بيّنا.

¹ -لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 16.

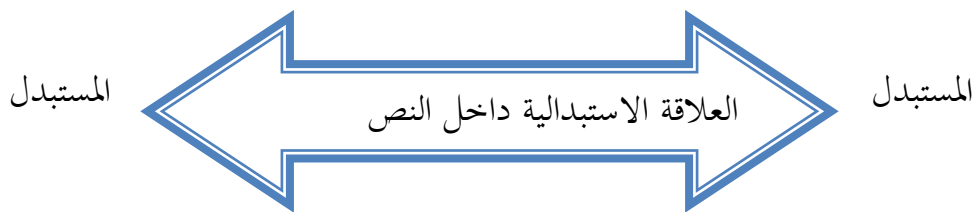
² -المرجع نفسه، ص: 18.

³ - المرجع نفسه، ص 19

النوع الثالث من أنواع الإحالة هو المقارنة، وتنقسم على عامة يتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: (some...) وكيفية (أجملن، جميل مثل...) . أما منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة، لا محالة بوظيفة اتساقه.

ولابد هنا من الإشارة إلى الفرق بين الاستبدال وبين الإحالة، ليزال اللبس الذي قد يعتري القارئ، وعلى هذا فإن "الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"¹ ويعد الاستبدال، شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى الدلالي. ويعتبر الاستبدال، من جهة أخرى، وسيلة أساسية تُعتمد في اتساق النص. ستخلص من كونه "عملية داخل النص" أنه نصي، على أن معظم حالات الاستبدال النصي. يستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي"²، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم، وبناء عليه يعد الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص.

ومن الضروري التساؤل الآن: كيف يساهم الاستبدال في اتساق النص؟ يكمن الجواب في العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه، كما يوضحها هذا المخطط:



ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية، أي وجود العنصر المستبدل، بشكل ما، في الجملة اللاحقة، ولتوضيح هذه القضية بشكل تطبيقي نسوق هذا المثال:

¹ - نحو النص ومبادئه واتجاهاته في ضوء النظرية اللسانية الحديثة: نعمان بوقرة، مجلة علامات في النقد، ماي، 2007م، المجلد 16، العدد 61، ص 11.

² - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 19.

استعرت سيارة فوجدتها جد قديمة، فاستعرت أخرى (one) جديدة.

فإذا أخذنا العنصر "سيارة" كمستبدل في المثال فسوف نجد أن السيارة مستمرة في one وإن كانت سيارة مختلفة عن الأولى، إذ أن الأولى جد قديمة، بينما الثانية جديدة وهذا ما يدعوه الباحثان الاستمرار في محيط التقابل.

ومن هنا، فإن الاستبدال يعدّ وسيلة من وسائل التماسك الشكلي في النص، التي تتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات. ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية، وهي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدّم.

ومثال ذلك قول الشاعر:

مضيق من النيب المسان ومسخن من الماء نعلوه (بآخر) من عل.¹

فنلاحظ في هذا البيت استبدال كلمة (آخر) (بمسخن من الماء) السابقة عليها، وهذا الاستبدال أسهم في عملية الربط والتماسك بين أجزاء القصيدة، حيث لم نتمكن من فهم مدلول (آخر) وتفسيرها إلا بالرجوع إلى الجمل السابقة من هذا النص الشعري. فهذه العلاقة لا تقوم على التطابق بين عنصري الاستبدال، بل على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد، من دون أن يلغي ذلك وظيفة التماسك التي أدتها كلمة (أخرى)، بل من تلك العلاقة استمدت قيمتها التماسكية².

بالإضافة إلى ما سبق، هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال في اتساق النص وهي استحالة فهم ما يعنيه one أو do أو so كعناصر مستبدلة إلا بالعود على ما هي متعلقة به قبلها، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليداي ورقية حسن معنى الاستبدال.

¹ - ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تأليف عروة بن الورد، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م، ص79.

² - التماسك النصي في شعر الصعاليك (عروة بن الورد نموذجاً): نسيم إبراهيم، <http://www.iwan7.com/t3694.html>.

وعليه فإن الاستبدال بوظيفته الاتساقية يفرض على المتلقي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر من النص.

ومن هنا ندرك أن ثمة علاقة بين طرفي الاستبدال، فلئن كانت العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل والمحال إليه) علاقة تطابق، فإن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد¹.

ومن أدوات الاتساق الحذف الذي يجعل القارئ يساهم في بناء النص، "عن طريق البحث عن المعنى المخبوء بين الأسطر، وفي هذا مشاركة فعلية للمتلقي في العملية التواصلية، ولإزالة الخلط وجب منهجياً تعريف الحذف لإدراك الفرق بينه وبين الاستبدال"².

وقد وجدنا الباحثين يحددان الحذف بأنه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية. والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا يكون الأول "استبدالاً بالصفير"، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثراً، ولهذا المستبدل يبقى مؤشراً يترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق بتعبير الباحثين."³

ولإدراك أهمية دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة والواحدة. وكما قسم الباحثان الاستبدال إلى اسمي وفعلية وقولي، فإنهما فعلاً نفس الشيء بالنسبة للحذف ويعني الحذف الاسمي حذف اسم داخل المركب الاسمي.

¹- ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، د.محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 21.

²- المرجع نفسه، ص 21.

³- المرجع نفسه، ص 22.

معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، وهذا التعاقب بين الجمل هو الوظيفة الأساسية للوصل داخل النص، لذا يعرف الوصل بأنه "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق منظم"¹. ولكي يدرك النص كوحدة متماسكة يحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص. ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة فقد فرغ الباحثان هذا المظهر إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني .

وزيادة على ما سبق فإننا نجمل وسائل الاتساق المعجمي عندهما في النقاط التالية:

1- التكرير: هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً

2- التضام: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك².

ولشرح التضام وفهمه فهما علمياً دقيقاً، حسب ما ذهب إليه المؤلفان، فلا بد لنا من إدراك العلاقة النسقية التي تحكم "هذه الأزواج في خطاب ما هي إلا علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد، بنت، طلس، وقف، أحب، كره، الجنوب، الشمال؛ أمر، خضع، إلخ.

إضافة على علاقة التعارض هناك علاقات أخرى مثل الكل - الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام: كرسي، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...). على أن إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس أمراً هيناً، هذا إذا كان ممكناً، مثال الأزواج التالية: المحاولة، النجاح؛ المرض، الطبيب؛ النكتة، الضحك"³.

لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق "سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمداً على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك، وهذا يعني أننا لا نتوفر على مقياس آلي

¹ -لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، د.محمد الخطابي، المرجع السابق، ص23.

² -ينظر المرجع نفسه، ص24-25.

³ -المرجع نفسه، ص25.

صارم يجعلنا نعتبر هذه الكلمة أقرب إلى هذه المجموعة أو تلك، ومن ثم فكل ما نستطيع قوله هو أن هذه الكلمة أشد ارتباطاً بهذه المجموعة من ارتباطها بمجموعة أخرى." وعلى العموم فإن حدس المتلقي ودقته في فهم السياق هو الفيصل في هذه المسألة.

الاتجاه الدلالي

تعد نظرية جانوس . س . بيتوفي **JanosS.Petofi** بنية النص/ بنية العالم (TeSWEST) من أشهر النظريات في هذا المجال، وقد استثمر بيتوفي **JanosS.Petofi** مفهوم البنية العميقة في إطار الدلالة التوليدية، مع قلب المقولة حيث يكون بناء القاعدة تمثيلاً للمعنى، والصيغة النحوية يصبح توليدها ثانوياً؛ ومن خلال ذلك يتكوّن ما يُسمّى بالبنية العميقة للنص¹.

ويحاول بيتوفي **JanosS.Petofi** أن "يحقق توازناً معقداً بين عالم واقعي فعلي يطلق عليه بنية العالم **Weltstruktur**، وعلم إبداعي تحقق في بنية النص **Textstruktur**، ويرى في إطار ذلك التصور أنه لا يكفي في تحليل هذا العمل الإبداعي (النص) الكشف عن العلاقات الداخلية التي تمتد داخل النص، وتظهر في معاني النص الأساسية ومعاني أبنيته فحسب، بل يجب أن يتسع ذلك التحليل، ليضم تلك المعاني الخارجية للنص، تلك المعاني التي يحيل إليها النص، وهي ما يطلق عليه المعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية، وغيرها"²

وتأسيساً على ما سبق، فقد وجدنا بيتوفي **JanosS.Petofi** في وصفه النص وتحليله يحاول الوصول إلى نظرية كلية للنص تعالج جميع مظهراته، وقد تعقد نموذج النص ليضم قواعد المنطق، وأسس فلسفية ومعرفية وتداولية عميقة، وعلاوة على هذا، فقد طرح استناداً إلى مفاهيمه الأساسية في نماذجه، أو محاولاته السابقة نموذجاً تتم فيه عملية الوصف النحوي الدلالي

¹ -ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من، وديتر فيفيجر: ترجمة الدكتور فالح بن شبيب، المرجع السابق، ص 43.

² -علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بحيري، ص 257، وقد نقل جزء من هذا الاقتباس عن نبيلة إبراهيم: فن القص بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة غريب، 1992م، ص 55.

من خلال عمليتين، هما عملية تأليف النص أو تكوينه، وعملية تحليل النص أو تفكيكه، وتحدث في أثناء عملية التفكيك عدة إمكانات تُقدّم في خطوات منفردة¹.

ومن أبرز الإسهامات النصية التي يمكن أن تُسلك في الاتجاه الدلالي² على الرغم من أن تون أ. فانديك يذهب إلى وجوب اقتران الدلالية والتداولية لمقاربة أفضل للخطاب أي أنه يمكن أن يسلك في اتجاه (دلالي - تداولي) أو (اتجاه تكاملي) يشمل بعض معطيات علم النفس الإدراكي، وبعض معطيات علم الاجتماع، والإيدلوجيا وبعض المعطيات البلاغية، ألا أن التصنيف هنا جاء كنوع من اضطرابات عملية التصنيف.

إضافة إلى الاعتماد على انطلاق تون أ. فانديك من كون النص في مكونه الأساس عبارة عن بيئة دلالية كبرى أو بتعبير هاليدي ورقية حسن وحدة دلالية على الرغم من تعدد الجوانب النحوية، والتداولية، والإدراكية في إسهامات (فاندايك)، وهو في تحليله النصي ينظر إلى العبارات النصية بوصفها (سلسلة من الجمل)، ويسمّيها (التتابع)، وهناك تتابع مقبول، وآخر غير مقبول³.

وهو يرى أن المميزات الأكثر وسمًا للنصوص تأخذ مكاناً بشكل رئيس على المستوى الدلالي، والمستوى التداولي، ولكن التتابعات الجمالية توصف بشكل رئيس بمصطلحات

¹ - ينظر: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات): سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص: 256-286.

. اللغة وسيلة مكتوبة: النص: جانوس .س . بيتوفي: ضمن الموسوعة اللغوية، تحرير ن .ي . كولنج ، ترجمة الدكتور محيي الدين حميدي، والدكتور عبدالله الحميدان، مرجع سابق ص ص 207-240. حيث قام بيتوفي بتحليل جزء من قصة (أليس في بلاد العجائب) للويس كارول.

² - ينظر:

-النص: بنى ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص): تون أ. فان دايك، ترجمة منذر عياشي ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، ص 145، ص 153 - 154 .

كما يمكن الاطلاع على اهتمام تون أ. فانديك بالتداولية في:

النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - بيروت، 2000م، ص 14.

³ - ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق دكتور سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص 73، ص 209.

(العلاقات الدلالية) بين الجمل؛ ولكي يقيم تمييزاً بين العلاقات الواسمة ل(ظواهر السطح)، والعلاقات الدلالية؛ فإنه تحدث عن العلاقات بين القضايا، وأصبح النظر إلى النص وكأنه مركّب قاضوي.

ومن الأفكار المهمة التي أتى بها (فاندايك) فكرته عن البنية الكبرى، أي التعبير الواسع النطاق عن محتوى النص، وتربط جمل النص البنية الكبرى بالقضايا المعبر عنها بما يسمى الضوابط الكبرى وهي: الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب أو الإدماج، وقد اقترح أيضاً ما يُسمى (البنى العليا) التي لها علاقة بشكل النصوص، وما يمكن أن يميز نصاً عن آخر بخلاف (البنى الكبرى) التي لها علاقة أكبر بمضمون النص، ولم يكتف بذلك، بل أضاف إلى تحليله عوامل أسلوبية وبلاغية، وسياقيه تداولية مع التركيز على نظرية أفعال الكلام، كما اهتم بالسياق الإدراكي وفهم النص...¹

ومن الأعمال الأخرى في هذا المجال الدلالي إسهامات (إيغور ملتشوك)، الذي يرى أن الانتقال بين المعنى والنص هو العملية الكبرى في النموذج اللغوي ... ويتصور ملتشوك تمثيلاً للمعنى له نحوه الخاص، أي أن له وصليّة غير ظاهرة في التنظيم القواعدي في سطح النص من خلال شبكة من العلاقات...²

الاتجاه التداولي .

تجلى من خلال ما سبق اعتماد عدد من التحليلات النصية ذات المنطلقات النحوية أو الدلالية على جوانب دلالية، ولكن هناك إسهامات نصية أكثر تركيزاً على الاتجاه التداولي.

فقد أصبح يشار منذ السبعينات دائماً إلى ضرورة "تناول عوامل توظيف النصوص وشروط ذلك التوظيف أيضاً في الدراسة النصية، حيث لا يمكن على ما يبدو استنباط (المعنى

¹- ينظر: النص: بني ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص): تون أ. فان دايك، ترجمة منذر عياشي ضمن كتاب العلامةية وعلم النص، المرجع سابق، ص: 137-191.

²- ينظر: مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص: 52-53.

الاتصالي) للنصوص من أبنية النص بمفردها"¹، ولكن النص يظل هو المنطلق الأساس من خلال ربطه بسياق الموقف الاتصالي في إطار ما يُسمى بنماذج السياق، كنموذج النص النظري لدى (إيزنبرج 1976م)، الذي يعتمد فيه على قواعد النص مع احتوائه على عوامل السياق، وخصوصاً محاولة فهم الوظيفة الاتصالية للنص، وتحديدتها تحديداً دقيقاً...²

ويمكن عدُّ "إسهام (ج . ب . بروان) و(ج . يول) **Browan et yole** " في تحليلهما للخطاب في إطار نماذج السياق فهما يعرفان النص أنه: "التسجيل الكلامي لحدث تواصلية"³، وهما ينطلقان في تحليلهما للسياق من الوظيفة التفاعلية المتمثلة في نقل المعلومات، والوظيفة التفاعلية بين المتخاطبين؛ إذ إن أغلب الاتصال اللغوي يرمي إلى التفاعل وإقامة العلاقات أكثر من نقل المعلومات...، وقد بحثا أهمية الموضوع في الخطاب... كما بحثا التماسك، والإحالة، وغير ذلك، مع التركيز على أهمية السياق في كل ما سبق"⁴.

ولتوضيح منهجهما بصفة أدق وأكثر منهجية وجب تبيان أهم مميزات كتاب تحليل الخطاب، وقد وجدناه يتميز بسمتين بارزتين:

السمة الأولى: من السمات الغالبة على كتاب تحليل الخطاب "سمة تحديد وظيفة اللغة وقد رأيا أنها تنحصر في وظيفتين اثنتين:

1-وظيفة نقلية: أي نقل المعلومات أو تناقلها بين الأفراد والجماعات.

2-وظيفة تفاعلية: تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها"⁵.

¹ -مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، المرجع السابق، ص 57.

² -ينظر: المرجع نفسه، ص: 57-58.

³ -تحليل الخطاب: ج . ب . بروان ، و ج . يول **Browan et yole** " ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد لطفي الزليطني، والدكتور منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1418 هـ /1997م، ص 227.

⁴ -المرجع نفسه، ص 2-3.

⁵ -لسانيات النص: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 48.

السمة الثانية: أما السمة الثانية المميزة لكتابهما هي أنهما جعل المتكلم/الكاتب والمستمع/القارئ في قلب العملية التواصلية، لأننا لا نستطيع فهم النص/الخطاب إلا بوضعه في سياقه التواصلية زمانا و مكانا و مقاما¹.

يفهم من هذا الذي تقدم أن الباحثين يعيدان إلى الإنسان مكانته، وذلك "بوضعه في قلب عملية التواصل، سلطته اللغوية التي جردته منها بعض الاتجاهات اللسانية بتركيزها على اللغة كأشكال، أي باتخاذها اللغة هدفا أولا وأخيرا للبحث ومن ثم وضع باون ويول تميزا فاصلا بين لساني يتعامل مع اللغة كإنتاج و بين محلل يجعلها عملية و هذه ميزة تنضاف إلى السابقتين"².

ومما يلاحظ كذلك، وإضافة على ما سبق، أنهما دعيا أيضا إلى أخذ جميع عناصر العملية التواصلية بعين الاعتبار (المرسل - المرسل إليه - الرسالة - السياق...) في تحليل الخطاب، وهذا لجعل النص يرتبط بسياقه ارتباطا كليا، مما يتيح للقارئ المتمرس إدراك حقيقة العملية التواصلية التي تقوم بها اللغة من خلال النص الأدبي، فهما بهذا يوسعان من مجال تحليل الخطاب ليمس الترابط الداخلي والترابط الخارجي لنصل بذلك إلى فهم النص والوقوف على الرسالة التي يحملها.

ويمكن لنا في هذا المجال التاريخي لللسانيات النص تلخيص أطروحة يول و براون **Browan et yole** في كتابهما "تحليل الخطاب" فيما يلي في صيغة سؤال ورد في مقدمة الكتاب: "كيف يستعمل الإنسان اللغة من أجل التواصل، وعلى الخصوص، كيف ينشئ المرسل رسالات لغوية للمتلقي، وكيف يشتغل المتلقي في الرسالات اللغوية يقصد تأويلها؟"³

ولهذا فإن مفهوم الانسجام عند (براون ويول **Browan et yole**) يجعل المتكلم/الكاتب والمستمع/القارئ في قلب عملية التواصل، وهذه حقيقة لا بد من وعيها بدقة لأنها المتحكمة في المؤلف ككل.

¹- ينظر: لسانيات النص: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص: 48-49.

²- المرجع نفسه، ص 50

³- المرجع نفسه، ص 51.

يستتبع هذا التذكير التنبيه إلى أن هذين الباحثين، على خلاف كثير من باحثي الانسجام، "لا يعتبران انسجام الخطاب شيئاً معطى شيئاً موجوداً في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسدياته)، وإنما هو، في نظرهما، شيء يبيّن، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم. وبانجلاء هذه المسألة فحسب يمكننا فهم تركيزهما على انسجام التأويل وليس انسجام الخطاب، بتعبير آخر، يستمد الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير." ¹

وسنحاول في هذا المقام تبيان خلاصة المبادئ والعمليات التي تساعد على الانسجام عندهما، وبناء على ما تقدم يمكن لنا أن ننطلق من الافتراضين التاليين من أجل تحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام خطاب ما:

- "لا يملك الخطاب في ذاته مقومات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

- كل نص قابل للفهم و التأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح" ².

يتوقف اختبار هذين الافتراضين على مبادئ وعمليات الانسجام، فما هي إذن هذه المبادئ والعمليات؟

يذهب براون ويول (Browan et yole) إلى "أن السياق من أهم مبادئ الانسجام عندهما ولهذا يشيران، كإطار عام، إلى أن محل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان، لأنه يؤدي دوراً فعالاً في تأويل الخطاب، بل كثيراً ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين" ³.

¹-لسانيات النص: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص51.

²-المرجع نفسه، ص52.

³-المرجع نفسه، ص52.

نستخلص مما تقدم أن الخطاب "القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه بالمعنى المحدد سلفاً، إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته) ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظرفاً) تجعله غامضاً بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس. وما كان ممكناً أن يكون للخطاب معنى لولا الإمام بسياقه.¹ الذي أنجز فيه.

تلك كانت بعض نماذج السياق العامة، أما إذا كان الانطلاق من بعض العوامل السياقية في النص فإن النماذج التي يمكن أن تصنف في هذا المجال هي النماذج القائمة على نظرية الحدث، والأفعال الكلامية، ونماذج الممارسة، وعلى شهرة نظرية الحدث والأفعال الكلامية لأوستن (Austin)، وسيرل (Serale)، وما حدث فيها من تطوير بعدهما في التداولية المعاصرة، إلا أنها لم تطبق إلا على جمل مفردة، وقد تم اختبارها في بعض جوانب نصية ذات اتجاهات مختلفة... ومن أبرز تلك النماذج نموذج موتش (Motsch 1986)، الذي جعل فيه مفهوم حدث (الإنجاز النظري) وحدة القاعدة في تكوين النص... والإنجاز النظري هو الفعل الكلامي الثاني الذي يشير إلى ما ينبغي أن يعمل بالقول، وما ينبغي أن يحدث كما تشير نظرية الحدث والأفعال الكلامية...²

الاتجاه الإدراكي الإجرائي.

ظهر هذا الاتجاه بدافع من كثرة الرجوع إلى علم النفس الإدراكي لإيضاح عدد من القضايا اللغوية، إذ أفادت اللسانيات النصية من علم النفس الإدراكي في شرح كيفية إنتاج النصوص، وكيفية فهمها...

ونماذج النص الإجرائية يجب " أن تراعي كمية كبيرة من العمليات النفسانية عند نشأة النص ومعالجته، وبذلك تثبت بأي الطرق ينظم صانع الحدث بواسطة مجموعة محددة من

¹ - ينظر: لسانيات النص: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 56.

² - ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: فولجانج هاينه من، وديتر فيهفجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، المرجع السابق: ص: 56، 62-66 .

مضامين الوعي والإجراءات الأنواع المختلفة من الممارسات (خاصة بالطبع الممارسات اللغوية - الاتصالية).¹

ويصلح للتمثيل على هذا الاتجاه النموذج الذي قدمه دي بوجراندي (De Beaugrande) ودريسلي (Dressler) 1981م، إذ يريان أن المعايير التي ينبغي أن تعتمد في دراسة النص هي أربعة عوامل: " لغوي، ونفسي، واجتماعي، وذهني (معالجة الإنسان للمعطيات)، والمعايير، كما سبق الإشارة إليها، التي لا غنى عنها لتوافر صفة النصية، في تشكيلة لغوية ما، هي :

1- التضام: **Cohesion** وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص ...

2- التقارن: **Coherence** وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة، من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضاً محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية.

3- القصدية: **Intentionality** أي قصدية المنتج توفير التضام والتقارن في النص وأن يكون أداة لخطة موجهة لهدف.

4- التقبلية: **Acceptability** أي تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضاماً متقارناً ذا نفع للمستقبل وذا صلة به.

5- الموقفية: **Situationality** وهي تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع.

6- الإعلامية: **Informativity** وهي تشتمل على عامل الجودة (اللا يقين النسبي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث.

¹-ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: فولجانج هاينه من، وديتر فيهفجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، المرجع السابق، ص 81.

7- التناص: **Intertextuality** وهي تتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة، تم التعرف إليها في خبرات سابقة...¹

ويعلق دي بوجراند **De Beaugrande** على هذه المعايير، فيقول: "من هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص: (التضام والتقارن)، واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية)، فهو بحسب التقدير. ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يُفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعاً: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء **Processing**."²

زيادة على ما سبق ذكره، يرى "دوبوجراند" **Robert Alain de Beaugrand**، "أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية³ **Textuality**" من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص.⁴

وهنالك اتجاهات أخراة في التحليل النصي كالاتجاه السيميائي كما يتمثل عند جان كلود جيرو (**Jean Claude Giroud**)، ولوي باننيه⁵ (**Louis Panier**)، وكالاتجاه البلاغي؛ إذ تظهر جوانب منه في تحليل تون أ فاندايك، ولكنه يتمثل كمنطلق رئيس عند أوليفي روبول⁶ (**Olivier**)

¹ -مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص: 11-12.

² -النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1988م، ص 106.

³ -لسانيات النص: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص06.

⁴ -بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، المرجع السابق، ص340.

⁵ -السيميائية نظرية لتحليل الخطاب: جان كلود جيرو، ولوي بننيه، ترجمة الدكتور رشيد مالك، ضمن كتاب السيميائية أصولها وقواعدها، ص 105-125.

⁶ -لغة التربية (تحليل الخطاب البيداغوجي): أوليفي روبول، ترجمة عمر أوكان، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2002م، ص 21-22.

(Reboul، وعند هنريش بليث، على الرغم من الروافد السيميائية، والدلالية، والتداولية التي يدعم بها نموذجها في تحليل النص.¹

وأخيراً، فإنه حينما يذهب تون أ فانديك (T. Van. Dick) إلى أن علم لغة النص يجب أن يكون علماً متداخلاً الاختصاصات فهو لاشك محق في ذلك؛ لأن الجانب الاستعمالي، الذي هو جزء من نصية النص يجعل النص رهيناً في مقارنته بعلوم متنوعة من علوم التاريخ والأدب والإنشوجيا، والفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم القانون والاقتصاد والسياسية.²

وبناء على ذلك، فإن مناهج تناول النصوص تتعدد بتعدد تلك التداخلات في النص، وذلك إن كان في جانب منه يمثّل غنى للنظرية النصية اللسانية، بيد أنه في الجانب الآخر قد يشكّل نوعاً من التشتت، ونوعاً من التخبط المنهجي ما بين مناهج وصفية، ومناهج بنوية، وأخرى وظيفية أو غير ذلك من الطرق المنهجية التي حاول البحث أن يردّها إلى اتجاهات قد يستوعب الاتجاه الواحد منها أكثر من منهج بحثي، ولكنها جميعاً تقارب النص في إطار لغته، وهذا ما قد ينقذها من التفلت بعيداً عن النص.

أما أصلح اتجاه لمقاربة النص، فذلك مما يختلف باختلاف نوع النص، واختلاف الحيّز الاستعمالي له، مضافاً إلى ذلك التفاوت العلمي عند الباحثين، وتفاوت القدرة على التعامل التنظيري والتطبيقي من باحث إلى آخر.

لهذا يدعو فان ديك (T. Van. Dick) إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل وإنما على شكل وحدة أكبر وهي النص، ويعني ديك (T. Van. Dick) بالنص "البناء النظري النحتي المجرد لما يسمى عادة الخطاب"³.

¹ -البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص): هنريش بليث: ترجمة وتعليق الدكتور محمد العمري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م، ص 10-11.

² -ينظر: علم النص "مدخل متداخل الاختصاصات": تون أ فانديك، ترجمة وتعليق الدكتور سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة، الطبعة الثانية، 2005، ص 14 - 34.

³ -لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 29.

يهدف فان ديك (T. Van. Dick) بهذا التجاوز، أي تجاوز الجملة على الوحدة الخطاب كتجمل عملي لوحدة مجردة هي النص على تحقيق غاية أعم و هي "تفسير العلاقات النسقية بين النص وبين السياق التداولي"¹.

وعلى ما سبق، وجب طرح السؤال التالي، لفهم آراء فان ديك (T. Van. Dick) النصية، ما هي مظاهر الانسجام التي حللها فان ديك في كتابه "النص والسياق"؟

يجعل فان ديك (T. Van. Dick) الترابط هو مظهر من مظاهر الانسجام حيث يستعمل "مفهوم الترابط إلى علاقة خاصة بين الجمل، ولما كانت الجملة مقولة تركيبية والترابط علاقة دلالية فقد الباحث الحديث عن العلاقة بين قضيتي (أو قضايا) جملة ما أو جمل ما"².

ولكي يوضح بشكل ملموس، ما يعنيه بالترابط أعطى ثلاثة أمثلة يجمعها قاسم مشترك واحد (المقبولية أو عدمها) وهي:

- جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.
- جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيرا من الأسكنونات.
- جون أعزب، وإذن فأمستردام هي عاصمة هولاند.

فالجملة الأولى مقبولة والثانية أقل مقبولية والثالثة غير مقبولة³.

ورغبة في توحيد المفهوم يشير ديك (T. Van. Dick) على أن التعالق بين الوقائع الواردة في هذه الجمل يمكن أن يختزل في مفهوم موضوع التخاطب، وبناء عليه فإن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعالقة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب.

ومن هنا فإن الانسجام هو "أننا لا نستطيع تأويل جملة بمعزل عن الجمل الأخرى.

¹-لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص30

²-المرجع نفسه، ص: 34-35.

³-ينظر المرجع نفسه، ص34.

وهذا الترابط بين الجمل يعتمد على جملة من وسائل انسجام الخطاب عند فان ديك، كما أشار إليها في كتابه "النص والسياق"¹. ويمكن أن نجمل هذه الوسائل في النقاط التالية:

1. تطابق الذوات.

2. علاقات: التضمن، الجزء-الكل، الملكية.

3. مبدأ الحالة العادية المفترضة للعوامل.

4. مفهوم الإطار.

5. التطابق الإحالي.

6. تعالق المحمولات.

العلاقات الرابطة بين المواضيع الجديدة: علاقة الرؤية، التذكر... إلخ²

ولهذا الانسجام وسائل أخراة، زيادة على التي أشرنا إليها، منها ترتيب الخطاب الذي يعتبر مظهرها آخر من مظاهر الانسجام عند فان ديك (T. Van. Dick)، ويمكن أن نميز بين نوعين من الترتيب، "أولهما حر والثاني مقيد، ويكون الترتيب حرا إن لم يحدث فيه أثر دلالي أو تداولي، ويكون مقيدا إن أحدث فيه التغيير أحد هذين الأثرين، أو أدى إلى عدم انسجام الخطاب بعدما كان منسجما"³

والعلاقات التي تحكم الترتيب، وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والاهتمام... وقد حصرنا ها فيما يلي:

● العام - الخاص.

● الكل - الجزء.

¹ -لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص35.

² -ينظر المرجع نفسه، ص37.

³ -المرجع نفسه، ص38.

- المجموعة - المجموعة الفرعية - العنصر.
- المتضمن - المتضمن.
- الكبير - الصغير.
- الخارج - الداخل.
- المالك - المملوك.

يقارب ديك (T. Van. Dick) مظهرها آخر من مظاهر انسجام الخطاب (أو عدم انسجامه)، وهو مظهر لا نعتقد أن محلي الخطاب وعلماء النص يولونه اهتماما معينا، والمقصود لدى فان ديك (T. Van. Dick) بالخطاب التام أن كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب، ولأن الوقائع التي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر فإن الخطابات ليست تامة ولا تحتج إلى أن تكون كذلك، بمعنى أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية التي يعتبرها طرفا التخاطب ضرورية¹.

ويقرر ديك (T. Van. Dick) أن خطاب اللغة الطبيعية، إذا قيس بخطاب اللغة الصورية، يعد غير صريح أو قل يعد ضمنيا، مما يدفع المخاطب-القارئ إلى استغلال آلة الاستدلال، في بعض الأحيان، لفهم وتأويل الخطاب، ومن ثم يقيم ديك T. Van. Dick تمييزا بين:

1. الخطاب التام/الخطاب الصريح.

2. الخطاب الناقص/الخطاب الضمني."

إن موضوع الخطاب الذي يعد بنية دلالية بواسطتها يصف فان ديك T. Van. Dick انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب، لكن إذا بحثنا عن الوضوح والدقة متسائلين: ما هو موضوع الخطاب فإننا لن نجد إجابة دقيقة عما يعنيه، ويعتبر فان ديك T. Van. Dick نفسه بأن هذا المفهوم "فضفاض" ومن أجل تجاوز، أو على الأقل للتقليل من، هذا الطابع الفضفاض يلجأ فان ديك إلى تحليل ملموس لمقطع من القصة

¹ - ينظر لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 40.

البوليسية.¹ ويخلص إلى أن موضوع الخطاب يختزل وينظم ويصف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل، تلك هي وظيفته.

نخلص مما تقدم إلى أن لكل خطاب "بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، لا حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته."²

وتعد البنية الكلية افتراضاً يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتجعله مقبولاً كمفهوم، وقد وجد ديك **T. Van. Dick** أن مفهوم موضوع الخطاب، هو هذه الوسيلة.

بعدها بينا النظرية النصية لدى فان ديك **T. Van. Dick**، سنحاول تبين أهم تصنيفات السياق حسب هايمس (1964م) والتي أجمالها في النقاط التالية³:

- أ. المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- ب. المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- ج. الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- د. الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- هـ. المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصل، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه...
- و. القناة: كيف تم التواصل أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- ز. النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

¹ -لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص42.

² -المرجع نفسه، ص46.

³ -ينظر المرجع نفسه، ص53.

ح. شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية...

ط. المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف...

ي. الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي¹.

ونجد مبدأ التأويل المحلي يرتبط بما يمكن أن يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل "الآن"، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم "محمد" مثلا. ويقتضي هذا وجود مبادئ في تناول المتلقي تجعله قادرا على تحديد تأويل ملائم ومعقول لتعبير "البطل" في مناسبة قولية معينة.

إن أحد هذه المبادئ هو التأويل المحلي الذي يعلم المستمع بأن لا ينشئ سياقاً أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول على تأويل ما " أي عدم تحميل النص ما لا يطبق أي التقييد بالخطاب السابق كما يسميه ليفيس².

ومن ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي، القدرة على التوقع، أي توقع ما يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوفه (أي المتلقي) على السابق. إن تراكم التجارب (مواجهة المتلقي للخطابات) واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ على الفهم والتأويل بناء على المعطى النصي الموجود أمامه، ولكن بناء أيضا على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أي النظر إلى الخطاب الحالي في علاقة مع خطابات سابقة تشبهه، أو بتعبير اصطلاحى، انطلاقاً من "مبدأ التشابه"³.

إن النص كيفما كان نوعه لن يتكرر في الزمان وفي المكان، فهل معنى هذا أن كل نص يقتضي إنشاء أدوات خاصة به من أجل فهمه وتأويله؟

¹-لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص53

²-المرجع نفسه، ص57.

³-المرجع نفسه، ص57.

إن التشابه وارد دوماً وينسب متفاوتة؛ فإذا كانت "المضامين مختلفة والتعبير مختلفة فإن الخصائص النوعية تظل هي نادراً ما يلحقها التغيير، وإن حدث فلا يتم على شكل طفرة تقطع بها جميع صلات القرى مع النوع. مما تقدم ننتهي إلى أن مبدأي التشابه والتأويل المحلي يشكلان أساس افتراض الانسجام"¹ في تجربتنا في الحياة عامة ومن ثم في تجربتنا مع الخطاب كذلك.

ومن بين المبادئ التي ذكرت في هذا المجال مبدأ التغيريض، إلا أننا نجد باحثاً آخر يستعمل مفهوماً أعم وهو مفهوم البناء الذي يحدده فرايمس على النحو التالي: "كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية وفي اعتقادنا أن مفهومي التغيريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات. وإن شئنا التوضيح قلنا إن في الخطاب مركز جذب يؤسس منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه."² مثل الترجمة لشخص محدد، أو بلد.

العنوان وتغيريض الخطاب:

من أجزاء الخطاب التي تساعد في فهمه العنوان يعد من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إنهما وإن تفسيرا، وإن تفكيكا وإن تركيباً. ومن ثم، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي، فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيجائية، أو علاقات كلية أو جزئية.

فالعنوان إذن، إجراء آخر يتحكم في تغيريض الخطاب، ولكن براون و يول (Browan et yole)، على خلاف كثير من الباحثين، لا يعتبران العنوان موضوعاً لخطاب وإنما هو أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب (...). ووظيفة العنوان هي أنه وسيلة خاصة أن يكونه موضوع، بل

¹ -لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص59.

² -المرجع نفسه، ص59.

كثيرا ما يتحكم العنوان في تأويل المتلقي، كثيرا ما يؤدي كذلك تغير عنوان نص ما إلى تأويله وفق الجديد، بمعنى أن القارئ يكيف تأويله مع العنوان الجديد.¹

وهكذا، فالعنوان ليس عنصرا زائدا كما يعتقد الكثير من الباحثين والدارسين. وينطبق هذا الحكم أيضا على كل العتبات المجاورة للنص، من إهداء، واستهلال، وتقديم، واقتباس، وفهرسة، وهوامش، وصور، وحيثيات النشر.

وعلى ما سبق فالنص الموازي هو عنصر ضروري في تشكيل الدلالة، وإثراء المعنى. ومن هنا، فمن الضروري دراسة العتبات، وتفكيك المصاحبات المناسية، واستكشاف الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج، قصد إضاءة الداخل.

علاوة على ذلك، فإن عناوين النصوص والخطابات والكتب واللوحات والأعمال الفنية ذات وظائف رمزية مشفرة، ومسننة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات الغنية والثرية. ومن ثم، تشكل العناوين كلها مجموعة رمزية، والتي تبرز ميزتها الاصطلاحية حينما يحاول المرء ترجمتها من لغة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى.

كما يمكن لإطار لوحة فنية أو غلاف كتاب أن يوحيًا بطبيعة نظام الرموز، كما أن عنوان العمل الفني يشير غالبا إلى نظام الرموز أكثر من إشاراته إلى مضمون الرسالة.²

¹ -لسانيات النص، محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 60.

² -ينظر: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: مصطفى النحاس، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى،

1422هـ / 2001م، ص ص 58- 83.

عمليات الانسجام:

1-المعرفة الخلفية: لا يخفى على أي دارس للخطاب على "أن المستمع/القارئ حين يواجه خطابا ما لا يواجهه وهو خاوي الوفاض وإنما يستعين بتجاربه السابقة، بمعنى أنه لا يواجهه وهو خالي الذهن. فالمعروف ان معالجته للنص المعين تعتمد، من ضمن ما تعتمد، على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص (والتجارب) السابق له قراءتها ومعالجتها".¹

2-الأطر: وضع نظرية الأطر هذه مينسكي، وهي كمثلاثا طريقة تمثل بها المعرفة الخلفية، و يذهب هذا الباحث إلى أن معرفتنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطيات، يسميها (الأطر) تتمثل وضعيات جاهزة، وقد حدد مينسكي الطريقة التي تستعمل بها الأطر على نحو خاص، فحين يواجه شخص ما وضعية جديدة (...) فإنه يختار من الذاكرة بنية تسمى إطارا. وهو إطار متذكر للتكيف مع الواقع عن طريق تغيير التفاصيل حسب.

ويشير براون ويول إلى أن مينسكي طور نظرية الأطر مهتما أساسا بالإدراك البصري، والذاكرة البصرية.

وتعد الأطر تمثيلات نموذجية جاهزة لوضعية ما بحيث أن المتلقي لا يحتاج أن صادف كلمة "منزل" في خطاب ما، أن يذكر بأن لهذا المنزل سقفا وبابا، إلخ، باعتبار أن هذه المعلومات جاهزة لديه.²

3-الخطاطة: اعتبرت الخطاطات في البداية "بنيات معرفية تضم توجيهات حتمية تهيأ المجرى لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة، وكمثال على ذلك الأحكام العنصرية المسبقة التي يصدرها جنس بشري معين على جنس آخر بناء على خطاطة موجودة سلفا من أفراد ذلك الجنس. والمثال

¹-نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: مصطفى النحاس، المرجع السابق، ص:61

²-المرجع نفسه، ص 63.

الأقرب إلينا هو صورة العربي التي تشكلت لدى الأمريكيين، ومن ضمن مكوناتها أن العربي إنسان جاهل، كسول، إرهابي، لا منطق يحكم إفعاله، متهتك.¹

وخلاصة ما توصلنا إليه في هذا الفصل التاريخي أنه لا يمكن - ونحن نحاول أن نرصد إرسادات البحث النصي - أن تتجاوز إسهامات "دي سوسير" الذي كان له الفضل في توضيح قيمة الوحدة داخل النظام حيث ذهب إلى أنه وهم كبير أن ننظر إلى بنية لغوية معينة على اعتبار أنها مجرد اتحاد صوت/ صورة سمعية/ دال مع مفهوم/ مدلول، "فمحاولة تحديدها من هذه الوجهة فيه كثير من الإجحاف لما سترتب عنه من عزل لها عن النظام الذي تنتمي إليه، لأنه لا يمكننا بأية حال من الأحوال الانطلاق من الكلمات للوصول إلى النظام بل على العكس من ذلك، يتوجب علينا - يضيف سوسير - النظر إلى النظام ككل متكامل، ومنه نستطيع الوصول من خلال التحليل إلى العنصر المكوّنة له"² بعد ذلك بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى المشكلتين اللتين أشار إليهما هاريس، وإلى أهمية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللفظ والموقف الاجتماعي، مشكلين بذلك اتجاهها لسانيا جديدا، أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور منذ منتصف الستينات تقريبا وهذا الاتجاه عرف "بلسانيات النص".³

ولم تخل أعمال رواد هذا العلم من التعرّض إلى شرعية تجاوز المناولات السابقة التي كان النص غائبا منها غيابا تاما إلى منوال آخر يستوعبه أو يختص به. وقد انصبت جهود الدارسين على بيان ضرورة تحطّي المنوال الذي وضع لنحو الجملة والاهتمام بما سمي بنحو النص ولسانياته.

ويوضح الدكتور "سعد مصلوح" أهمية هذه النقلة من الجملة إلى النص واعتبارها للجانبين الدلالي والمقامي بقوله: "إن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجترأ والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى، فكان الاتجاه إلى نحو النص أمرا متوقعا واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث".⁴

¹ - المرجع نفسه، ص 67.

² - De saussure. F : cours de linguistique générale, payot, 1971, p 151.-

³ - البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 65.

⁴ - نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، المرجع السابق، ص 153.

أهداف لسانيات النص:

وانطلاقاً مما سبق ذكره، يمكن تبيان أهم أهداف لسانيات النص التي ألفيناها تهتم في وصفها وتحليلاتها بعناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية إلى جوار القواعد الدلالية والمنطقية¹.

فهي تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية حتى يمكن أن تفرز نظامًا من القيم والوظائف التي تشكل جواهر اللغة.

فليس من المجدي الاكتفاء بالوصف الظاهري لمفردات وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات مترابطة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات مختلفة.

كما اهتمت لسانيات النص بالمستوى الدلالي وذلك من خلال بحثها في العلاقات المعنوية التي تعمل على تماسك النصوص وانسجامها منطلقاً من كون النص وحدة دلالية كبرى² يمكن تحليلها بالنظر إلى مكوناتها الصغرى بالإضافة إلى عنايتها بالظروف والملازمات والسياقات الخارجية. عكس " نحو الجملة الذي أهمل السياق الاجتماعي ذو الدور الكبير في الدراسة اللغوية³ وقد أكد هذه الأهمية الاتجاه الوظيفي الذي رأى أن اللغة عبارة عن " وسيلة اتصال " يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف معينة.

ويمكن توضيح ذلك من خلال تعليل " فان ديك T. Van. Dick بقوله " : في كل الأنحاء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية، ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية مما جعل علماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرًا على وصف الجملة بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية - وبخاصة الجوانب الدلالية - لا يمكن أن

¹ - ينظر: ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 216 .

² - ينظر البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص 68 .

³ - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1982 م، ص 68 .

توصف إلا في إطار أوسع وهو نحو النص".¹ ومن ثم كان التعامل مع النص بوصفه حدثاً اتصالياً.

ويرى ديوجراندي (de Beaugrand) على أن العمل الأهم للسانيات النص هو "دراسة مفهوم النصية" **Textuality** " من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص"²

وتعتمد النصية على البنى الكبرى والتي تقوم على الجملة فما فوق، و"البنى تشتمل على عدة وحدات مثل النسق والعلاقات والعناصر والتماسك، ولذلك فإنه "عند التحليل يتم البحث في البنية الكبرى أو الوحدة الشاملة أو ما يسمى بالنموذج الفكري ذي الطبيعة الدلالية والتي تشتمل على المتواليات النصية التي يتحقق النص بتجاورها وتماسكها وانسجامها، وتتركبها الأفقي وظيفياً وبنويًا لاكتشاف الهيكل العام للنص"³، فهي متماسكة تماسكاً بنويًا شاملاً.

وينتقد دي بوجراندي ما فعله الوصفيون من تفتيت أجزاء نماذجهم المثالية "باصطناع وحدات صغرى يفرعونها من خلال التصنيف بحسب سماتها المميزة ويجعلون كل مستوى من مستويات هذه الوحدات الصغرى نظاماً من التقابلات المشتركة كالوحدات الصوتية والصرفية ثم ما ارتضوه من تجاهل العلاج الشامل للمعاني لكونه في نظرهم مستحيلاً . ثم ينقد التوليديين الذين بدأوا من الطرف الآخر وهو القواعد النحوية بوصفها مجموعة من الضوابط التي تحدد ما ينتمي وما لا ينتمي إلى اللغة."⁴

وأجلوا النظر في مسألة شمول قواعدهم بافتراض أن كل المركبات صالحة أن تستخرج من مكونات أبسط منها باستعمال الضوابط المناسبة لإنتاج جمل لا نهاية لها.

واعتمد التوليديون على المنطق الصوري والرياضيات حتى وصلوا بعملهم إلى الطابع القالبي الذي يتناقى مع زخم الاستعمال.

¹ -علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 36 .

² -النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراندي، ترجمة: د .تمام حسان، المرجع السابق، ص 95 .

³ -المرجع نفسه، ص 96.

⁴ -الخطاب والنص، مجهول صاحبه، www.angelfire.com/tx4/lisan/texts/literary.doc ، ص 90.

ومن هنا كان الأفضل، في نظر دي بوجراند، "النظر إلى المشكلة من وجهة نظر الترابط الرصفي والترابط المفهومي، وأن يكون موضوع الترابط الرصفي هو الدلالة النحوية. وأن يكون موضوع الترابط المفهومي هو النحو الدلالي"¹.

وعليه فإنّ عمل مصطلح نُحُو النص يتأسس على مصطلح نحو الجملة، وذلك لعدة أمور تتمثل في :

- 1 - الجملة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي ..
- 2 - أن السياق من أهم عوامل الاتصال وأداء المعن، وهذا أهمه نحو الجملة وركز عليه نحو النص.

ونحمل في نهاية هذا المبحث ما ذكرنا من الأطروحات النصية الأربعة التي هي على التوالي: هاليداي ورقية حسن (1976م) وتون فان ديك **T. Van. Dick** (1977م) وبراون ويول (1983م) وروجي شانك وجيري سيمث (1984م).

تعتبر هذه الأطروحات الأربعة أهم ما ذُكر في مجال لسانيات النص عند الغرب، وعليه سنذكر فيما يلي موقف العرب قديما وحديثا من لسانيات النص.

¹ - النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، المرجع السابق، ص 95.

المبحث الثالث: لسانيات النص عند العرب:

يجعلنا البحث في التراث العربي نقف على الإنجازات العظيمة التي قدمها أسلافنا في شتى صنوف العلم والمعرفة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق الفهم عندهم وبعد النظر؛ ويتجلى ذلك واضحاً في المدونات التي تزخر بها المكتبات العربية والعالمية، وبحثنا عن علاقة لسانيات النص بالنتجات العربية القديمة والحديثة يؤكد ذلك، ولذلك سنبين كرونولوجياً اهتمام العرب بالنص انطلاقاً من الدراسات القديمة وصولاً إلى الدراسات العربية الحديثة.

وزيادة في التوضيح، ومن أجل التأريخ الصحيح لبدایات لسانيات النص في اللغة العربية، ينبغي أن نعود إلى الجذور الأولى، في وقفة علمية مع التراث العربي لنحاول رصد ما كتب في هذا المجال ثم نعود إلى ما أنتجه العرب المحدثون فيما يخص لسانيات النص، وسأركز على نظرية النظم عند الجرجاني لأهميتها وقيمتها العلمية قديماً وحديثاً.

ومما يلاحظ بداية، فإن تجاوز عتبة الجملة في التراث العربي بدأ متخللاً في ثنايا دراسة نحو الجملة. يقول محمد الشاوش عن عمل النحاة العرب: " والمرء لا يشعر وهو يطالع على ما وضعوا بأنه تجاه نظريتين بنيت الواحدة منهما للجملة والأخرى للنص، بل هي النظرية الواحدة بما فيها من قواعد خاصة بكل مجال، وقواعد عامة مشتركة بين المجالين، فلا فرق إلا بحسب ما يقتضيه الفرق بين الوحدات التي تجري فيها تلك القواعد والأحكام..."¹.

ولكن الاهتمام بالنص اتخذ بعداً بينياً في العلوم الإسلامية المختلفة منذ بداية نشأتها، وإن لم يكن هنالك تصور تنظيري محدد للتعامل مع علم خاص بما فوق الجملة، ولأهمية هذا الأمر البالغة؛ فسيعرض الباحث أمثلة متنوعة لتجاوز القدماء لعتبة الجملة في بعض دراساتهم المهمة الموزعة بين أكثر من مجال معرّفي.

فقد قام القدماء بجهود كبيرة ذات منزع نصي، ولكنها كانت متفرقة بين أكثر من علم وأكثر من عصر، غير أنه من الواجب في هذا المقام الإشارة إلى طَرفٍ من أهم تلك الجهود.

¹ - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المرجع السابق، ص 1267.

ومن هنا، تحسن الإشارة إلى موقف القدماء من النظرة الشمولية للنص، وإن كانوا لم يفهموا هذا المصطلح كفهم المعاصرين له، ومن أهم الإشارات في هذا المجال تنبه (الإمام الشافعي 294هـ) مؤسس علم الأصول إلى أهمية النظرة الكلية للنص للوصول إلى معانيه الحقيقية، ودلالاته الصحيحة.

فقد وجدناه يقول في هذا الصدد: " إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يُراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيُستدل على هذا ببعض ماخوطف به فيه. وعاماً ظاهراً يراد به الخاص. وظاهراً يُعرف في سياقه، أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره.

وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها عن أوله "1.

وواضح من خلال النص السابق، بأن الشافعي (294هـ) لم يتنبه إلى أهمية النظرة الكلية للنص فقط، وإنما أشار كذلك إلى أهمية السياق الذي قد يُغيّر المعنى كلياً.

وعند النظر إلى النص بوصفه: مجموعة دلالات خالصة ناتجة عن دلالات مركبة متعاقبة إذ النص يشكّل مسألة دلالية في الأساس²، يكون الشافعي مؤسساً لعلم الأصول، ولعلم النص إن صح هذا التعبير على سبيل التحوُّز.

ووجدنا بعد الشافعي (294هـ) كتب الأصول تتلاحق تترأ، وتتعد نظراتها إلى مسائله بتعدد المذاهب الفقهية، ولكنها متفرعة عن أصول الشافعي (294هـ)؛ لذلك فإن محمد مفتاح يعلّق على نصٍ (للشاطبي 790هـ)، يكاد يكون شرحاً لنص الشافعي السابق، فيقول: " يلحُ هذا القول

¹ -الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، بدون بيانات، ص 51-52.

² -ينظر: النص: بنى ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص): تون أ. فان دايك، ترجمة: منذر عياشي ضمن كتاب العلامةية وعلم النص، المرجع سابق، ص 145، 153 - 154 .

على مفهوم العلاقة بين مفاهيم النص، وجمله، وفقراته وعلى الدور الذي يمنح للمفهوم ضمن بنية كلية¹.

ولا يمكن بناء على هذا القول اعتبار البلاغة، لوحدها، هي السابقة التاريخية، لعلم النص في التراث العربي كما يذهب صلاح فضل، الذي ينقل نصاً لـ (فاندايك) ويعلق عليه كالمقتر له²، وكما يذهب الفقي³، الذي ينقله دون تعليق، كما لا يمكن أيضاً الاتفاقُ تمام الاتفاق مع محمد الشاوش في طريقة منظوره إلى تأسيس نحو النص في النظرية النحوية العربية⁴، لإهماله الانطلاق من علم أصول الفقه الذي يُعدّ بحق السابقة التاريخية لكل تنظير في علم اللغة النصي، في النظرية النحوية العربية الموسعة، مع النظر بعين الأهمية إلى جهود علماء النحو والبلاغة المنصبة في إطار النص.

ولإيضاح جوانب من الجهد النصي عند القدماء لتجاوز عتبة الجملة، سيقف الباحث عند بعض كتب القدماء، متخذاً منها عينة لغيرها من الكتب، ففي أصول الفقه تم اختيار (المستصفي من علم الأصول) للإمام الغزالي، وفي علوم القرآن تم اختيار (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، وفي البلاغة تم اختيار (دلائل الإعجاز) الذي بث فيه الجرجاني أسس (نظرية النظم)، وفي النحو تم اختيار (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري.

- أصول الفقه: (المستصفي من علم الأصول) للغزالي.

إن كتب أصول الفقه تمثل المرجع الأول في التراث العربي لمقاربة مفهوم الخطاب /النص، وينبغي لكل باحث في نظرية النص إن يهدف التأصيل، أو يهدف البحث إيلاء هذا المرجع مكانه اللائق به، فنظريات أصول الفقه هي التي استعمل المفسرون والفقهاء قواعدها في تفسير النصوص، والتعامل الدلالي معها.

¹- مجهول البيان: محمد مفتاح، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1990، ص 99.

²- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المرجع السابق، ص: 252-253.

³- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 83.

⁴- ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المرجع السابق، ج 1، ص:

15-16. وج 2، ص: 1274-1290.

يجمع المهتمين بهذا العلم على أن علم أصول الفقه يهتم بمعرفة كيفية استحصال أحكام الأدلة الشرعية من النصوص، ومعرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة، لا من حيث التفصيل¹، وقد كان للأصوليين "باع في توضيح طرق الاستنباط خصوصاً ما يتعلق بالقواعد اللغوية... كما تناولوا البحث في الألفاظ ودلالاتها"².

ولقد ألفتنا البحث الأصولي بعد الشافعي (294هـ) انقسم إلى طريقتين "إحداها طريقة نظرية، تقوم على تحقيق القواعد تحقيقاً منطقياً، وإقرار ما يؤيده البرهان النقلي والعقلي منها، دون تأثر بفروع مذهب من المذاهب... وقد ظهر هذا الاتجاه عند الشافعية، والمالكية، والحنابلة، والشيعية الإمامية، والزيدية، والإباضية. ولقد كان فريق كبير من هؤلاء من علماء الكلام، فسميت طريقة المتكلمين.

والثانية . طريقة تقوم على محاولة ضبط فروع أئمة الحنفية بقواعد جديدة تعتبر هي الأصول، ثم رد تلك الفروع إليها..."³

وينتمي الإمام الغزالي إلى الطريقة الأولى، بيد أن الباحث سيشير إلى الطريقتين معاً؛ لإيضاح أن الأصوليين هم من الأوائل الذين حاولوا تصنيف الدلالات الخالصة للنصوص، ويسميها الأصوليون الإفادة المستقلة، أو غير المستقلة للفظ المركب المفيد، أو أقسام اللفظ باعتبار الوضوح وعدمه.

¹ -المستصفي من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1322هـ، تصوير مؤسسة الرسالة، الجزء الأول، ص 5.

² -التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبد الغفار، مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، ص36.

³ -تفسير النصوص في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة): محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م/1392هـ، ص: 98-99.

وفي هذا يوضح الغزالي بأن "المركب من الاسم والفعل والحرف تركيباً مفيداً ينقسم إلى مستقل بالإفادة من كل وجه، وإلى مالا يستقل بالإفادة إلا بقرينة، وإلى ما يستقل بالإفادة من وجه دون وجه"¹.

ويسمي القسم الأول (النص)، ويجعله ضربين ضرب هو نص بلفظه ونظمه، وضرب هو نص بفحواه ومفهومه، ويسمي القسم الثاني مجماً أو مبهماً، ويسمي القسم الثالث ظاهراً.

ويتحدث الغزالي، أيضاً، عن أنواع القرائن في الجمل الذي يتطرق إليه الاحتمال، ولا يعرف إلا بقرينة لفظية، أو دليل عقلي، أو قرائن أحوال من إشارات، ورموز، وحركات، وسوابق، ولواحق، لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بإدراكها المشاهد²، وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية السياق الخارجي في فهم النصوص.

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المجال، هو أنّ الأصوليين تنبهوا إلى ما يطلق عليه اليوم (التداولية)³، وهي منظور مهم جداً في النص لارتباط النص بالاستعمال، ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ إذ نجد الغزالي يشترط في مفهوم (الخطاب) لديه اقتزانه بالإفهام، فيقول: "إنما يسمى خطاباً إذا فهمه المخاطب"⁴.

ونجد الغزالي يعود مرة أخرى إلى إيضاح مفهوم النص عند الأصوليين؛ فيبين بأن "اللفظ الدال الذي ليس بمجمل إما أن يكون نصاً وإما أن يكون ظاهراً، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمله... وبقي عليك الآن أن تعرف الاختلاف في إطلاق لفظ النص... فنقول: النص اسم مشترك يطلق في تعارف العلماء على ثلاثة أوجه: الأول ما أطلقه الشافعي رحمه الله فإنه سمى الظاهر نصاً... الثاني: وهو الأشهر ما لا يتطرق إليه احتمال أصلاً لا على قرب ولا على بعد، الثالث: التعبير بالنص عما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل، أما

¹ -المستصفي من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 334.

² -ينظر: المرجع نفسه، الجزء الأول، ص: 336-340.

³ -ينظر: التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي" مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 129-172.

⁴ -المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 375.

الاحتمال الذي لا يعضده دليل فلا يخرج اللفظ عن كونه نصاً... والثاني أوجه، وأشهر، وعن الاشتباه بالظاهر أبعد".¹

ويتطرق الغزالي كذلك إلى العام والخاص، ويجعل العموم والخصوص من عوارض الألفاظ لا من عوارض المعاني، ويذكر صيغ العموم... ويفصّل في الاستثناء من الجمل المتعاقبة، كما يفصّل في الشرط، ويفصّل في الأدلة التي يختص بها العموم ومنها المفهوم بالفحوى... كما يختصّ باباً (فيما يُقْتَبَس من الألفاظ لا من حيث صيغتها، بل من حيث فحواها وإشارتها) ويجعل منها: الاقتضاء وهو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقاً به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ، ويجعل منها إشارة اللفظ لا من اللفظ، ويقصد به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه [وهنا مدخل للتناص]، ويجعل منها أيضاً فهم غير المنطوق به من المنطوق به بدلالة سياق الكلام ومقصوده [وهذا له علاقة بالسياق الداخلي للنص]، ويجعل منها المفهوم أو دليل الخطاب.²

وهذه كلها مباحث مهمة لها علاقة بالنص في روابطه، وعلاقاته الدلالية، وسياقه، وفهمه فكيف نُظِر إلى النص في علوم القرآن؟

- علوم القرآن : (البرهان في علوم القرآن) للزركشي.

تمثّل علوم القرآن امتداداً لعلم أصول الفقه، وفي علوم القرآن كثير من المباحث التي تصب في الاتجاه النصي³؛ إذ منطلقها الأساس هو التعامل مع نص القرآن الكريم، وسوف تُكشِف بعض الإشارات النصية المهمة في علوم القرآن من خلال كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، فمن الإشارات القيّمة للزركشي في هذا المجال: حديثه عن أهمية معرفة أسباب النزول وأنه مهم للوقوف على المعنى.⁴

¹ -التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، مسعود صحراوي المرجع السابق، الجزء الأول، ص: 384-386.

² -ينظر: التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، مسعود صحراوي المرجع السابق، الجزء الثاني، ص: 32-35، ص: 98-105، ص: 163_204.

³ -ينظر: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: أشرف عبد البديع عبد الكريم، دار فرحة، المنيا، 2003م.

⁴ -البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، الجزء الأول، ص 45.

ومعرفة الدافع أو السبب في إنتاج نص ما، ليس مهماً فقط لفهم المعنى، بل هو مهم أيضاً لكشف الاستراتيجية المتبعة في النص، ومن الإشارات المهمة لدى الزركشي، ولها علاقة بالتماسك النصي، حديثه عن معرفة المناسبات بين الآيات، وذكره عن الشيخ أبي الحسن الشهرستاني أن " أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو: الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري (324هـ)، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"¹

ولهذا وجدنا الزركشي يخصص أنواع ارتباط الآي ببعضها بحديث مستقل، فذكر أن الارتباط بين الآيات قد يظهر لتعلق الكلام ببعضه ببعض، وعدم تمامه، أو يظهر الارتباط إذا كانت الآية الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وقد يخفى الارتباط، فيظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، فعندئذٍ، إما أن تعطف إحداها على الأخرى بجهة جامعة... وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين، وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط فتحتاج إلى شرح.

وقد لا يكون هناك عطف، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط... منها التنظير (إلحاق النظر بالنظير)، والمضادة، والاستطراد، وذكر أن العطف بين الجمل مزج لفظي، أما إلحاق الجملة الجملة من غير عطف فهو مزج معنوي تنزل بها الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني.²

¹- ينظر: المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 62- 63.

²- ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، المرجع السابق، الجزء الأول، ص: 66- 81.

ومن أمثلة اتساق النص القرآني قوله تعالى: "وغرايب سود"¹ حيث إن (الغرايب) متضمنة لمعنى (السود) ومع ذلك ذكر السود، وذلك لأنه "ذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام"².

وبيّن الزركشي أهمية إعراب القرآن، وعلاقة ذلك ببيان المعنى، ومعرفة أغراض المتكلمين³، كما تعرّض للوقف والابتداء وهو مهم لبيان المعنى، ويؤمّن الاحتراز به عن الوقوع في المشكلات، ويقصد بالمشكلات تلك التي تنشأ من وصل القراءة الشفهية في غير موضع الوصل، وقد ذكر الزركشي عدد من المصنفات المستقلة في الوقف والابتداء؛ دلالة على أهميته⁴، ولا شك أن مسألة الوقف ومواضعه في تحليل النص الشفهي من الأهمية بمكان، بل هي عامل ضروري في تماسك النص الشفهي.

إذا كانت تلك هي نظرة علوم القرآن إلى عوامل تماسك النص القرآني، فما هي المباحث البلاغية ذات الاتجاه النصي؟

- البلاغة: نظرية النظم في كتاب (دلائل الإعجاز) للجرجاني (471هـ).

إنّ المتتبع للدراسات البلاغية العربية القديمة يجد فيها بحوثاً كثيرة ذات اتجاه نصي⁵، لأن البلاغة، كما يرى المحدثون "هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص"⁶.

ولعل من أهم مباحثها مبحث الوصل والفصل، ومن ذلك أيضاً صحة التقسيم وهو تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، وصحة التفسير، وهو أن يورد معاني فيحتاج إلى

¹ - سورة فاطر، الآية 27.

² - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج2، المرجع السابق، ص445.

³ - المرجع نفسه: الجزء الأول، ص: 377-386.

⁴ - المرجع نفسه: الجزء الأول، ص: 415 - 436.

⁵ - ينظر: جبك النص "منظورات من التراث العربي": محمد العبد، مجلة الدراسات اللغوية، مج الثالث، ع الثالث، رجب ورمضان 1422هـ/ أكتوبر وديسمبر 2001، ص ص 138-220.

⁶ - بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، المرجع السابق، ص250.

شرح أحوالها...¹ ومنها العكس وهو أن تعكس الكلام " فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول"².

والعكس بهذا المفهوم استراتيجية يستعملها كثير من المتحدثين؛ لتعطيهم وقفة عقلية لصياغة الجملة التالية، ومنها الرجوع وهو " أن يذكر الشيء ثم يرجع عنه كقول القائل: ليس معك من العقل شيء، بلى بمقدار ما يوجب الحجة عليك."³

والرجوع إضافة إلى علاقته بالتماسك الدلالي، هو استراتيجية حجاجية، ومما له علاقة بالتماسك الدلالي الاستطراد " وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه..."⁴.

ومن تلك المباحث أيضاً: جمع المؤنث والمختلف...، والتوشيح، وشرحه أبو هلال العسكري بأنه ما كان مبتدأ الكلام فيه ينبئ عن مقطعه وأوله يخبر عن آخره⁵، وغير ذلك من المحسنات اللفظية، والمعنوية التي جعلها القدماء كالحلية الزائدة مع أن لها دوراً مهماً في التماسك اللفظي والدلالي للنص.

ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو مبحث الوصل والفصل، الذي له ارتباط وثيق بمصطلح التماسك النصي، وقد تميّز عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في تناوله لهذا المبحث في إطار نظرية النظم؛ ولذلك فهو يقول في أهمية الوصل والفصل " اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب."⁶

¹ - ينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1989م، ص 375 - 382.

² - المرجع نفسه: ص 411.

³ - المرجع نفسه: ص 443.

⁴ - المرجع نفسه: ص 443.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 452، وص 425.

⁶ - دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، المصدر السابق، ص 158.

وينظر عبد القاهر الجرجاني إلى الوصل والفصل من خلال (العطف)، أو عدمه، كما ينظر عبد القاهر الجرجاني (471هـ) إلى عطف جملة على جملة أخرى معتمداً على مقولة المجل الإعرابي؛ لذلك فعطف الجمل عنده على ضربين:

أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، "وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد... فإذا قلت: (مررت برجلٍ خُلِّقه حَسَنًا، وخُلِّقه قَبِيحًا) كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جَرٍّ بأنها صفة للنكرة، ونظائر ذلك تكثر، والأمر فيها يسهل"¹.

والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني: وذلك أن "تعطف على الجملة العارية الموضع الإعراب جملة أخرى، كقولك: (زيد قائم وعمرو قاعد) (والعلم حسن والجهل قبيح)... لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن (الواو) أشركت الثانية في إعرابٍ قد وجب للأولى بوجه من الوجوه"².

يذهب عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، بناء على ذلك، إلى أنه يجب مراعاة أشياء أخرى، وتلك الأشياء ترجع إلى المعاني؛ بحيث تكون جهة جامعة في مثل هذه الحالة.³

وفي الفصل بين الجمل يرى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) أنه يكون في الجملة المؤكدة للتي قبلها، وكذلك حينما تختلف جهة الكلام من الحكاية إلى الخبر والعكس... ويذهب بعد ذلك إلى التفصيل في مواضع الفصل تفصيلاً دقيقاً يسنده آيات من القرآن الكريم وآيات من الشعر العربي⁴ ويرى الفقهي أن مصطلح التماسك مرادف لمصطلح التعليق عند عبد القاهر (471هـ)⁵، وهذا قد لا يكون صحيحاً على إطلاقه وعمومه، ولا يساعد عليه النص المقتبس من الجرجاني عند

¹ - دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، المصدر السابق، ص153.

² - المصدر نفسه، ص 153.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص: 153 - 154.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص: 155-156.

⁵ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي إبراهيم الفقهي، ج1، المرجع السابق، ص 78.

الفقي، ولكن الأولى بالصواب، فيما أرى، عدُّ مصطلح (النظم) أو (الضم) عند عبدالقاهر (471هـ) أقرب إلى مصطلح التماسك في المفهوم من مصطلح التعليق¹.

ولأجل ذلك فإن نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) من أهم النظريات في الجهد اللغوي العربي عند القدماء، وقد تناولها اللسانيون، والنقاد، والبلاغيون، والمفكرون بالدرس.

ولكن من المهم أن يعرف في هذا المقام أن عبد القاهر الجرجاني (471هـ) يقيم نظريته في (النظم) على النحو؛ إذ يقول: "ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا إن كنت وقيته حقه من النظر، وتدبرته حق التدبر، إلا أنك قد علمت علماً أبي أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهب أن ليس النظم شيئاً إلا توحي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ... 2"

وإذا كان عبد القاهر (471هـ) قد أقام علم النظم على دراسة التبعيات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم، كما تقول إلهام أبوغزالة وعلي خليل حمد، فإنهما قد أشارا بمزيد من الإكبار لمباحث متعددة عند عبد القاهر لها علاقة بالنظرية النصية التي يعملان عليها.³

ولهذا كله وجب معرفياً تبيان مواقف النقاد العرب المحدثين من نظرية النظم عند الجرجاني (471هـ)، وعليه يمكن القول، استنباطاً من الدراسات العربية الحديثة التي اهتمت بهذا الشأن، بأن البلاغيين والنقاد العرب المحدثين يقفون في تقييمهم لنظرية النظم عند الجرجاني (471هـ) مواقف متباينة، هي - كما ألفناها - امتداد لمواقفهم المبدئية من التراث العربي برمته: فمنهم من يقف منها موقف الرضى والإعجاب إلى الحد الذي يدفعه إلى وضعها على قدم المساواة مع أحدث ما انتهت إليه المدارس والاتجاهات النقدية الحديثة في الغرب، إن لم نقل: تفضيلها عليها.

¹- ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): محمد الشاوش، ج1، المرجع السابق، ص: 75-76

²- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، المصدر السابق، ص: 335-336.

³- ينظر: مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر)، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص 18.

فيصبح هذا الإعجاب البالغ حدّ التقديس سجنًا لصاحبه، يجبس نفسه فيه، ويحول بينه وبين الانفتاح على منجزات الآخر، الذي يصبح بمنزلة الخصم؛ فلا يعود كافيًا أن نفخر بما عندنا ونعتدّ به، بل لا بدّ - في المقابل - من أن نطعن في منجزات ذلك الآخر ونقلل من شأنها، حتّى نثبت أنّنا بماضينا أفضل منه بحاضره¹.

ويمكننا أن نعدّ من هؤلاء - في منتصف القرن الماضي - محمد مندور، الذي دفعه حماسه للجرجاني وإعجابه بنظريّته في النظم إلى وضعه جنباً إلى جنب مع كبار النقاد المحدثين في الغرب، يقول في كتابه "النقد المنهجي عند العرب": "وفي الحقّ إنّ عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلّها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهمّيّته، مذهب يشهد لصاحبه بعقريّة لغويّة منقطعة النظير. وعلى أساس هذا المذهب كوّن مبادئه في إدراك "دلائل الإعجاز". مذهب عبد القاهر هو أصحّ وأحدث ما وصل إليه عليم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري الثبّت فرديناند دي سوسير **Ferdinand de saussure** الذي توفي سنة 1913م².

ونجد إلى جانب مندور مصطفى ناصف، والولي محمد. إذ يقول الأوّل: "لقد عجبْتُ حين خُيّل إليّ - أكثر من مرة - أنّ بعض منحنيات النقد القديم ذات الأهمّيّة، لا تنفصل انفصلاً حاداً عن النقد المعاصر"³.

وبحرص أشدّ يقول الثاني: "وما تزال التساؤلات التي أثارها الجرجاني بشأن الاستعارة تحتفظ إلى اليوم بالكثير من المعاصرة. لقد كان وهماً ما تصوّرناه - ونحن واقعون تحت تأثير النقد الاجتماعي والنفسي والتاريخي والانطباعي - من إمكان تجاوز البلاغة القديمة باعتبارها واعد جامدة. وإذا كانت هذه البلاغة قد فقدت الكثير من المواقع في المؤسسات التعليمية، فإن ثورة علوم اللغة وما أعقب ذلك قد نبّه الأذهان إلى أنّ البلاغة لن تموت، وخاصة إذا كانت بحجم

¹ - ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): محمد الشاوش، ج1، المرجع السابق، ص76.

² - النقد المنهجي عند العرب: محمد مندور، دار نضضة مصر، القاهرة، ص333-334.

³ - الصورة الشعريّة في الخطاب البلاغي النقدي: الولي محمد، المركز الثقافي، بيروت، 1990، ص 66.

بلاغة الجرجاني. إنّ العودة إلى الجرجاني هي عودة إلى نصّ لم يفقد جدّته، نصّ يثير من التساؤلات أكثر ممّا يقدّم من أجوبة قاطعة، نصّ يفتح باب الاجتهاد ويتركه كذلك¹.

وإلى هذه الجماعة يمكننا أن ننسب عبد العزيز حمودة، الذي لا يقل اندفاعه وحماسه عن أيّ من أسلفنا، ولا سيّما في ثلاثيته: المرايا المحدّبة، والمرايا المقعّرة، والخروج من التيه؛ التي تجسّم فيها مؤونة نقد النظريّات النقدية الحدائّية وما بعد الحدائّية، سواء في نسخها الغربيّة أو العربيّة، ثمّ حاول أن يقدّم بديلاً عربيّاً أصيلاً، وكانت نظريّة الجرجاني أفضل ما يمكن أن يتشبّث به لتحقيق ذلك الغرض، وإن كان يحاول جاهداً أن يظهر بمظهر المعتدل ويحتال في ذلك بكثير من عبارات الاحتراز والاحتياط، ولكنّ ميّله لا يلبث أن يغلبه.

يقول حمودة في "المرايا المقعّرة": "إنّ النظم يمثّل مكوّناً في نظرية لغوية لا تقلّ سماتها وضوحاً عن سمات أيّ نظرية لغوية حديثة. والواقع أنّ مفهوم "النظم" يمثّل العمود الفقريّ لنظرية لغوية عربية لا تقلّ تكاملاً - من ناحية اتّساقها على الأقلّ - عن أيّ نظريّة لغوية حديثة، بما في ذلك نظرية فرديناند دي سوسير التي اتخذتها علوم اللغة نقطة انطلاق إلى تشعبات وتفرّعات لغوية ونقدية شبه لا نهائية"².

ويقول متجاوزاً نطاق الجرجاني (471هـ): "بعد كلّ ما قدّمناه، لا أظنّ أنّنا بحاجة إلى إعادة تأكيد أنّ العقل العربيّ قد عكف منذ القرن الثالث الهجريّ وحتىّ نهاية القرن الخامس على تطوير نظريّة لغويّة لا تختلف في مكوناتها كثيراً عن مفردات علم اللغويات الحديث الذي أسّس له فرديناند دي سوسير في بداية القرن العشرين"³.

المزلق الحقيقي الذي يقع فيه حمودة وربّما غيره من أصحاب هذه الفئة هو أنّه يجد نفسه مضطراً إلى نقد - بل نقض وهدم - كلّ ما أتت به المدارس النقديّة الحديثة، ليتّخذ من ذلك

¹ -النقد العربيّ - نحو نظرية ثانية: مصطفى ناصف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص 22.

² -المرايا المقعّرة، (نحو نظرية نقدية عربية): عبد العزيز حمودة، ص 220.

³ -المرجع نفسه، ص 243.

مدخلاً إلى اقتراح بديل عربيّ، هو - في الحقيقة - غير موجود في الحاضر العربيّ، وإمّا في التراث العربيّ، في القرن الخامس الهجريّ، وبالتحديد: عند عبد القاهر الجرجاني!

ألا يمكننا أن نقدّم نظريّة عربيّة، دون أن نبدأ بهدم منجزات الحداثة الغربيّة؟! ألا يمكن الاحتفاظ بالنموذجين معاً؟! لماذا نضيّق واسعاً؟!!

فنحن إمّا أن نتبعهم، ونسير في أذيالهم، وإمّا أن ننشغل بهجائهم، والطنع في كلّ ما يأتي من جهتهم، وبيان مساوئه، وإظهار التوجّس والارتياح ممّا يتضمّنه - بلا شكّ - من شرور ومضارّ! أنا أتفهم أن يبدأ حمودة أو غيره من النقاد العرب بنقد طرائق العرب في الاستفادة من النظريات والمدارس الغربيّة؛ لأنّها - في الواقع - قاصرة ومضطربة وعقيمة، تفتقر إلى النضج والوعي.

فلماذا يصرّ الناقد العربيّ على أن يتجاوز" بنقده هذا الحدّ ليطال به مدارس القوم ومذاهبهم في عقر دارهم؟! وكأنه لا يعلم أنّ نشأتها عندهم أسباباً تاريخيّة وثقافية تجعل من هذه النشأة في تلك البيئة أمراً طبيعياً ومنطقياً، وأنّها لم تُجلب إليهم جلباً كما هي حالها عندنا، وإمّا ثمة ظروف وملابسات حضاريّة خاصّة بهم هي التي دعت إلى نشأتها وتسييرها في الاتجاهات التي تسير فيها"¹.

وأما الذين انبهروا بحضارة الغرب الحديث في كلّ نواحيها: الماديّة والفكريّة، فهم الذين يقفون في الطرف الآخر على النقيض تماماً من الطرف الأوّل، وأدّت بهم المقارنة بين تلك الحضارة المفعمة بالحياة والتقدّم وبين الواقع العربيّ الراكد المتخلّف إلى ازدراء هذا الواقع والاستخزاء منه.

¹ -حبك النص "منظورات من التراث العربي": محمد العبد، المرجع السابق، ص 136.

لم يكتفوا بذلك، بل سحبوا هذا الازدراء على التراث العربيّ بجملته، وأبوا أن يتخذوا منه أساساً لمعاودة بناء حضارة عربيّة جديدة، وإنما عكفوا على محاولة اصطناع نسخة عربيّة من الحضارة الغربيّة الحديثة لتكون هي ذلك الأساس الذي سينطلق منه العرب لبناء حضارتهم في هذا العصر.¹

حيث تجاهلوا في "ذلك بديهيات لا يمكن تجاوزها أو التحايل عليها بهذه السهولة، أبينها: أنّ المدارس العلميّة والاتجاهات الفكرية في الغرب إنّما نشأت تلبية لحاجات خاصّة بتلك الشعوب، وكانت نتيجةً لصراعات تاريخيّة طويلة، فهي بالنسبة إليهم بمنزلة المكتسبات الحضاريّة الذاتية، التي يصعب نقلها - في صورتها النهائيّة - إلى أيّ مجتمع آخر لتؤدي الوظيفة الحضاريّة نفسها التي أدتها في مجتمعاتها الأمّ؛ بسبب اختلاف السياق التاريخي والحضاريّ بين تلك المجتمعات وغيرها، في حين أنّ "نظرية الجرجاني" نشأت في تربية عربيّة، لتلبية حاجات فكريّة خاصّة بالمجتمع العربيّ - في حينها -، وهي حاجات لها أبعادها الدينيّة والأدبيّة، وحتىّ السياسيّة"².

ومن خير من يمثله - في بداية القرن الماضي - ميخائيل نعيمة. الذي يصرّح في كتابه "الغريال" بلهجة فيها كثير من الاحتقار والسخرية من العقل العربيّ عامّة، حتىّ في أوج ازدهاره، وذروة عطائه وإبداعه، مقارنةً بينه وبين "العقل الغربيّ" الحديث³.

وعلى أيّة حال، فلعلّه يكون من الملائم هنا الإشارة إلى أنّ هذا الفريق الذي يقف من التراث موقفاً هجائياً، عادة ما يكون ذلك مبنياً على انبهاره بالحاضر الغربيّ، ورغبته الجارحة في الالتحاق بركبه.

وهو يصب جام غضبه على الذين يقولون له: وهل نسيت - أو أنت جاهل - أسماء امرئ القيس والنابعة الذيباني ولبيد وعلقمة الفحل وعنتره والمهلhel والمنتبي والهمذاني والأخطل وجريير وابن رشد وابن سينا... الخ من الأقدمين، وشوقي وحافظ والمطران وكثير سواهم من المحدثين؟ كلا يا سادتي، أنا لم أنس هؤلاء كلّهم، بل لا أتجاسر أن أزعج سكينه قبور الراقدين منهم، ولا أن أرفع

¹- ينظر: حبك النص "منظورات من التراث العربي": محمد العبد، المرجع السابق، ص 138.

²- المرجع نفسه، ص 138.

³- ينظر: الغريال: ميخائيل نعيمة، ط15، نوفل، بيروت، 1991، ص47.

عيني الخاطئين إلى أكاليل الغار وأهلة النور فوق رؤوس الباقين في قيد الحياة. إنما أهمس همساكي
لا نثير غضبهم: إنَّ غثَّهم أكثر من سمينهم.¹

وعلى كلِّ، لا أظنكم ظالين إلى حدِّ أن ترفعوا أحداً منهم إلى مصافِّ هوميروس وفرجيل
ودانتي وشكسبير وملتون وييرن وهيكو وزولا وغوته وهينه وتولستوي. أولئك عاشوا وماتوا ليتغزَّلوا
بظباء الفلاة، ولمع المشرفيات، ووقع سنابك الخيل، وسفك الدماء، ومشى الإبل، وأطلال المنازل،
ونار القرى، إلخ.

ويرى بأن الآخرين فقد اختارتهم السماء أصفياءها، وأسكنتهم الأولمب، ولمست شفاههم
بجمرة الحق؛ فكانت عظامهم تتقد به، وتلمس القلوب المظلمة فتجعلها آنية جديدة للحق. هؤلاء
أجنحة تطير بالإنسانية إلى حيث الجمال والكمال والمحبة. هؤلاء أرواح سماوية تخفر مهاوي
الهلاك، وتنادي السائرين إليها: "احترسوا". هؤلاء صوت صارخ في البرية: "أعدوا سبل الحق".
هؤلاء معلّمو الإنسانية وقوادها. دعوهم في أعاليهم؛ فنحن قاصرون عن إدراكهم بأيدي أثقلتها
سلاسل القيود، وعيون امتصت الظلمة ماءها، وعقول لم تتحرر من أوهام الماضي وأشباهه وغرور
المستقبل لتدرك حاضرها.²

واضح أنّ نعيمة لا يكتفي بازدياد التراث العربيّ، بل يمتدّ ازدياده وسخريته ليطال العقل
العربيّ وإنتاجه في ماضيه وحاضره، ولو أردنا أن ندقق في التشخيص لقلنا: إنّ خيبة أمله في
الحاضر العربيّ، وشعوره بسببه بكثير من الاعتزاز والدونيّة، هو الذي دفعه إلى احتقار الماضي
العربيّ، وسحب تخلف الحاضر وترديّه أحواله عليه.

هذه النعمة نفسها نسمعها عند العقّاد والمازني في السنوات الأولى من القرن العشرين، وهي
نعمة الانبهار بالعقل الغربيّ الحديث وإبداعاته، التي تتحوّل تلقائياً إلى ذمّ للعقل العربيّ وتجاهل
لإنجازاته، يقول صاحبها الديوان: "وإنّ المرء ليزهو بآدميته حين يُلقي بنفسه في غمار الآداب
الغربيّة، وتجيّش أعماق ضميره بتدافع تياراتها وتعارض مهاجتها ومتجهاها وتجاوب أصدائها
وأصواتها: أبوابٌ للكتابة منوّعة، ومهايع متّسعة، وفنون مبتدعة، ونحلّ ومذاهب، ومدارس

¹- ينظر: الغريال: ميخائيل نعيمة، المرجع السابق، ص: 47-49.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص: 47-49.

ومشارب. والحياة بين هذه الأفكار المشرقة معروضة للنظر في كلّ شَيْءٍ من شَيْئاتها، محسوسة في كلّ خطرة من خطراتها، متكرّرة متضاعفة، شاكة موقنة، جادة ساحرة، ناقمة راضية"¹.

وإن كان العقد قد عدّل من هذا الموقف في مرحلة متأخرة، وأصبح أميل إلى الاعتدال الحذر في تعامله مع الثقافة الغربيّة، وخوفه من أن يؤدّي التأثير غير الواعي بالغرب إلى الدوبان فيه والحيف على الهوية العربيّة في ذاتها.

ولهذا يقول في كتابه "بين الكتب والناس" (1952م): "وقد تبين أنّ الهوية الواقية كانت ألزم للعالم العربي في هذا الدور ممّا كانت في جميع الأدوار الماضية منذ بداية النهضة في العصر الحديث؛ فإنّ الدعوات العالميّة خليقة أن تجور على كيان القوميّة وأن تؤول بها إلى فنائ كفناء المغلوب في الغالب"²

ويتابع جابر عصفور على المنوال نفسه، معلناً عن انبهاره بإنجازات الثقافة الغربيّة. ولكن، وهذا يُسجّل له، دون أن يدفعه ذلك إلى احتقار تراثه العربيّ والغضّ من شأنه. يقول في كتابه "نظريات معاصرة" واصفاً إعجابه بالبنويّة وحماسه لها: "كانت البنويّة مبعوث العناية اللغويّة الذي حمل بشارة العهد الآتي إلى العلوم الإنسانيّة ومنها النقد الأدبيّ، دلاً إيّاها على طريق الهداية المنهجية والجنة الموعودة للدراسات العلمية التي تؤسس النقد الأدبيّ بوصفه علماً من العلوم الإنسانيّة المنضبطة. وسواء تحدّثنا عن البنويّة بوصفها حركة اجتماعيّة سياسيّة أو بوصفها نشاطاً أيديولوجياً، فإنّها تظلّ مشروعاً منهجياً بالدرجة الأولى، من حيث هي دعوة إلى تطبيق النموذج المنهجيّ الذي انبنى عليه علم اللغة عند سوسير"³

من هنا، فإننا عندما نعود إلى نظريّة الجرجاني والانطلاق منها، بتطويرها وتجديدها وإحيائها، دون التحجّر عندها، والاحتباس بين جدرانها، سيكون أجدى وأنفع كثيراً من الاعتماد على نسخة دخيلة من النظريّات النقدية الغربيّة الحديثة، ولا يعني هذا أن نجعل بيننا وبين المنجزات الحديثة سدّاً منيعاً، ولكن أن يكون تأثرنا بهم في حدود التبادل الحضاريّ المعروف بين الأمم.

¹ -الديوان: العقد عباس محمود والمازني، إبراهيم عبد القادر: ط4، دار الشعب، القاهرة، ص121.

² -بين الكتب والناس: العقد، القاهرة، 1952، ص 20.

³ -نظريات معاصرة: عصفور جابر: مكتبة الأسرة، القاهرة، 1998، ص 207.

هذه سنةٌ طبيعيّةٌ وصحيّةٌ في الوقت نفسه، ولكنّ ما ليس طبيعياً ولا صحيحاً هو هذه الرغبة في الذوبان والاندماج في الآخر، بعد الانسلاخ من كلّ خصوصيّة تاريخيّة وحضاريّة.¹ ونسيان تراث أربعة عشر قرناً من العمل الجاد في شتى المجالات الفكرية.

وهكذا، نكون -من خلال ما سبق - قد بيّنا موقف الفريق الثالث الذي يتوسّط بين الطرفين السابقين، فلا يقنع بأن يعيش حبيس الماضي، ولا يرضى -في المقابل- أن يقتات على فتات غيره.

ولكن منهجه في ذلك أن يقدرّ الماضي حقّ قدره، فيضعه في سياقه التاريخي الصحيح، ويتعامل معه على أنّ ماضٍ ليس غير، لا يمكن أن نباهي به حاضر الآخر المتقدّم، ولكنّه يمكن أن يكون منطلقاً لحاضر يضاهي حاضر الآخر. وفي ذلك السياق التاريخي نفسه ينظر إلى ماضيه نظرة تقدير، لأنّه كان -في حينه- فتحاً عظيماً، ولا يرى من الحقّ أن نحمل الماضي وزر تحلّفنا ونكوصنا في الحاضر.²

ومن الأمثلة على هذه الفئة الناقد العربي المعاصر شكري عياد، الذي يقول في كتابه "اللغة والإبداع" شارحاً هذا الموقف المتوسّط: "... منهجنا منهج المنظور التاريخي، الذي يسجّل المتغيرات كما يسجّل الثوابت، ويعترف بالنسبي كما يعترف بالمطلق، ويرتكز على الوعي بالحاضر بدلاً من تقديس الماضي"³.

ويقف في هذا الصفّ نفسه عزّ الدين إسماعيل يقول: "فلم يعد هناك مجال في وقتنا الراهن لانطلاق بعض الأصوات منادية بنوع من القطيعة الإبستمولوجية مع التراث...، فاهتمامنا بالتراث اليوم لا ينطلق من عاطفة أوليّة ساذجة تتمثل في الحنين إلى الماضي، وتعكس في جوهرها نوعاً من عبادة الأسلاف. وهو كذلك لا ينطلق من أي شعور بالقداسة لهذا التراث، يجعل الاقتراب النقديّ منه بمنزلة خطيئة لا تُغتفر. وكذلك فإننا لم نعد ننظر إلى التراث على أنه كيان موحد مغلق على ذاته، يُقبل كلّ أو يرفض كلّ... إنّ تراثنا هو حصيلة ما حقّقه الإنسان العربي على مدى

¹- ينظر: النحو العربي والدرس الحديث: د. عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1988م، ص6.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص08.

³- اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي: عياد شكري، القاهرة، 1988، ص9.

التاريخ من نجاح وإخفاق، ومن انتصار وانكسار؛ فاجتمع فيه الإشراق والإعتام، والحيوية والجمود، وكلّ فضائل العقل البشري وذرائله¹.

بعدهما بيّنا هذه المواقف الثلاثة، واخترنا أكثرها علميّة وموضوعيّة ومنهجية، حسب ما أرى، وأعظمها نفعاً في خدمة كلّ من التراث والحاضر، والحقّ أنّ الجرجاني (471هـ)

لم يكن سوى نموذج؛ فإنّ هذه المواقف الثلاثة لا ينفك الباحث يجدها أثناء دراسته لأيّ علم من أعلام التاريخ أو أيّة نظريّة أو مذهب أو حتّى فكرة اشتمل عليها تراثه.

يدفعنا الحديث عن الجرجاني (471هـ) إلى النظر في نظرية النظم عنده، التي بنيت على أسس علمية حيث صرّح الجرجاني (471هـ) في أول كتابه "دلائل الإعجاز" بهدفه من تأليفه، وهو أن يمكّن القارئ من وضع يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام، حتى يفضل بعضه بعضاً، ثمّ يتعاطم ذلك الفضل حتى يبلغ حدّ الإعجاز الذي تنقطع عنده أعناق البلغاء، وتنحسر دونه مطامعهم، فيقرّون جميعاً بالعجز.

وقد بحث في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فوجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلّكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها.²

ووجد المعوّل على أن ههنا "نظماً وترتيباً، وتأليفاً وتركيباً، وصياغة وتصويراً، ونسجاً وتخييراً، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجازٌ فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضل هناك النظمُ النظم، والتأليفُ التأليف، والنسجُ النسج، والصياغةُ الصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثرُ المزيّة، حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم

¹ - "أما بعد": عز الدين إسماعيل، مجلة فصول، العدد الأول، المجلد السادس، 1985، ص4. الذي يعلن هذا الاعتدال في الرؤية في افتتاحه للعدد الأول من المجلد السادس (1985) مجلة فصول، وكان عندئذ رئيساً لتحريرها، وهو إعلان له قيمته ودلالته؛ ذلك أنّ مجلّة فصول هي الآن - ومنذ نشأتها عام 1980 - تمثّل موقف النقاد العرب من الاتجاهات والمدارس النقدية المعاصرة، وتبيّن طبيعة صلتهم بها.

² - ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 34-35.

التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضاً، ويتقدّم منه الشيءُ الشيءَ، ثم يزداد فضله ذلك ويترق منزلةً فوق منزلةٍ، ويعلو مرقباً بعد مرقب، ويُستأنف له غاية بعد غاية، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتَحَسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز"¹.

ولا يكفي -عند الجرجاني- في بيان هذه الخصائص والمزايا العباراتُ الجملة التي لا تشفي العُلة، بل لا بدّ من تحديدها تحديداً دقيقاً، ووصفها وصفاً مفصّلاً، وإيراد أمثلةٍ كافية لها، كما هي الحال في كافة أنواع الصناعات.

وفي هذا يقول: "ولا يكفي أن تقولوا: إنّه خصوصية في كيفية النظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلّم بعضها على بعض، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها، وتذكروا لها أمثلة، وتقولوا: "مثلُ كيت وكيت"، كما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج المنقّش ما تعلم به وجه دقة الصناعة، أو يعمله بين يديك، حتى ترى عياناً كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء، وماذا يذهب منها طولاً وماذا يذهب منها عرضاً، ويمّ يبدأ ويمّ يئثي ويمّ يئثلث، وتُبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرّف اليد، ما تعلم معه مكان الحذق وموضع الأستاذية"².

وأما الفصاحة عنده فهي "خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة، أو على وجوه تظهر بها الفائدة"، أو ما أشبه ذلك من القول المحمل، كافياً في معرفتها، ومعنياً في العلم بها، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها. فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير أن تعلم أنه ترتيب للغزل على وجه مخصوص، وضم لطاقت الإبريسم بعضها إلى بعض على طرق شتى. وذلك ما لا يقوله عاقل"³.

وإذا تمكّن المتعلّم من ذلك أصبح قادراً على التمييز في الكلام بين الصواب والخطأ، والمفاضلة بين الإساءة والإحسان، بل بين الإحسان والإحسان. يقول الجرجاني: "وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تُمرّ فيه وتُحلي، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من

¹-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص34-35.

²-المصدر نفسه، ص36.

³-المصدر نفسه، ص36.

الصواب، ويُفصّل بين الإساءة والإحسان، بل حتى تُفاضل بين الإحسان والإحسان، وتعرف طبقات المحسنين"¹.

وإذا كان الأمر كذلك، تبين "أنه لا يكفي في علم "الفصاحة" أن تنصب لها قياساً ما، وأن تصنفها وصفاً مجملاً، وتقول فيها قولاً مرسلًا، بل لا تكون من معرفتها في شيء، حتى تفصّل القول وتُحصّل، وتضع اليد على الخصائص التي تُعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة، وتُسميها شيئاً شيئاً، وتكون معرفتك معرفة الصنّع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع، وكل آجزة من الآجر الذي في البناء البديع"².

وفيما يخصّ موطن تلك الخصائص، فإنّ الجرجاني لا يقبل بأن يكون "هو الألفاظ المفردة، لأنّه لا مجال للمفاضلة بينها؛ فهي مستوية في الدلالة على المعاني التي وُضعت لها؛ كما أنّ الكلمة قد تقع من النفس موقعاً عجبياً رائعاً في موضع ثمّ ينعكس ذلك في موضع آخر"³.

ولا يمكن أن تكون الكلمة بمفردها لها مزية دون النظر إلى موقعها في النظم، فلا "تفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يكدّ اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جارئاتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟

وهل قالوا: "اللفظة متمكنة ومقبولة" وفي خلافه: قلقلة، ونايبة، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنُبوء عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِقفاً للثانية في مؤدّها؟

¹-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص37.

²-المصدر نفسه، ص37.

³-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص38.

وهل تشكّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾¹، فتجلّى لك منها الإعجاز، وبمرك الذي ترى وتسمع - أنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأنّ لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأنّ الفضل نتائج ما بينها وحصل من مجموعها؟²

لو أخذت لفظة من بين أحواتها وأفردت، هل تؤدي من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

ومن هنا فإن الشك ينتفي لأن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء "يا" دون "أي"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصّها، ثم أن قيل: "وغيض الماء"، فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "وقضى الأمر"، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؟

أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتُحصرك عند تصورها هبة تحيط بالنفس من أقطارها - تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالي في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟ فقد اتضح إذن اتضحاً لا يدع للشك مجالاً، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن

¹ -سورة هود/ 44.

² -ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص38.

الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تَعَلُّق له بصريح اللفظ.¹

وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتُوحشك في موضع آخر، كلفظ "الأخدع" في بيت الحماسة:

تَلَقَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي

وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتاً وَأَخْدَعَا²

وبيت البحري:

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَغْتَنِي شَرَفَ الْغَنَى

وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي³

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرَ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ، فَقَدْ

أَضْحَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ⁴

¹ - ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 42.

² - البيت للصة بن عبد الله القشيري، في شرح حماسة أبي تمام للبريزي، ج 3، ص 114. نقلاً عن محقق دلائل الإعجاز، ص 47، حاشية 1.

³ - البيت في ديوان البحري. انظر الحاشية 2 للمحقق، ص 47.

⁴ - البيت في ديوان أبي تمام. انظر الحاشية 3 للمحقق، ص 47 أيضاً.

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الرُّوح والخفة ومن الإيناس والبهجة"¹.

وليس المقصود بنظم الألفاظ مجرد تتابعها في النطق كما هي الحال في نظم الحروف، إذن لاستوى الناس كلهم في العلم بحسن النظم وردائه؛ لأنهم جميعاً يُحسّون بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً. ولكن المقصود به تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل.

ونستخلص مما سبق، بأن الاعتبار في النظم هو للمعاني وليس للألفاظ؛ "بل إنّ الألفاظ في ذلك تبع للمعاني، فهي تترتب تلقائياً بحسب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، ولا يحتاج المتكلم أن يفكر مرتين: مرة في ترتيب المعاني، وأخرى في ترتيب الألفاظ، وإنما ينحصر تفكيره في المعنى؛ فإذا ترتبت المعاني جاءت الألفاظ مرتبة على نسقها من غير استئناس نظر جديد"².

وزيادة على ذلك "فلا يُتصوّر أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنت تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"³.

ويرى الجرجاني في ترتيب المعاني في النفس، والضوابط التي يخضع لها، أنّ مرجع الأمر في ذلك إلى قوانين النحو وأصوله؛ "ذلك أنّنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه: فينظر في (الخبر) إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" و "منطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق".

¹ -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 44-47.

² -المصدر نفسه، ص53.

³ -المصدر نفسه، ص: 53-54.

وفي "الشرط والجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج" و"إن خرجت خرجت" و"إن تخرج فأنا خارج" و"أنا خارج إن خرجت" و"أنا إن خرجت خارج". وفي "الحال" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "جاءني زيد مسرعاً"، و"جاءني يُسرِع"، و"جاءني وهو مسرعٌ أو وهو يسرع" و"جاءني قد أسرع" و"جاءني وقد أسرع"¹.

فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به من حيث ينبغي له. وينظر في "الحروف" التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ"ما" في نفي الحال، وبـ"لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ"إن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ"إذا" فيما علم أنه كائن. وينظر في "الجمل" التي تُسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء"، وموضع "الفاء" من موضع "ثم"، وموضع "أو" من موضع "أم"، وموضع "لكن" من موضع "بل"².

ونجده في الكلام كله، كما يرى الجرجاني، يتصرف في "التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيُصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له. هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ، إلى "النظم"، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووُضِع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له. فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"³.

¹ - ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 53-54.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص: 49-56.

³ - المصدر نفسه، ص: 81-83.

لتبيان صحة مذهبه لا يقصر الجرجاني في سوق الأمثلة الدالّة على ذلك، والمتمثلة في أنّ حسن النظم إنّما يأتي من جودة التصرف في قواعد النحو، وأنّ رداءته إنّما تأتي من سوء التصرف فيها¹.

من أجل ذلك كان المؤلّف قد عقد في أوّل كتابه مبحثاً دافع فيه عن علم النحو عند من يُعزّض منه ويشكّك في جدواه وحثّ على تعلّمه والتقويّ فيه؛ لأنه المرتكز الذي ستقوم عليه نظريّته في بقية الكتاب.

ولتبيان ذلك والتأكيد عليه وجدناه يقول: "وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم²، وأشبه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله، وعن معرفة معانية؛ ذاك لأنهم لا يجدون بدّاً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علّم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلامٍ ورجحانه حتى يُعزّض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسنه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه. وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عُذر من تهاون به وزهد فيه، ولم يرَ أن يستقيه من مصبّه، ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص والكمال لها مُعزّض، وآثر العيّنة وهو يجد إلى الربح سبيلاً"³.

لا يعدو أن يكون النظم، عند الجرجاني، تمثيلاً للمعاني النحويّة، فلهذا من البديهي أن تكون الجملة هي محور عمل الناظم؛ لأنّها هي الوحدة الكلاميّة التي تظهر فيها العلاقات النحويّة الإسناديّة، كما هو الحال بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل والمفعول... الخ، وما قد يعترّيا من تقديم وتأخير، وحذف، وإضمار وإظهار... الخ.

¹ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 83-86.

² - أي زهدهم في رواية الشعر وحفظه، وذمّهم الاشتغال بعلمه، ينظر ص 11 من المصدر نفسه.

³ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 28.

ولكنّ النطاق قد يتّسع أحياناً ليضمّ جملتين أو أكثر، عندما "تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأول" ¹، ومن ذلك المزاجيّة بين معنيين في الشرط والجزاء معاً؛ كقول البحري ²:

إذا ما نهي الناهي فلجّ بي الهوى

أصاحت إلى الواشي فلجّ بها الهجر

ومنه ما قد يضمّ عدّة أبيات؛ كقول بعضهم ³:

لو أنّ ما أنتم فيه يدوم لكم

ظننتُ ما أنا فيه دائماً أبداً

لكنّ رأيت الليالي غير تاركّة

ما سرّ من حادثٍ أو ساء مطّرداً

فقد سكنتُ إلى أيّ وأتكم

¹ -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 93.

² -ديوان البحري، انظر الحاشية 2 لمحقق دلائل الإعجاز، ص 93.

³ - لم يقف المحقق على صاحب هذه الأبيات، انظر تعليقه عليها ص 94، حاشية 5

سنستجدّ خلاف الحالتين غداً

ويبيّن الجرجاني أن موضع المزيّة في هذه الأبيات هو في قوله: "سنستجدّ خلاف الحالتين غداً"؛ لأنّ فيه جمعاً لطيفاً لما قسّمه قبل، بالإضافة إلى حسن بنائه، ولطف توصّله إليه.

ومذهب الجرجاني إلى أنّ المعاني النحويّة هي الأساس الذي تقوم عليه البلاغة، والمعيّار الذي به يُفاضل بين قول وقول، لا يعني أنّ الكلام متى استقام على قواعد النحو وسلم من الخطأ فقد صار له فضلٌ شرفٍ ومزيّة؛ فإنّ البحث في تقويم اللسان وعصمته من الزلل في الإعراب ليس ها هنا مجاله، وإنّما مجاله كتب النحو. أمّا في البلاغة فإنّ ما يُعتدّ به هو التصرّف في المعاني النحوية تصرّفاً فنياً إبداعياً يُسفر عن "أمور تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم"¹.

وكذلك تجنّب الخطأ فليس هو من البلاغة حتّى "يُحتاج في التحقّظ منه إلى لطفٍ نظر، وفضلٍ رويّة، وقوّة ذهن، وشدّة تيقّظ"²، وهذا هو المعيّار المعتمد عليه في الموازنة بين كلام وآخر، والمفاضلة بينهما.

¹-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص98.

²-المصدر نفسه، ص98.

وللإشارة، فإنَّ عبد القاهر، وإن كان يُقيم نظريته في النظم على أساس من علم النحو، فليس هو نحوياً، ولا يعنيه أن يدرس المباحث النحويّة من تقسيم وتأخير، وإظهار وإضمار، وحذف... من حيث هي كذلك؛ وإمّا من حيث إمكانية توظيفها من أجل صناعة عبارات بليغة. فمثل قول الجاحظ مثلاً: "جنّبك الله الشُّبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبّب إليك الثبوت، وزيّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحقّ، وأودع صدرك بؤد اليقين... -" ليس في نظمه وتأليفه أيّ فضل، وإن سلم من الخطأ، وجرى على قواعد النحو؛ لأنّه ليس فيه دقّة صناعة، ولا سبيل فيه إلى التخيّر¹.

وكما أنّ النكت البلاغيّة قد تلبس عند طائفة من الدارسين بمباحث النحو لا تكائها عليها، فإنّها قد تلبس عند طائفة أخرى بالمحسنات البديعيّة والاستخدامات المجازيّة للألفاظ، فيُظنّ أنّ المزيّة للألفاظ حين تضمّنت جناساً أو طباقاً.

أو حين أحييت عن معانيها المعجميّة إلى معانٍ جديدة اقتضتها العلاقات والقرائن في داخل العبارة؛ مع أنّ الذي أوجب المزيّة ليس هو ذلك، وإمّا مكانها في تألف الجملة ونظمها. ومثاله ما في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: 4]؛ فإنّ الناس دأبوا على نسبة الشرف فيه إلى الاستعارة وإفرادها بالمزيّة والفضل.

الأمر كذلك؛ لأنّنا لو قلبنا العبارة فقلنا (واشتعل شيب الرأس) لذهب ما فيها من روعة وفخامة، مع أنّ الاستعارة لم تزل قائمة. فلم يبق إلا أن يكون مكمّن الحسن في العبارة هو إسناد فعل الاشتعال إلى الرأس، والمحيء بالشيب الذي له الفعل في المعنى منصوباً بعده. وهذا المسلك في نظم العبارة يشحنها بدلالات جديدة لم تكن ممكنة لو أسند الاشتعال إلى الشيب مباشرة؛ وذلك أنّ إسناد الاشتعال إلى الرأس يفيد -بالإضافة إلى لمعان الشيب في الرأس- الشمول والشروع.

ومّا هو من جنس النظم في هذه العبارة تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، ولو صُرح بالإضافة فقيل: (واشتعل رأسي) لذهب كثير من حسناتها².

¹- ينظر دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 97-98.

²- ينظر: المصدر نفسه، ص 99-101.

ويتسع نطاق النظم -أيضاً- ليخرج عن حدّ الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر في باب الوصل والفصل، وما يتضمّنه من عطف بعض الجمل على بعض أو ترك العطف والمجيء بها مستأنفةً.

ومن الملائم هنا أن نتذكر أنّ حروف العطف تفيد إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم الإعرابي، بالإضافة إلى معانٍ أخرى: كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في (ثم)، والتخيير في (أو). وبسبب هذا المعنى الإضافي الذي يفيد كلٌّ من هذه الحروف فإنّه لا يعرض فيها إشكالٌ في لزوم العطف أو تركه؛ لأننا متى احتجنا إلى الدلالة على أيّ من تلك المعاني جئنا بالحرف المختصّ به.

ولكنّ الإشكال يعرض في الواو؛ لأنها لا تفيد -بالإضافة إلى الإشراك في الحكم الإعرابي- أيّ معنى. وهنا يصبح لا بدّ من اللجوء إلى صناعة النظم واستقراء لطائفها في كلام العرب من شعر وغيره؛ لمعرفة متى يحسن العطف بالواو، ومتى يحسن القطع والاستئناف، ومتى تكون المزيّة لهذا، ومتى تكون لذلك. فالوصل والفصل بابٌ من أبواب النحو، ولكنّ التصرّف فيه للإتيان بمعنى بارع، والسلوك به مسالك دقيقة خفيّة هو من شأن النظم.

يخبرنا الجرجاني أنّ الوصل يحسن بين الجملتين إذا كان ثمّ علاقةٌ بين المحدث عنه في إحداها والمحدث عنه في الأخرى، وكان الخبر عن الثاني ممّا له صلة بالخبر عن الأول؛ كأن يكون شبيهاً له أو نظيراً أو نقيضاً، كما يُقال: زيدٌ كاتبٌ، وأخوه شاعر. وتزداد الحاجة إلى العطف إذا كان المتحدث عنه في الجملتين واحداً، كقولنا: عمرو يضرب وينفع، ويحسن ويسيء¹.

بينما يحسن الفصل في كلّ جملة كان حالها مع ما قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكّد، فتتصل بها من ذات نفسها وتستغني عن حرف العطف؛ كما في قوله تعالى: "إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم؛ لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذابٌ عظيم"²؛ فإنّ قوله "لا يؤمنون" تأكيد لقوله "سواءٌ عليهم أأنذرتهم

¹- ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 224-226.

²- سورة البقرة/ 06-07.

أم لم تنذرهم¹، ومما حقه الفصل أيضاً ما يجيء من الجمل على معنى جواب لسؤال مقدر؛ كما في قول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟ قلت عليك

سهرٌ دائمٌ، وحرزٌ طويلٌ²

فقدّر الشاعر أنّ الذي سأله عن حاله، أتبع سؤاله بسؤال آخر عن علته، فأجابه: سهرٌ دائمٌ وحرزٌ طويلٌ³. ومن هذا الفن كلّ ما يرد في القرآن من لفظ (قال) مفصلاً عمّا قبله، أنّه على تقدير سؤال محذوف⁴.

ومن فنون النظم الدقيقة التي بينها الجرجاني في هذا الباب أنّ عطف الجملة لا يكون دائماً على ما قبلها مباشرة؛ ولكنها قد تُعطف على جملة يفصلها عنها جملة أو أكثر. كما في قول المتنبي:

تولّوا بغتةً فكأنّ بيناً

تهبّني ففاجأني اغتيالاً

فكان مسير عيسهم ذميلاً

وسير الدمع إثيرهم انهمالاً¹

¹ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 227-228.

² - علق عليه المحقق بقوله: "مشهور غير منسوب"، في الحاشية 1، ص 238.

³ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 238.

⁴ - المصدر نفسه، ص 240.

¹ - ديوان المتنبي، انظر الحاشية 1 من حواشي محقق دلائل الإعجاز، ص 244.

فيُتضح بعد ترديد النظر أنّ جملة (كان مسير عيسهم ذميلاً) ليست معطوفة على جملة (كأنّ بيناً تهيّيني)؛ لأنّ عطفها يُفسد المعنى؛ إذ يُدخلها في معنى (كأنّ)، ويصبح السير مشكوكاً فيه، وليس هذا مقصود الشاعر، وإتّما يستقيم المعنى إذا عُطفت على (تولّوا بغتة). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ جملة (كان مسير عيسهم ذميلاً) ليست معطوفة على جملة (تولّوا بغتة) وحدها، وإتّما هي معطوفة على البيت السابق كلّّه؛ لأنّ (كأنّ بيناً تهيّيني) مرتبطة بقوله (تولّوا بغتة) ارتباط سببيّة؛ بمعنى أنّ الثانية مسبّب والأولى سبب؛ فكأنه قال (تولّوا بغتة فتوهّمْتُ أنّ بيناً تهيّيني).

وكذلك فإنّ قوله (كان مسير عيسهم ذميلاً) لم يُعطف وحده على البيت السابق، ولكنّ العطف تناول البيت الثاني بجملته، مرتبطاً آخره بأوله؛ لأنّ تولّيتهم بغتة وما توهّمه الشاعر من بيّن تهيّيه كان مستدعيّاً بكاءه بدمع منهمل، ولم يكن ذكره لذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع¹.

وهكذا، فإنّ العطف كما يكون بسيطاً؛ عندما تُعطف جملة على جملة، فإنّه قد يجيء مركّباً؛ بأنّ تعمد إلى جملتين أو أكثر فتعطف بعضها على بعض، ثمّ مجموعها على مجموع سابق².

وهذا -فيما يبدو- أوسع نطاق تبلغه نظريّة النظم عند الجرجاني؛ أعني الخروج من حيّز الجملة الواحدة إلى حيّز مجموعة محدودة من الجمل، وهو نفس الحيّز الذي تعمل فيه قواعد النحو، مع الفارق بين وظيفة النحو ووظيفة البلاغة.

وأجدني في هذا المجال مضطراً لطرح السؤال التالي: هل هناك علاقة بين البنيوية ونظرية

النظم؟

¹- ينظر: ديوان المتنبي، انظر الحاشية 1 من حواشي محقق دلائل الإعجاز المصدر السابق، ص 242-245.

²- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 245.

وللإجابة عن هذا السؤال سوف أعتمد اعتماداً كبيراً في استجلاء مصطلح البنيوية على كتاب عبد العزيز حمودة "المرايا المحدّبة (من البنيوية إلى التفكيك)"¹، محاولاً قدر الإمكان أن نقف عند المحطات الأساسية التي من شأنها أن تجيب عن السؤال الذي طرحته، ويترتب على هذا أنني سأنحو منحى مختصراً، معرضاً عن كثير من التفاصيل والتفريعات والتنويعات داخل المدارس اللغوية والنقدية التي تبنت هذا المصطلح طوال عقود من القرن الماضي. ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إنّ مصطلح البنيوية كان هو المصطلح الأكثر شيوعاً وخطورة في مجالات المعرفة الإنسانية عامة، والأدبية خاصة طيلة تلك العقود.

إذن، سوف أختصر الكلام اختصاراً مقتصراً على تحديد ظروف نشأة المصطلح، ومفهومه، ثمّ طريقة توظيفه في ميدان اللغة والأدب.

و لهذا سيظهر لنا جلياً بأن تينيانوف كان "أول من استخدم لفظة "بنية" في السنوات المبكرة من العشرينيات، وتبعه رومان ياكوبسون الذي استخدم كلمة البنيوية لأول مرة عام 1929

2،

وقد أشارت تطورات الفكر الفلسفي الغربي عبر ثلاثة قرون والتحوّلات المعرفية التي صاحبت ذلك التطور كلها في اتجاه واحد حتمي، وهو ظهور الدراسة اللغوية كعلم مستقل بذاته: له قوانينه وقواعده التي تحكم عمل عالم اللغة الذي يستخدم أدوات المنهج التجريبي في علمية لا تقلّ - إن لم تكن تزيد - عن علمية الدراسات النفسية التي كانت قد أكّدت وجودها. وهكذا شهدت السنوات الأولى من القرن العشرين نشر كتاب "فردينان دي سوسير": *linguistics* Cours de عام 1915م، والذي يمثّل عدداً من محاضرات المفكر السويسري كان قد ألقاها على طلابه قبل ذلك بسنوات. لقد أصبحت الظروف في الواقع مهيأةً لظهور ما يُسمّى بالنموذج

¹ - ينظر: مشكلة البنية، سلسلة مشكلات فلسفية، إبراهيم زكريا، مكتبة مصر، د.ت. وروبنز، ر.ه: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب). ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1997. وستروك، جون: البنيوية وما بعدها - من ليفي شتراوس إلى دريدا. ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1996. وفضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النصّ. عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1992.

² - المرايا المحدّبة (من البنيوية إلى التفكيك): حمودة عبد العزيز، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نيسان 1998، ص 187.

اللغويّ الذي سيتكفلّ البنيويّون - فيما بعد- بتطويره ليصبح أساس المقاربة النقدية (البنيويّة) للنصوص الأدبيّة¹

ويرى الدارسون بأنّ أبرز إنجازات دي سوسير والتي تحتلّ مركز الثقل في كتابه هي "نظرية النظام أو النسق System اللغوي الذي يحكم الاستخدام الفرديّ للغة، هذا بالإضافة إلى تطوير مفهوم العلاقة Sign اللغوية بشقيها: الدالّ Signifier، والمدلول Signified"².

والنسق اللغويّ - وهو ما يهمنا هنا- "ليس شيئاً مادياً محسوساً، شأنه في ذلك شأن قوانين الحركة؛ لذلك فإنّ ما نستطيع أن نبدأ به دراستنا لأيّ لغة هو شواهد الكلام الفرديّ: نسجّلها ونرصدها ونحلّلها، ثمّ ننتقل - بعد ذلك - من مرحلة الرصد والتسجيل إلى الضبط - إلى وضع القواعد العامّة التي تحكم الكلام. هذا هو النسق وهذه هي اللغة. وحينما نصل إلى النسق فإنّ تطبيقه على الكلام - على الحالات الفرديّة لاستخدام اللغة، هو الذي يعطي الكلام معنى، وبدون هذا النسق يصبح الكلام أصواتاً بلا دلالة أو معنى. نفس الشيء بالنسبة للنسق الأدبيّ، حيث يُكسب ذلك النسق العامّ الأعمال الفرديّة دلالتها ومعناها"³.

والنسق الفرديّ - سواء في اللغة أو الأدب- "لا يمثّل أجزاءه؛ لأنّه هو جزء من نسق عامّ، أو من بنية كليّة تحكم قواعد الدلالة داخل النسق الفرديّ"⁴

ويرى الدارسون أيضاً بأنّ النقلة التي حدثت من البنيويّة اللغوية إلى البنيوية الأدبيّة في أوائل الستينيّات هي "المحصّلة الطبيعية لجهود مبكّرة ارتبطت بـ "ياكوبسون" و "وبروب" وجيل من "الشكليين" الماركسيّين، لم تنجح في إنشاء تيار قويّ قادر على إنشاء مدرسة أو مشروع نقديّ جديد، وقد جاءت الدفعة التي أعطت هذه الجهود زخماً جديداً جمعها في تيار فرض نفسه بقوة على الحياة الثقافيّة في الشرق والغرب، من جانب ليفي - شتراوس الذي تحوّل كتابه "الأنثروبولوجيا البنيويّة" (1958م) إلى مرجع أساسيّ في سنوات قليلة. بدايةً، فإنّ دراسة شتراوس في الأنثروبولوجيا

¹ -المرايا المحدبة: عبد العزيز حمودة، المرجع السابق، ص: 183-184.

² -المرجع نفسه، ص 222.

³ -المرجع نفسه، ص 223.

⁴ -المرجع نفسه، ص 225.

البنويّة أعطت شرعية نهائية لنقل منهج البنيويّة اللغوية إلى محيطات أو أنساق أخرى غير نسق اللغة. وقد كانت تلك النقلة هي النقلة التي انتظرها نقّاد الأدب ليفعلوا الشيء نفسه، وبالنجاح نفسه"¹.

وفيما يخص دراسة فلاديمير بروب المبكّرة عن القصص الشعبية والروايات الخياليّة الروسية Fairy tales، فإنّها "لا تقلّ في أهميتها عن دراسة ليفي - شتراوس إنّ مناقشة بروب لبناء المئة قصّة التي جمعها تقدّم لنا أول دراسة بنيويّة لبناء شكل قصصيّ، هو أقرب إلى الشكل الروائيّ منه إلى بناء الأسطورة. إنّه - بالفعل - يصل في تحليله لتلك القصص إلى تحديد علاقات الوحدات المكوّنة للرواية، وهو إنجاز يضع دراسته المبكّرة في مقدّمة الدراسات البنيويّة المبكّرة للأدب إنّ أهميّة بروب كبنويّ مبكّر تتأكّد بشكل قاطع حينما ينتقل من دراسة القصّة الخياليّة الواحدة كوحدة بنائيّة مفردة، إلى تصوّر بنية كليّة عامّة للقصّة، يسمّيها "القصّة العمدة أو الأنموذج"، تتوافر فيها كلّ الاحتمالات البنائيّة للإحدى والثلاثين وظيفة [وهي وظائف الشخصوس كما استقرأها من جملة قصصه الخرافيّة]"².

وإذا كان البنيويّون اللغويّون يقومون، كما نرى ذلك في الدراسات اللسانية الحديثة، "بتقسيم النصّ اللغويّ إلى أصغر مكوّناته البنائيّة وهي الفونيمات والمورفيمات، أو إلى أصغر مكوّناته الصوتيّة والشكليّة، فإنّ البنيويّين الأدبيين - وعلى رأسهم ليفي شتراوس - يقسمون النصّ الأدبيّ إلى أصغر مكوّناته البنائيّة، وهي "المائيمات" Mythemes، أو ما يسميها كمال أبو ديب "الأساطير"³.

وفيما يتعلّق بمفهوم النسق وتكوّنه وتطبيقه في مجال: اللغة والأدب، يمكن إجمال ما سبق بأنّ اللغويّات البنيويّة عند تعاملها مع النصّ اللغويّ، في شتى تمظهراته، تقوم بالبدء من نقطة صغرى: فتبدأ بتحديد العناصر التي ربّما لا يكون لها معنى، مثل: الفونيمات، وهي أصغر عناصر تكوين اللغة.

¹ - المرايا المحدبة: عبد العزيز حمودة، المرجع السابق، ص 227.

² - المرجع نفسه، ص 228-230.

³ - المرجع نفسه، ص 233.

ثمّ ينتقل التحليل البنيوي لرصد تجميع هذه العناصر في وحدات ذات معنى، وهي الكلمات، ثمّ كيف تُجمع هذه الوحدات الدلالية الصغرى في نظام أوسع أو نسق أكبر، وهو اللغة. لكنّ الكلمة بمفردها - معزولة خارج نسق - لا يمكن أن تدلّ أو تشير إلى وحدة أخرى معزولة، ولهذا نتحوّل إلى النسق الأصغر، وهو الجملة. داخل النسق الأصغر، تصبح الوحدة الصغرى [أي الكلمة المفردة] جزءاً من نسق دالّ وتكتسب دلالتها الأوسع من علاقتها مع الوحدات الأخرى داخل النسق. المرحلة التالية أكثر تركيبية وتعقيداً، وهي ربط هذه الجمل / الأنساق الصغرى وتجميعها داخل نسق أكبر، هو النصّ.

في النسقين السابقين تحدّد دلالة الوحدة (الكلمة في الجملة، والجملة في النصّ) عن طريق علاقاتها مع الوحدات الأخرى في ظلّ مبدأ اتّفق حوله البنيويّون جميعاً، وهو التضادّات الثنائية Binary Oppositions. وهناك نسق ثالث هو النسق العامّ أو النظام الذي يحكم الإنتاج الفرديّ للنوع Genre، وهو نسق نتحرّك في اتجاهه انطلاقاً من النصوص الفرديّة، أو منطلقين منه في اتجاه النصّ الفردي في تحليل تطبيقي يؤكّد اتّفاق النصّ المفرد أو النسق الأصغر، أو اختلافه مع النسق أو النظام العامّ¹.

بعدما فرغنا من تلك الإطلالة السريعة والإمامة المتعجّلة بمصطلح البنية، نرجع بعدها إلى نظرية "النظم" عند الجرجاني، لنحكم على مدى اقتراب صاحبنا أو ابتعاده في نظريّته عن هذا المصطلح الحديث، مستفيدين في ذلك من آراء من سبقنا إلى الخوض في هذا الموضوع من النقاد المعاصرين، لنقف على رأي النقد الحديث في "نظرية النظم" للجرجانيّ.

وعليه، آن لنا أن نبسط القول في تقييم هذا النقد لتلك النظرية، بعد ما أسلفنا من وقوفٍ عند أبرز محطات "نظرية النظم" للجرجاني، وتعرّيج على مفهوم "البنية" في النقد الحديث، عن طريق بيان مدى صلتها بأكثر مفاهيمه مركزيّة - أعني: مفهوم "البنية".

لا شكّ في أنّ "نظرية النظم" هي أفضل وأرقى ما توصلت إليه البلاغة العربيّة في تاريخها كلّها: قبل الجرجانيّ وبعده، وأنها تمثّل تصوّراً متماسكاً ومنظماً ودقيقاً لبناء البلاغة العربيّة.

¹ - ينظر: المرايا المحدثه: عبد العزيز حمودة، المرجع السابق، ص 253-254.

بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إنّ البلاغة العربيّة - على طول تاريخها - لم تنتج أيّة نظريّة بلاغيّة - بالمعنى الصحيح والدقيق والعلمي للكلمة - سوى نظريّة الجرجاني، وإذا قلنا - أيضاً - : إنّ الدارس لتاريخ البلاغة العربيّة لن يقف عند أيّة محطة فيها وقوفه عند محطة الجرجاني، دون أن يفهم من هذا - من قريب أو بعيد - أننا ننكر قيمة الأعمال السابقة للجرجاني في التمهيد لنظريته، ابتداءً بالجاحظ وانتهاءً بالقاضي عبد الجبار المعتزليّ، ولكنّ الأقدار اسعدته بأن كان هو الذي قطف الثمرة، ودون أن يفهم - كذلك - أننا ننكر قيمة المحاولات التي سارت في اتجاهات مغايرة لأبّجاه الجرجاني، ولكننا هنا نتحدث عن نظريّات، ولا أظنّ أنّه بإمكاننا أن نثبت هذا المصطلح - إذا تحرينا النهج العلميّ والموضوعيّ - لأيّ من تلك المحاولات.¹

وما نخلص إليه هو أن نظرية النظم كانت - بحق - مقدّمة أو نواة لنظرية بلاغية عربيّة فدّة، لو قيّض لها من ينطلق منها ويتمّمها بعد الجرجاني، كانت - عندئذ - ستترقى إلى نظرية ربّما تفوق كلّ النظريّات الحدائيّة اليوم، ولكنّها - وهذا ممّا يؤسف له - توقّفت عند الجرجاني.

وبعد ما سبق تفصيله في مباحث البلاغة نذكر فيما يلي علاقة النحو بتجاوز عتبة الجملة في التراث العربيّ.

- النحو: (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري.

لو تتبع باحثٌ أشكالَ تجاوز عتبة الجملة، فإنه سيجد كثيراً من مباحث نحو الجملة في النظرية العربيّة تطرقت إلى أوضاع تركيبية تتعلق بما فوق الجملة² إلا أن نظرة (قطرب) إلى العلامة الإعرابية كمجرد وسيلة للربط بين الكلام³ ولا يكون من دور حينئذ لعلامات الإعراب في تحديد المعنى النحوي تعد في الحقيقة أول نظرة تتجاوز منطق إعراب الجملة بطرح بديل نظري قد يتجاوز عتبة الجملة نفسها، ولكن هذه المحاولة القطرانية لم يقيض لها النمو. وفي الحقيقة يمكن عد هذه

¹- ينظر: المرايا المحدبة: عبد العزيز حمودة، المرجع السابق، ص: 253-254.

²- من ذلك العطف، والحذف، والصلة، والشرط، وبعض مباحث التوابع...، والإضافة إلى الجمل... إلخ.

³- ينظر: الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، در النفائس، دمشق، الطبعة الرابعة،

1402هـ/1982م، ص: 70-71.

النظرية المختلفة التي نُقلت عن قطرب أول نظرة يمكن أن تنزل عرش إعراب الجملة، وتكون ممهدة للانتقال إلى نوع من الإعراب النصي القائم على الحالة النحوية أو المعنى النحوي.

أما المعالجة التي تجاوزت عتبة الجملة في إطار نظرية الإعراب في اللغة العربية، فهي مقولة (إعراب الجمل). وفي الحق أن للإعراب في اللغة العربية وفي نحوها قيمة كبيرة، وكتاب مغني اللبيب من أهم الكتب التي عاجلت المشكل الإعرابي، وبخاصة مقولة (إعراب الجمل)، وغير صحيح ما يذهب إليه البعض من كون الإعراب مجرد قرينة عادية من جملة من القرائن التي يتضح بها المعنى، إذ الإعراب في اللغة العربية يشكل مكوناً رئيساً فيها، وله علاقة بتفاصيل وتشعبات لها أهمية في إدراك المعنى، وغير ذلك¹.

ولا يذهب البعض إلى قلة عدم الحمل الوظيفي للإعراب في اللغة العربية المعاصرة؛ ليدل على لا أهميته، فالإعراب ليس هو الحركات الثلاث، بل هو أكبر من ذلك إن له علاقة بتركيب الكلام وترتيبه، وبتركيب الجمل؛ لتكون نصاً معرباً يصب في النهاية في دلالات نصية خالصة، والمعاني النحوية على أهميتها في الكلام. كما أشار عبد القاهر الجرجاني. في نظريته للنظم ليست مستقلة تمام الاستقلال عن المعاني الدلالية فبينهما نوع صلة²، تستلزم فهم المعنى الدلالي؛ ليتشكل في ضوءه المعنى النحوي، فأنت لا يمكن أن تعرب كلمة دون فهم معناها حتى إن كان فهماً خاطئاً، أو غير مستقيم في العقل.

وقد وجدنا ابن هشام نبّه إلى ذلك في الباب الذي عنونه بقوله: في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وذكر أول جهة وهي مراعاة ظاهر الصناعة الإعرابية، وعدم مراعاة المعنى، ومثّل على ذلك بعدة أمثلة منها أنه قال: "سألني أبوحيان _ وقد عرض اجتماعنا. علام عطف (بحقلد) من قول زهير:

تقيُّ نقيُّ لم يكثر غنيمَةً بنهكة ذي قربي ولا بحقلدِ

¹- ينظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: محمد حماسة عبد اللطيف، مرجع سابق، ص: 264-274.

²- ينظر: المرجع نفسه، 274.

فقلت حتى أعرف ما الحقلد ؟ فنظرناه فإذا هو سيئ الخلق، فقلت: هو معطوف على شيء متوهم إذ المعنى ليس بمكثر غنيمة، فاستعظم ذلك.¹، وربما أتت العبارة المشهورة: (الإعراب فرع عن المعنى)، من هذا المنطلق، ومن ضرورة فهم المعنى الدلالي التركيبي.

وإعراب الجمل كان عبارة عن إشارات متفرقة في كتب النحو هنا أو هناك²، وكان يكثر إعراب الجمل في كتب تفسير القرآن وإعرابه، وأشهر من تناول إعراب الجمل هو ابن هشام الأنصاري حيث خَصَّصَ لذلك باباً كبيراً من كتابه مغني اللبيب، إذ يعد هذا الباب بحثاً مكتملاً عن نحو ما فوق الجملة أو نحو النص، وقد بيّن في بداية الباب تعريف الجملة، وأقسامها، ثم انتقل إلى مسألة الإعراب، فقسم الجمل إلى جمل لا محل لها من الإعراب، وجمل لها محل من الإعراب، وقد بدأ بالجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ لأنها أصل في بابها. أما الجمل التي أُعْرِبَتْ؛ فلأنها يمكن أن تحلَّ محل المفرد، هذا هو المعيار في إعراب الجمل ...

أما الجمل التي لا محل لها من الإعراب عند ابن هشام فهي كالتالي : 1- الابتدائية أو المستأنفة 2- المعترضة 3- التفسيرية 4- المحاب بها القسم 5- الواقعة جواباً لشرط غير جازم أو جازم ولم تقترن بالفاء أو إذا الفجائية 6- الواقعة صلة لاسم أو حرف 7- التابعة لما لا محل له³.

والجمل التي لها محل من الإعراب هي الآتي : 1- الواقعة خبراً 2- الواقعة حالاً 3- الواقعة مفعولاً 4- المضاف إليها 5- الواقعة بعد الفاء أو إذا جواباً لشرط جازم

6- التابعة لمفرد 7- التابعة لجملة لها محل 8- المستثناة 9- المسند إليها⁴.

وبعد، إن الاستعراض الأنف الذكر لبعض جهود القدماء في تجاوز عتبة الجملة، يؤكد أمرين: الأول منهما هو تميّز تلك الجهود بالأصالة والنظرة العلمية الدقيقة، وإن كان ينقص مثل تلك

¹ -مغني اللبيب عن كتب الأعراب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمه الله، المصدر السابق، ص: 684 - 685.

² -ينظر: الجمل المختلف في إعرابها: إبراهيم صالح الحندود، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، ع الأول، (المحرم وربيع الأول 1425هـ/ إبريل ويونية 2004م)، ص 21.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

⁴ -ينظر المرجع نفسه: ص 500. وينظر في الصفحة نفسها الهامش رقم (1).

الجهود لم تُشتاتها في نظرية نصية كان لها أن تظهر لولا الجمود الذي ران على العقل العربي فترة طويلة وخصوصاً العقل اللغوي.

والأمر الآخر: أن تلك الجهود جزء لا يتجزأ من مكون النظرية اللغوية العربية الواسعة، بل إن تلك الجهود لتمثل جزءاً من النظرية المعرفية العربية ليس في المستطاع الاستغناء عن ما تمثله من قاعدة صلبة للتطور العقلي وللتطور المعرفي العربي، وعلى ذلك فلا يمكن إهمالها ألبتة، أو التقليل من شأنها، أو حتى إنكار المكون النصي اللساني في الجهد المعرفي والحضاري العربي.

ومن هنا، يتبين وجود فرق كبير في مفهوم النص، وذلك من خلال الاستقراء لما سبق، بين التراث والمعاصرة، وإذا كان مفهوم النص في السابق يشير إلى الدلالة المركزية للفظ (النص)، وما به من ظهور واكتمال، وإلى تركبه من أجزاء مترابطة ومتحركة وقابلة للتفكيك عبر استقصاء مسألة الفرد لاستنتاج نصه، إلا أنه لا يؤدي إلى التعريف التام الذي تثبته الدراسات الحداثيّة، وما بعد الحداثيّة في التعامل مع النص كمصطلح دلالي وإجرائي وبالأخص الدلالة الفقهيّة للنص والذي قصرته المعاجم على ما دل ظاهر اللفظ عليه من أحكام للنص. فلقد مالت الدراسات الحداثيّة إلى الأخذ بالمفهوم الغربي للنص ولذلك تشابه تعريف د. خليل أحمد خليل مع المعاجم الغربية¹.

لقد تطورت دلالة النص، ولا يضير العربية عدم وجود تعريف محدد بدقة للنص. فلقد " أدرك عدد من المفكرين الغربيين أهمية هذا الأمر بعد سقوط البلاغة عندهم. ولذا، نرى أن (رولان بارت) مثلاً يرفض تعريف (تودورف) للنص وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللا مناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني- تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون"².

¹- ينظر: مقالات في الأسلوبية- دراسة: منذر عياشي، المرجع السابق، ص 207.

²- مقالات في الأسلوبية- دراسة: منذر عياشي، المرجع السابق، ص 208. عن رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. عدد (3) بيروت، 1988.

إن غيبة التعريف بالنص لا تعني عدم معرفة العرب به أو عدم وجود جذور له في العربية، فلقد تناول العرب النص ومارسوه وإن اختلف المنهج المتبع. فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة. " وفي البلاغة العربية برزت النظرة الشمولية إلى النص لدى غير واحد من البلاغيين. فعندما يتاح لنا النظر - مثلاً - في كتاب " إعجاز القرآن " لأبي بكر الباقلاني (403 هـ)، نجد أنه يفرط إفراطاً كبيراً في التأكيد على النظرة الشمولية للقرآن الكريم، مستبعداً جل ما رجح به البلاغيون - قبله - من ظنون في إشكالية الإعجاز، مؤكداً أن خصائص الرشاقة والأسلوب، التي تتكرر في القرآن الكريم كله، حيثما أمعنا النظر هي سبب الإعجاز ومصدره، وليس الإعلام بغيب¹.

أما عبد القاهر الجرجاني (471 هـ)، كما بينا، فقد دعا إلى النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي. فهو - في نظره - لا يستطيع أن يحكم على المزية فيه من قراءة البيت أو الأبيات الأولى، وإنما يقتضيه هذا النظر والانتظار حتى يقرأ بقية الأبيات وقد لا يستطيع أن يقف على أسرار النص ما لم يستفرغ جهده في تأمل القطعة الأدبية كاملة، وبعد ذلك يستطيع أن يتبين المزايا التي تجعله يقف على ما فيها من براعة النقش وجودة التصوير والتعبير².

أما ضياء الدين بن الأثير توفي (637 هـ) فقد أنكر في كتابه " المثل السائر " ما كان ذهب إليه الجمهور، من أهل النظر البلاغي، من حيث أن البيت الشعري يجب أن يكون مستقلاً الاستقلال الكلي عن غيره من أبيات، وأنه لا يجوز أن يكتمل معناه في أول البيت الثاني - مثلاً - وأنكر ما عابه النقاد على الشعراء مما سموه " التضمين "، وهو ألا يكتمل المعنى بقافية البيت، بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه.

وذهب، ابن الأثير، إلى القول بأن علاقة البيت بالبيت كعلاقة الفقرة بالفقرة من النثر، فكما أنه يجوز أن يصل الفقرة بالفقرة، دون أن يعد ذلك عيباً في نثره. فكذلك الشعر يستطيع الشاعر أن يعلق معنى البيت بالذي يليه، ولو صح هذا... لكانت القصيدة كالسبيكة الواحدة، لا

¹ - إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق.

² - دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي المصدر

السابق، ص 157.

يستطيع كائن من كان أن يرى تفككها، وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها العضوية، وحدتها الحية التي ينشدها المبدع، وتعين القارئ على التفاعل مع النص، تفاعلاً يجعله يقف على مزاياه المتمثلة في انضباطه وتنظيمه الداخلي.¹

وينفرد حازم القرطاجني (684 هـ) ... بنظرة أكثر شمولية للنص، تميزه عن غيره من أهل النظر في علوم البديع والبيان ... فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " زعم أن لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي، عن القصيدة².

لقد عرف العرب القدماء النص وأدركوا دوره، وفي الأدب العربي إشارات عديدة ترشدنا إلى ما يؤكد أن النص غير متناه في الإنتاج والحركة، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية، ولقد أشارت كتب الأدب العربي إلى ممارسات نصية عديدة بخصائص ومميزات تختلف بين العصور الأدبية.

ولكن " لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية كما عرفوها مع القرآن. ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة ... تكمن في الوقوف على (النص في ذاتيته النصية) بتعبير رولان بارت. فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"³.

بعدما أن بيّنا موقف الدراسات العربية القديمة من النص، وعرّجنا قبلها على أبرز الاتجاهات في مسيرة تطور لسانيات النص، أو علم اللغة النصي في الغرب، سنتناول في هذا المقام أهمّ الدّراساتِ النَّصِيَّةِ التي بَجَّاوزتْ عَتَبَةَ الجُمْلَةِ في اللغة العربيّة في العصرِ الحاضرِ لتكتمل الصورة ونفهم بحق موقف الدراسات العربية، قديمها وحديثها، من علم اللغة النصي.

¹- ينظر المثل السائر: ضياء الدين بن الأثير.

²- الأسلوبية ونظرية النص - دراسات وبحوث/ نقد: د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997، ص55-56.

³- مقالات في الأسلوبية: منذر عياشي، المرجع السابق، ص 202.

وللإشارة زيادة على ما سبق، فإن لسانيات النص بصفتها فرعاً من اللسانيات قد انتقلت إلى اللغة العربية بوساطة الترجمة، ولعل أول إشارة إلى لسانيات النص أو علم النص أو تحليل الخطاب في الأعمال العربية المعاصرة هي إشارة نهاد رزق الله في بحثه (دراسات منهجية في تحليل النصوص)، قائلاً: "جاء تحليل الخطاب هزياً جداً لأنه اكتفى بمعنى التعابير من ضمن النص المغلق، أو أعطى كل المعاني لأي نص انطلاقاً من فرضيات المحلل وخلفياته".¹

وربما كانت هذه النظرة الهجومية لأن الرؤية لما تتضح بعد آفاق هذا العلم، أو لبعده نهاد رزق الله عن ممارسة التخصص اللساني بمعناه الدقيق. ويقرّر سعيد بحيري بعد ذلك أنه تعرّف على كتاب علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تأليف: فان دايك في سنة (1985م)، حين بدأ يتحول إلى مجال علم اللغة النصي أو علم لغة النص. ويُلاحظ أن هذا التأريخ أي سنة (1985م) قد أشار إليه سعيد يقطين كبداية للتعرفه على جهود فان دايك أيضاً² بيد أن سعيد بحيري يشير في آخر مترجماته التي أصدرها حول علم اللغة النصي أن تعرفه بمفاهيم هذا العلم وأعلامه يرجع إلى عام 1979م.³

أما أول إشارة مهمة إلى هذا العلم فقد كانت في بحث سعد مصلوح الذي عنوانه: من نحو الجملة إلى نحو النص الصادر في سنة (1989م) في الكويت⁴ ويذكر سعد مصلوح أن الدعوة إلى نحو النص قد ترددت لديه في عمليتين سابقتين هما:

الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، الذي صدر في الكويت 1980م، و بحث (مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية) ضمن ندوة قراءة جديدة لتراثنا النقدي، في نادي جدة

¹ -دراسات منهجية في تحليل النصوص: نهاد رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ/1984م، ص 10.

² -ينظر: انفتاح النص الروائي (النص والسياق): سعيد يقطين، المرجع السابق، ص 14.

³ -ينظر: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج): كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه ومهد له أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1425هـ/2005م، ص 11.

⁴ -ينظر: من نحو الجملة إلى نحو النص: سعد مصلوح، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون معلماً، ومؤلفاً، ومحققاً (مجموعة بحوث مهدها إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكره الثانية) تحرير: ودیعة طه النجم وعبد بدوي: جامعة الكويت - كلية الآداب، 1410هـ/1990م، ص: 406 - 432.

الأدبي الثقافي عام 1988م¹، وهو يشيد في هذا البحث بلفتة بارعة لأمين الخولي في تاريخ متقدم يعود إلى عام 1931م تشير إلى وجوب مجاوزة حدود الجملة إلى النص في الدرس البلاغي، ويذكر أن هذه اللفتة قد وجدت صدى على صعيد النظر عند أحمد الشايب في كتابه الأسلوب الصادر في طبعته الأولى سنة 1939م غير أنه لم يُلْتَفَت إليها على صعيد التطبيق. ويمكن أن يكون أول بحث عربي يستعمل بعض أدوات علم اللغة النصي، هو بحث: انفتاح النص الروائي (النص والسياق) الصادر في طبعته الأولى سنة (1989م) في الدار البيضاء، ثم توالى المترجمات والبحوث المنشورة باللغة العربية في مجال علم اللغة النصي. ثم ظهرت بحوث مهمة في لسانيات النص العربية لعل من أهمها بحث محمد الخطابي (مدخل إلى انسجام الخطاب)، وبحث الأزهر الزناد (نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، وبعض البحوث المتفرقة في الجامعات العربية.

ومع ذلك فإن حقل لسانيات النص في اللغة العربية يعدّ من أقلّ الحقول العلمية المرتبطة باللسانيات إنتاجاً فكلّ البحوث العربية في هذا العلم لا تكاد تتجاوز المائة بحث حتى الآن، مع أن مراجعة للبحوث في مجلة فرنسية واحدة كما يقول محمد الشاوش في بحثه المهم حول تأسيس نحو النص في اللغة العربية يظهر أن البحوث المنشورة فيها تحت عنوان تحليل الخطاب أو علم النص تتراوح في العام الواحد ما بين 94 إلى 298 بحثاً علمياً من عام 1978م حتى عام 1990م .

ومع أن لسانيات النص بشكلها الآني تعدّ علماً بكرةً إلا أنها، في تجاوزها نحو الجملة، محاولة إيجاد قواعد لنحو النص ستصبح من أهم فروع اللسانيات التي يعتمد عليها أي باحث في أي مجال معرفي كان؛ ولذلك من الواجب الاهتمام بلسانيات النص التي يراها بعضهم السبيل الوحيد للقضاء على العقم الذي ران طويلاً على نحو الجملة بعد نظريات تشومسكي، فضلاً عن ذلك فإن الجهود الرائعة التي قام بها اللغويون والأصوليون العرب القدامى قد تكون أفضل أساس لإقامة نظريات نصية جديدة.

¹ - في كتاب النادي الأدبي الثقافي بمكة 59، المجلد الآخر، ص 839.

ومما لا بد منه في هذا المقام الإشارة إلى بعض أهم اتجاهات لسانيات النص في البحوث، التي تناولت اللغة العربية، والحقيقة أنّ عدد البحوث العربية ذات التخصص الدقيق في هذا المجال قليلة جداً، فهي تُعدُّ على الأصابع.¹

وتعدُّ دراسة محمد خطابي (1991م) من أوائل الدراسات العربية في المجال التطبيقي في لسانيات النص، وقد تأثرت الدراسة بمنظور اللسانيات الوصفية من خلال اتجاه م. أ. ك. هاليدي ورقية حسن المسمّى الاتساق في اللغة الإنجليزية (Cohesion in English)، ومزج هذا المنظور في تطبيقه، بما استخلصه من التراث العربي من البلاغة والنقد الأدبي، والتفسير، ومع إنَّ اتجاه م. أ. ك. هاليدي ورقية الحسن في كتابهما يمكن أن يُعد ضمن الاتجاه اللغوي النحوي، إلا أن محمد خطابي درس جوانب دلالية، وأخرى تداولية. وأفاد من بعض اقتراحات (فانديك) و(ج. ب. بروان) و(ج. يول) ذات الصلة بموضوع التماسك، كما أنه استثمر في دراسته تلك الجوانب مضيفاً عليها جوانب دلالية، وأسلوبية، وبلاغية من خلال معطيات التراث العربية.²

وهو يبدو بهذا البحث ذا منهج نصي ينزع إلى الشمولية من خلال الانطلاق من الموضوع المطروح للدرس، وليس من منهج أو اتجاه بعينه، وهذه إحدى سمات المنهج النصي المتعدد المشارب...

واتبع طريق محمد خطابي (مصطفى صلاح قطب 1996م)، ولم يصرح باتباعه نهج نصي محدّد، بل إنه تناول التماسك النصي في إطار ثلاثة مناهج بحثية عامة هي المنهج الوصفي، والإحصائي، والتاريخي، مع الانطلاق من منظور (أ. م. ك. هاليدي، ورقية حسن)، والتنبيه على أن القدماء قد مارسوا التعامل مع النص وإن غاب عنهم تعريفه.³

¹ -قارن ذلك بما لحظه محمد الشاوش من غزارة الإنتاج المعرفي في لسانيات في فرنسا ما بين عامي 1978م و1990م، إذ بلغ عدد البحوث في العام الواحد ما بين 94 إلى 298.

أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): محمد الشاوش، ج1، صص 76-77.

² -ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد خطابي، المرجع السابق، صص 6-7، وصص 209-211.

³ -دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات: مصطفى صلاح قطب: رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1417هـ/ 1996م، صص 5-6، وصص 205.

كما سلك الطريق نفسها (صبحي إبراهيم الفقي 2000م)، مع ملاحظة أن التأثير الأوضح كان لـ (أ . م . ك . هاليدي، ورقية حسن)، عليهم جميعاً¹ كما تابعهم أيضاً (مصطفى النحاس 2001م)، وقد كان مقلداً في دراسته الموجزة لمحمد خطابي ليس إلا.²

ومن الدراسات ذات التأثير الجلي بالدراسات الغربية تطبيقات نظرية (دي بوجراند وولفجانج دريسلر) في اللغة العربية، التي قام بها (إهام أبو غزالة وعلي خليل حمد 1999م)، وقد اتفق الباحثون الأربعة أن يكون العمل جهداً مشتركاً لهم جميعاً³

وبهذا العمل يتكوّن اتجاهٌ إدراكيّ إجرائيّ أصيلٌ (الاشتراك في إنجاز النظرية، وليس ترجمتها أو التأثير بها فقط) في البحث النصي في اللغة العربية.

ومن البحوث المهمة المؤسسة في اللغة العربية لللسانيات النصية ما قدمه (الأزهر الزناد 1993م) في ما يكون به الملفوظ نصاً، وقد اعتمد في بحثه على رصد الروابط التركيبية، والإحالية، والزمانية، معتمداً في الأخيرة على لوكاشيو (Lo Cascio)، الذي يعمل في إطار النحو التوليدي، وفي إطار نظرية العاملية والرابطية⁴، أو ما يسمى بنظرية الربط العاملي، وبالإمكان عد نموذج الزناد نموذجاً خاصاً به، في إطار الاتجاه اللغوي النحوي في علم اللغة النصي.

ومن النماذج التي يمكن اعتبارها ضمن النماذج النحوية الدلالية المنطلقة من مفاهيم التراث العربي نموذج (عمر أبوخرمة 2004م)، ويقوم نموذجه على تحديد بنیان النص من خلال رصد العلاقة بين الفقرة والفقرة في سورة البقرة، وإيضاح أبعاد العلاقة الدلالية والنحوية بطريقة تؤدي إلى تشكل النص⁵.

¹ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): صبحي إبراهيم الفقي، ج1، المرجع السابق 116-118.

² - نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: مصطفى النحاس، المرجع السابق، ص: 58-83.

³ - مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر): إهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، المرجع السابق، ص: 7-8.

⁴ - نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً): الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص 72.

⁵ - نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى): عمر أبوخرمة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص31، هامش رقم 2.

ومن الأعمال ذات الاتجاه النحوي المعتمد على النظرية النحوية العربية القديمة ما قدمه (حسني عبد الجليل يوسف 1997م) في استثماره مقولة إعراب الجمل في النحو العربي لتأسيس إعراب النص إذ أوضح أن النظريات الغربية قد لفتت نظره إلى إعراب الجمل في النحو العربي وكون المعربين وبخاصة معربي القرن الكريم كانوا أقرب إلى نحو النص¹.

وقد أكد في بحثه على عدم اعتماده على أي من البحوث الغربية في نظره إلى إعراب النص.

ويأتي بعد ذلك العمل الضخم لـ (محمد الشاوش 2001م)؛ لي طرح مفهوم نحو النص في النظرية النحوية العربية بما فيها من تركيب، ودلالة، وسياق، واستعمال، ومقام، ونص رافضاً فكرة المسار الخطي التطوري في العلوم الإنسانية؛ وبناء على ذلك يمكن مقارنة النظرية النحوية العربية بمختلف النظريات النحوية واللسانية، من غير أن يكون هناك تسلط لفكرة ما يُسمى (تراثاً قديماً)، ليرصد من خلال ذلك الجهد الكبير الذي قدّمته النظرية العربية في تأسيس نحو النص (اللفظ، القول، الكلام، الخطاب)...، وأنه إذا كان هناك من مسوغ لانتقال النظرية اللسانية الغربية من نحو الجملة إلى نحو النص، فإن هذا المسوغ لا يمكن قسر النظرية النحوية العربية عليه؛ إذ نحو النص متضمن في أثنائها².

وهذه النظرة بالطبع لا تدعو إلى التوقف عند المحصول العربي السابق دون إعادة نظر، أو تمحيص، أو إضافة، أو تنظير، أو إفادة من معطيات البحث في العالم الحديث، ولكن ينبغي أن يكون الانطلاق الأولي من خلال النظرية النحوية العربية الموسعة - مثل ما فعلت هنا، الإفادة من معطياتها.

وعلى ذلك ينبغي أن يُفَرَّق بين تلك البحوث التي تبني تلفيقاً أو أمشاجاً مختلطة منطلقة في بداياتها من نظريات حديثة محاولة تصيّد بعض ما جاء في النظرية النحوية العربية، ووصله بتلك

¹- إعراب النص (في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب): حسني عبد الجليل يوسف، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997م، ص 14-15.

²- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): محمد الشاوش، المرجع السابق، ج1، ص 13-21، وج2، ص 1261-1352.

النظريات الحديثة، كما ينبغي التنبه إلى وقوعها في خطأ فكري منهجي، ولذلك فإن التوجه العلمي المحمود في هذا الخصوص هو الانطلاق من خلال النظرية النحوية العربية الموسعة التي لا تقتصر على كتب النحو واللغة القديمة فقط، مع عدم الاستنكاف من الإفادة من المعطيات اللسانية الحديثة في البحث، والفحص، والمقارنة، والعمل على إيجاد آفاق نظرية وتطبيقية عربية جديدة في إطار علم لغة النص.

وفي هذا الإطار لفهم المدونات الأدبية يحتم علينا دراسة اللغة دراسة نصية متكاملة، لأن النظرة الجزئية لها تجعل أمر الفهم مستحيلاً، لأن النص يوصف بأنه وحدة نحوية أوسع، وليس مجرد مجموع جمل كبرى، بل هو وحدة دلالية لها معنى سياقي يتحقق في شكل جمل، وهذا ما يفسر علاقة الجملة بالنص؛ إذ هي الجسد الأول للوحدة الدلالية الكبرى التي يشكلها النص. ومن هذا كله، يتوجب البحث عن تحليل الخطاب من منظور كل من الدراسات البلاغية والدراسات الأسلوبية.

المبحث الأول: بين البلاغة والأسلوبية

إذا كان الفصل السابق اهتم بتبيان ماهية لسانيات النص معرجا على أهم الخصائص والآليات ثم ذكر مراحل نشأة هذا العلم الجديد عند الغرب وختم بتبيان الإسهامات العربية، قديما وحديثا، في هذا الشأن.

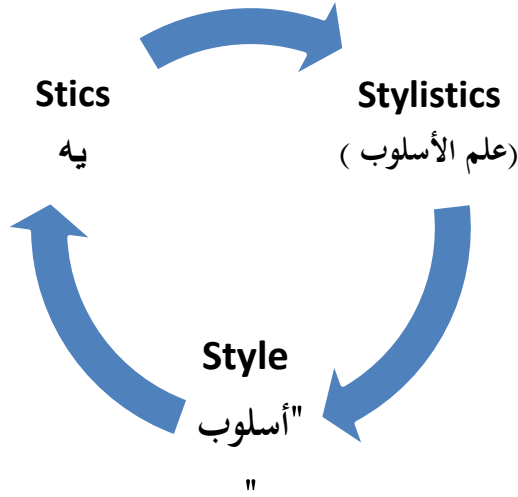
فإن هذا الفصل سيركز على ذكر علاقة لسانيات النص، يوصفه علما متداخلا مع علوم أخراة، مع البلاغة والأسلوبية أثناء الممارسة النقدية.

يجدر بنا بداية، للكشف عن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية في شتى مظهراتها، أن نقف عند الماهيات ولو بصورة مبسطة، ريثما نتناولها بالبسط في أمكانها، للوقوف على المعاني المخبوءة وراء الكلمتين ليسهل علينا التعامل معها في ثنايا البحث.

ولكي نحدد مفهوم الأسلوبية، ينبغي علينا أولاً أن نبحث في جذرها اللغوي في اللغات الأوروبية، باعتبار أن هذا العلم وليد الدراسات النقدية الغربية الحديثة، وإن كانت له بدايات في النقد العربي القديم، فكلمة **Style** " أسلوب " ترجع إلى الكلمة اللاتينية **Stilus** وتعني الريشة أو القلم أو أداة الكتابة، ثم انتقلت إلى مجال الدراسات الأدبية لتعني طريقة الكتابة، ومنها جاءت **Stylistics** (علم الأسلوب)¹.

والمخطط التالي يوضحها أكثر:

¹-ينظر: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: د.عدنان النحوي، دار النحوي، ط1، 1419هـ، ص



وإذا حللنا هذا المصطلح، مثلما بينه المخطط، نجد أنه مركب من جذر **Style** "أسلوب" ولاحقه الذي يدل على النسب **Stics** "يه" وخصائص الأصل تتقابل انطلاقاً من أبعاد اللاحقة.

واستناداً على ما سبق؛ فإن الأسلوب "ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، واللاحقة تختص فيما تختص به، بالبعد العلماني العقلي وبالتالي الموضوع"¹، ويمكن في الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة (Science of Style) "علم الأسلوب" لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب².

ولقد مرت الأسلوبية بعدة مراحل، ففي بداية هذا القرن "نشأ نظامان عن تجديد المذاهب اللسانية فشكلا، باسم الأسلوبية، دراستين منفصلتين ومتميزتين، تطورتا تطوراً مساوياً لتطور النقد التقليدي للأسلوب... وهما أسلوبية التعبير من جهة أولى، وهي عبارة عن دراسة علاقات الشكل مع التفكير، أي التفكير عموماً، وهي تتناسب مع تعبير القدماء"³.

كما ستنشأ من جهة أخرى أسلوبية الفرد. وهي، في الواقع "نقد للأسلوب، ودراسة لعلاقات التعبير مع الفرد والمجتمع الذي أنشأها واستعملها. وهي بهذا دراسة تكوينية إذن،

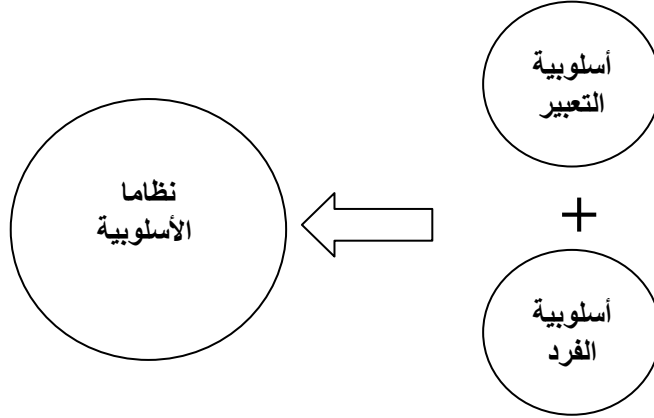
¹ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1977، ص84.

² - ينظر: الأسلوب والأسلوبية: بيروجيرو، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط2، 1994، ص30.

³ - الأسلوبية وتحليل الخطاب: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص42.

وليست معيارية أو تقديرية فقط، إن أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني المعبر لنفسه. بينما تدرس الأخرى هذا التعبير نفسه إزاء المتكلمين¹.

وهذا ما يوضحه المخطط التالي بجلاء:



وتنظر الأولى، منهما، إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وبهذا تعتبر وصفية، وتحدد الثانية الأسباب، وبهذا تعتبر تكوينية. ولذا كانت الأولى أسلوبية للأثر وتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني، بينما الثانية أسلوبية للأسباب وتنتسب إلى النقد الأدبي².

وقد وجدنا الاهتمام بالأسلوبية التعبيرية يكاد ينحصر "في بـالي **Charles Bally**، وإذا كانت وظيفة العالم اللغوي عند بـالي هي البحث عن القوانين اللغوية التي تحكم عملية الاختيار فإن وظيفة المحلل الأسلوبي قد تطورت على أيدي تلاميذه لتصبح أكثر خصوصية، فتغدو البحث عن القوانين الجمالية التي تحكم عملية الإبداع الأدبي"³.

¹ - الأسلوبية وتحليل الخطاب: د. منذر عياشي، المرجع السابق، ص 43.

² - ينظر: الأسلوبية: بيروجيرو، ترجمة د. منذر عياشي، المرجع السابق، ص 45-46.

³ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 85.

وما يمكن قوله في هذا المجال بأن تودوروف خطأ بالأسلوبية خطوة كبيرة حين "تجاوز حدودها اللغوية التي تتعامل مع الألفاظ والتركيبات بالسياق العام وعلاقاته بالعالم الخارجي والظروف القادرة على تفسير تلك التركيبات اللغوية"¹.

ومن المعلوم، في الدراسات اللغوية الحديثة، بأن أفول الأسلوبية التكوينية يقوم على طرفين: "من جهة أولى على نهضة أسلوبية وظيفية²، تتجه نحو غايات الأدب أكثر مما تتجه نحو أصله. وقامت من جهة ثانية، ضد نفور اللسانيات التاريخية من تمثيل المخططات البنيوية واستخدامها وابتعادها عن المعايير الجديدة التي كان بإمكانها أن تحملها إليها"³.

ومما أكدته الدراسات اللغوية الحديثة، أيضاً، أنه إذا "كانت ألسنية دي سوسير **Ferdinand de saussure** قد أنجبت أسلوبية بالي (**Charles Bally**) ، فإنّ هذه الألسنية نفسها قد ولدت الهيكلية التي احتكت بالنقد الأدبي فأحصبا معاً شعريّة "جاكسون" و"إنشائية" تودوروف وأسلوبية ريفاتير **Michael RIFATTERRE**"⁴.

وإذا كان دي سوسير (**Ferdinand de saussure**) قد اتبع منهجاً وصفيّاً، فإن تلاميذه من الألسنيين والأسلوبيين قد ساروا على طريقته، ولكن شارل بالي (**Charles Bally**) اتخذ طريقاً مستقلاً فارق فيه سوسير؛ لأنه يدرس الطرائق التي يتحول بها النظام اللغوي العام إلى أسلوب خاص، ولذلك اهتم بالانحرافات عن القاعدة.

وإذا كانت الأسلوبية التعبيرية تنشُد في مرحلة بحثها القصوى استجلاء أساليب التعبير ورسم خارطة للإمكانات الأسلوبية والطاقت التعبيرية للغة ما بناء على حصر بالي **Charles Bally** "مدلول الأسلوب في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة"⁵.

¹ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 86.

² - يعتبر جاكسون هو صاحب الأسلوبية الوظيفية والتي تقوم على أساس فكرة الاتصال.

³ - الأسلوبية: بيير جيرو، المرجع السابق، ص 127.

⁴ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 237.

⁵ - المرجع نفسه، ص 85.

وتحاول الأسلوبية التكوينية استنطاق أسلوب الخطاب "لمشاركة بؤرة الخلق وبلوغ المنطقة القصوى المجمعمة والمولدة الصور والطاقات الإبداعية، معلقة بذلك، الأسلوب بذات صاحبه، فإن الأسلوبية البنيوية لا تعني بغير الخطاب موضوعاً للدراسة والغاية المستهدفة من البحث"¹ مسيحة، بذلك، وجودها وحاصرة حدوده فيما يدعوه جاكسون الوظيفة الإنشائية، أي اعتبار النص، حسب تعبير المسدي " خطاباً يركب لذاته وفي ذاته"².

تعتبر الأسلوبية البنيوية، نظرية ريفاتير (Michael RIFATTERRE) ، المرحلة الثالثة، و"مرحلة ما بعد الأسلوبية تمييزاً لها عن مرحلتها السابقتين. فلقد صار النص كاملاً هو موضوع البحث، ومن أجله قامت لسانيات النص فأحرزت بهذا تقدماً على نفسها بعد أن كانت حدود الدرس مقصورة على لسانيات الجملة. والأسلوبية مضطرة أن تماشى خطا هذا التطور وأن تكون الأسلوبية للخطاب، وأن تتعدد وفقاً للأجناس الأدبية نفسها. الرواية والقصة، والشعر، إلى آخره. ويدل هذا أنها حين تدخل كل مجال من هذه المجالات فإنها ستقارب النص من خلال جنسه الأدبي... وهنا سترى أمامها أنواعاً أخرى من الدراسات ستتداخل معها كلسانيات النص والشعرية، والتناس، إلى آخره"³.

ونستطيع، انطلاقاً من أنّ الإحصاء من مناهج الأسلوبية، القول: أنه إذا كان "الأسلوب انزياح بالنسبة إلى القواعد...، فإن الإحصاء هو العلم الذي يدرس الانزياحات، والمنهج الذي يسمح بملاحظاتها، وقياسها، وتأويلها. ولذا فإن الإحصاء لا يتوانى عن فرض نفسه أداة من الأدوات الأكثر فعالية في دراسة الأسلوب. وإن كانت الآراء تقف منه موقفين متعارضين، فالأسلوبية الوظيفية استعارت نماذجها من نظرية الاتصال، واستعانت بمفاهيم الإخبار، والتكرار، والضوضاء، وهذه أمور يستطيع الإحصاء أن يمنحها مضمونها الموضوعي الذي ينقصها"⁴.

¹ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 84.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - الأسلوب والأسلوبية: بيروجيرو، ص 142-143.

⁴ - المرجع نفسه، ص 134 - 135.

ولقد تناول الأسلوبية الإحصائية صلاح فضل في كتابه "علم الأسلوب"، وسعد مصلوح في "الدراسة الإحصائية للأسلوب"، وشفيق السيد في "الاتجاه الأسلوبي" وغيرهم، وتعرضوا لمن وقف مع أو ضد الإحصائية، والمميزات السلبية والإيجابية للإحصاء.

وينصب تناول الأسلوبية "على اللغة الأدبية، لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء، بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحرافات عن المستوى العادي المؤلف بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز، وعلى هذا يمكننا القول بأن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال بينما الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد"¹.

وقد أدى اقتصار الدراسات الأسلوبية على الظواهر اللغوية والبلاغية وأنماط خرق الأسلوب العادي، "إلى وضع الأسلوبية في طريق مسدود... وذلك لأن الأدب ظاهرة شمولية تجمع كل الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية... الخ، ولا سبيل بأدواتها اللغوية البحتة أن تطمح إلى إطلاق الأحكام الاجتماعية، والثقافية، أو سبر أغوار رؤى الكاتب الاجتماعية، وغيرها بأدواتها اللغوية الجزئية في النهاية"².

هذا وقد ألفتنا الدراسات النصية تنظر إلى "المنظور الأسلوبي بصورة هامشية، فالأسلوبية تضع قاعدة معياراً متحققاً بالقوة في اللغة العادية، وتقابلها مع الانحرافات في الأسلوب ويتعارض هذا التصور مع فكرة مركزية النص"³.

في حين لم تقف الأسلوبية عند القواعد المعيارية وأخذت في التطور حتى وصلت إلى النصانية (النصية بتعبير أفصح)، فما النصانية إلا وليدة عنها، حيث لم يقف النقد عند القوالب الجاهزة وتطبيقها على النصوص، كما لم يقصروا أنفسهم على بنية النص السطحية، ودراستها

¹ - بين البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ط1، 1984، ص146.

² - الأسلوبية الحديثة: د. محمد عياد، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الجزء الأول، 1981، ص130.

³ - مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: مجموعة من الكتاب، ترجمة: د. رضوان ضاضا، عالم المعرفة، 1997م، ص216.

دراسة إحصائية أسلوبية، تكتفي بالإحصاء أحياناً، وبالدلالات الجزئية القريبة والقائمة غالباً على محاور مبنية على ثنائيات. بل تطورت الأسلوبية ليتولد عنها ما أطلق عليه النصانية¹.

هذا ما كان بخصوص الأسلوبية أما فيما يخص البلاغة فقد ظل التمثل الأساسي لها أنها فن القول، أو فن الكتابة، أو فن التعبير الأدب. وقد كان أرسططاليس يتمثل الخطابة فناً، فن الإقناع، أو كانت مباحثها تشمل الإيجاد، والترتيب، والتعبير، والتي ظلت مباحث البلاغة التي ما انفك الغربيون يتوارثونها إلى اليوم، ويجهدون فيها مبحثاً، مبحثاً.

ورغم أنه، في العصور المتأخرة، تغلبت العناية عندهم بمبحث التعبير، والذي يتعلق بصور البلاغة من تشبيهه، واستعارة، ومجاز وما شابه، على غيره من المباحث، فإن البلاغة رغم معياريتها، وقواعديتها ظلت تخدم جانب الفرادة في ذلك، والذي هو جانب الفرادة الأسلوبية؛ ومن هنا قالوا في صور البلاغة أنها صور أسلوب².

إلا أن الملفت للنظر أن تجارب الأدب، في الفترات الأخيرة، كشفت عن بروز أشكال جديدة للتعبير الأدبي، وبالتالي بروز صور بلاغية جديدة، مثل ما يسمى بـ (الصورة image) ، أو ما يسمى بـ (الرمز symbole).

فقد أطلق مصطلح (صورة) على الجانب الحسي الذي يمثل العالم في تجربة الإنسان؛ ولذلك شملت التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، والشعار، والأسطورة، والرمز؛ رغم أن (الرمز) يتميز بأنه (صورة حسية) ترمز شيئاً معنوياً؛ وذلك³ هو تعريفه الفني اليوم.

يرى كثير من الباحثين المحدثين بأن البلاغة اهتمت بدراسة الخطاب دراسة جزئية⁴ تقوم على المعيارية واستصدار الأحكام التقييمية، وقد استندت أساساً في ذلك على مبدأي التخطيطة

¹- ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث: د. يوسف نور عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 67.

²- ينظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1984م، ص 268.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 193.

⁴- ينظر في كتب د. محمد العمري. يعود هذا الخطأ إلى المفهوم الشائع للبلاغة في الساحة الأدبية والتعليمية العربية، وهو خطأ ناجم عن اعتماد شروح التلخيص التي انصبت على عمل السكاكي "مفتاح العلوم".

والتصويب، وبناء على تفضيلها للشكل على المضمون مما جعلها في النهاية تصاب بالعقم، في استنطاق النصوص إلى حد ما.

ومع ظهور لسانيات دي سوسير **Ferdinand de saussure**، كما أشرنا سابقاً، في مطلع القرن العشرين، ودعوته إلى الدراسة العلمية الوصفية التزامنية للغة، ظهرت على أنقاضها الأسلوبية كمنهج بديل، مادامت هذه الأخيرة "كعلم جديد نسبياً، حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصرها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المنفردة، ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة، وهذه الدراسة البلاغية كانت يوماً ما أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية"¹، حين كانت الدراسة المعيارية المعتمدة استصدار الأحكام، والحرص على التقيد بالتوصيات المسطرة سلفاً، منهجاً يعول عليه كثيراً في تركيب الآثار الأدبية.

تستمد الأسلوبية علاقتها بالدرس اللساني الحديث بوصفها منهجاً وصفاً علمياً، تنفي عن نفسها المعيارية، وإرسال الأحكام التقييمية، بالقبول، أو بالرفض، يضاف إلى ذلك، أنها لا تسعى إلى غاية تعليمية البتة، ناهيك عن حرصها الشديد على تعليل الظواهر الإبداعية وبعد أن تقرّر وجودها ههنا جاز لنا أن نقر بأحقية الدراسات الأسلوبية في مقاربتها النصوص الإبداعية، بشيء من العلمية الوصفية، على النقيض مما تعاملت به البلاغة.²

لقد لقيت دراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني احتفاءً عظيماً في الدرس العربي، منذ القرن الثاني الهجري، التي استدعت، بالضرورة، ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة "أسلوب" عند البحث المقارن بين أسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب الكلام العربي، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم.

وقد أدى اجتهاد كثير من العلماء المتقدمين كأبي عبيدة (210هـ) والأخفش سعيد بن مسعدة (207هـ) والفراء (208هـ) إلى إثراء مفهوم الأسلوب في الشعر وجلاء أشكاله، رغم تباين

¹ -البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، المرجع السابق، ص 268.

² -المرجع نفسه، 256.

الأهداف التي سعوا إليها، بين بلاغة الخطاب القرآني وإعجازه أو دفع طعون الملحدون في القرآن وعربيته.

وبالعودة إلى المعاجم العربية نجد الزبيدي، مثلاً، يُعرّف الأسلوب بأنه هو "السطر من النخيل و"الطريق" يأخذ فيه، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الوجه والمذهب، يقال هم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، وقد سلك أسلوبه: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، والأسلوب بالضم "الفن"، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"¹.

ويذهب الفيروز أبادي نفس المذهب إلى أن "الأسلوب الطريق"²، وينعته الرازي بـ "الفن"³، وجمعاً للمعنيين يصير الأسلوب هو طريق الفن.

أما عند البلاغيين فإنّ الأسلوب في اعتقاد ابن طباطبا. كشأن "النساج الحاذق الذي يوفق وشبهه بأحسن التوفيق ويسديه وينيره"⁴ حتى يجلي نظمه في أحسن حلة، ولا يتأتى له ذلك إلا بالحذق في صناعة الأسلوب والتحكم في آلياته.

ولقد ألفتنا النظرة إلى الأسلوب تتعمق في التراث البلاغي مع أطروحات عبد القاهر الجرجاني (471هـ)؛ إذ نجده يساوي بين الأسلوب والنظم، بل يجمع بينهما جمعاً عبقرياً، لأن الأسلوب عنده لا ينفصل عن رؤيته للنظم، بل نجده يماثل بينهما من حيث إنهما يشكلان تنوعاً لغوياً خاصاً بكل مبدع يصدر عن وعي واختيار وفهم، ومن ثم يذهب عبد القاهر إلى أن الأسلوب ضرب من النظم وطريقة فيه⁵.

وإذا كان الأسلوب، كذلك، يجب أن يتوخى فيه المبدع اللفظ لمقتضى التفرد الذاتي في انتقاء اللغة عن وعي وذلك بمراعاة حال المخاطب، فإن الجرجاني قد أضاف أصلاً أصيلاً إلى

¹ - تاج العروس: الزبيدي، المصدر السابق، 1/ 302.

² - القاموس المحيط: الفيروز أبادي، المصدر السابق، 1/ 86.

³ - مختار الصحاح: الرازي، المصدر السابق، ص 130.

⁴ - عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المناع، كلية الآداب جامعة الملك سعود، دار العلوم بالرياض، ص 11.

⁵ - ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 64.

نظرية الأسلوب في البلاغة العربية القديمة، إذ جعل الأسلوب يقوم على الأصول العربية وقواعدها، فالنظم يمتنع معنى إذا لم ينضبط بالنحو، وذلك ما أسس له الجرجاني في دلائل الإعجاز بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نجت، فلا تزيغ منها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"¹.

وجعل، بذلك، عبد القاهر الجرجاني (-471هـ) من النحو قاعدة لكل نظم، لا باعتباره أداة أسلوب ينتظم بها التركيب في نسقه الإعرابي العام، وإنما جعل منه، كذلك، مستفتحاً لما استغلق من المعنى؛ إذ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب مفتاحاً لها، و"أن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه؛ والمقياس الذي لا يعرف صحيحاً من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه"²، فإذا أدرك المبدع ذلك استقام له الأسلوب وأتاه أنى شاء.

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى ابن خلدون نجده يصرح بأن الأسلوب عند أهل الصناعة "عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القوالب التي يفرغ فيها، ولا يرجع على الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتباره الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية"³.

ويؤكد ابن خلدون في مقدمته، أيضاً، أن الوظيفة الشعرية أو الصناعة الشعرية "ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبناء، فيرصها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام"⁴.

¹ -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 64.

² -المصدر نفسه، ص 74.

³ -مقدمة: ابن خلدون، ج 2، ترجمة علي عبد الواحد وافي، ص 352.

⁴ -المصدر نفسه، ص 353، 354.

ومن الممكن القول، بعد هذا، أن الأسلوب مهاد طبيعي للأسلوبية، إذ يعدُّ مفهوم الأسلوبية، كما أسلفنا، وليد القرن العشرين وقد التصق بالدراسات اللغوية، وهو بذلك قد انتقل عن مفهوم "الأسلوب" السابق في النشأة منذ قرون، والذي كان لصيقاً بالدراسات البلاغية.

وتحاول الأسلوبية، أساساً، الإجابة عن السؤال: كيف يكتب الكاتب نصاً من خلال اللغة؟ إذ بها ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص أو استهجانته، كما يتأتى له، أيضاً، الوقوف على ما في النص من جاذبية فنية تسمو بالنص إلى مصاف الأعمال الفنية الخالدة.

وتعتبر الأسلوبية من المناهج التي تبنت الطرح النسقي انطلاقاً من مؤسسها شارل بالي Charles Bally، كما تمت الإشارة إليه سلفاً، "فمنذ سنة 1902 كدنا نجزم مع شارل بالي Charles Bally أن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه ف.دي. سوسير Ferdinand de saussure أصول اللسانيات الحديثة"¹.

وعندما وضع شارل بالي Charles Bally قواعدها المبدئية، حينها غيرت الدراسات النقدية نمط تعاملها مع الآثار الأدبية، باعتمادها النسق المغلق المتمثل في النص، واستقرائه من خلال لغته الحاملة له، وإبعادها كل ماله صلة بالسياقات وإصدار الأحكام المعيارية.

وزيادة على ما سبق، فإن الأسلوبية كمنهج نقدي غايته مقارنة النصوص في سياقها اللغوي المتمثل في النص، ومدى تأثيره في القراء، فيجعل من الأسلوب مادة لدراسته، حينها نجد أن هذا الأخير يكون حقلاً خصباً تجدد فيه الأسلوبية ضالتها درساً وتطبيقاً.

ومن هنا، فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبي، لأنَّ الأسلوبية تعود بالضرورة، حسب طبيعتها، إلى "خواص النسيج اللغوي، وتنبثق منه، فإن البحث عن بعض هذه الخواص ينبغي أن يتركز في الوحدات المكونة للنص وكيفية بروزها وعلائقها"² أمّا فيما يتصل "بالأثر

¹ - الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 20.

² - شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القصد والقصيد/ صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط 1/1999، ص 80.

الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانياً، وجمالياً وموقفاً أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك"¹.

ونجد أن الدارسين في البلاغة، والأسلوبية اليوم يعترفون بوجود منطقة مشتركة بين البلاغة، والأسلوبية يعملون، كما يعمل علماء النص²، على دراستها، والإفادة منها، خاصة ما يسمى بـ(الحزمة الأسلوبية)، أي ما في النص من مؤشرات دالة، أو ذات دلالة: وهي المؤشرات التي تتداخلها: - صور البلاغة؛ وحسّ الجمال، والجمالية.

والدارسون اليوم يعتبرون، أيضاً، أن الانحرافات التي في النسيج الكتابي الأدبي للنص هي التي تعكس هذه المؤشرات الدالة، وحزمتها الأسلوبية؛ وهناك تتكشف مجالات كل من البلاغة، والأسلوبية، وآثار كل منهما في الكتابة الأدبية للنص.

وذلك أن الأسلوبية تصافح الملفوظات الأدبية في حسيتها المباشرة، فتكشف عن خصوصيتها، وبالتالي فرادتها؛ بينما تظل البلاغة عند قواعديتها، فتكشف عن حقيقة هذه الفرادة في كشفها عن الانحرافات التي في الكتابة.

والبلاغة في نظر فان ديك (Van Dijk)، هي السابقة التاريخية لعلم النص، وكانت تصف النصوص، وتحلل الصور الأسلوبية، كما تدرس وسائل الإقناع، مما هو داخل في وظائف الاتصال، ويصّب اليوم في نظره، في علم النص، الذي يجب أن يكون الإطار العام للبحوث، والمظاهر التي لا تزال تسمى بلاغية³.

¹ -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، دار المعارف، مصر، ط1/01/1993، ص33.

² -يتجاوز (فان ديك)، مثلاً، الجملة إلى النص، ويصير يهتم ببنية النص نفسه، والتي استخراجها بدراسة ما يسميه بـ(الأبنية النصية)، وهي: 1- أبنية صوتية، 2- أبنية تركيبية، 3- أبنية دلالية، أعتبر أن علينا الوقوف على خصائصها استناداً إلى (عمليات) تتم على مستويات معينة، وداخل وحدات معينة؛ وهذه العمليات هي: أ- الإضافة، ب- الحذف، ج- القلب، د- الاستبدال.

³ -ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - بيروت، 2000م، ص 14.

إن الذي أكد الصلات التي بين البلاغة، والأسلوبية، رغم استقلال كل منهما بعض عن بعض؛ أو أيضاً ازدهار كلٍ منهما في مجاله الخاص، الآراء والنظريات التي صارت تقدم في الأدب، والنقد الأدبي، والأسلوب، مثل خصوصية الأدب من الوجهة الجمالية، أحوارية الكلمة، وخاصة في الرواية، أو تحرير المتلقي من آلية المؤلف، استناداً إلى تعددية الصور البلاغية، أو الشعرية كوظيفة في الخطاب الأدبي، أو الرسالة الخالقة لأسلوبها، وهكذا دواليك.¹

ولهذا سنقف على أهم أوجه الاتفاق الكثيرة بين علم الأسلوب وعلم البلاغة وعلى أوجه الاختلاف بينهما، ولعل الوقوف على هذه الفروق يوضح لنا ويجلي مدى العلاقة والاتصال بين الأسلوبية والبلاغة .

فأما أوجه الاتفاق فهي كما يأتي:

1. أن كلا منهما نشأ منبثقا من علم اللغة وارتبط به.
2. أن مجالهما واحد وهو اللغة والأدب.
3. علم الأسلوب استفاد كثيرا من مباحث البلاغة مثل علم المعاني والمجاز والبديع وما يتصل بالموازنات بين الشعراء وأساليبهم الفردية.
4. كما أنهما يلتقيان في أهم مبدئين في الأسلوبية هما: العدول والاختيار.
5. يرى بعض النقاد أن الأسلوبية ورثة البلاغة وهي أصل لها.
6. تلتقي الأسلوبية مع البلاغة في نظرية النظم ، حيث لا فصل بين الشكل والمضمون كما أن النص لا يتجزأ .
7. البلاغة تقوم على مراعاة مقتضى الحال والأسلوبية تعتمد على الموقف وواضح ما بين المصطلحين من تقارب².

¹- ينظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، المرجع السابق، ص 268.

²- ينظر: اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب: شكري عياد، الطبعة الأولى 1988م، ص 43-49.

أما أوجه الاختلاف فهي على النحو الآتي:

1. علم البلاغة علم لغوي قديم أما علم الأسلوب فحديث.
2. البلاغة تدرس مسائلها بعيدا عن الزمن والبيئة أما الأسلوبية فإنها تدرس مسائلها بطريقتين :
طريقة أفقية. أي علاقات الظواهر بعضها ببعض في زمن واحد .
طريقة رأسية. أي تطور الظاهرة الواحدة على مر العصور.
3. عندما تدرس البلاغة قيمة النص الفنية فإنها تحاول أن تكشف مدى نجاح النص المدرس في تحقيق القيمة المنشودة، وترمي إلى إيجاد الإبداع بوصاياتها التقييمية.
4. أما الأسلوبية فإنها تعلق الظاهرة الإبداعية بعد إثبات وجودها وإبراز خواص النص المميزة له.
5. من حيث المادة المدروسة فالبلاغة توقفت عند الجملتين كحد أقصى في دراستها للنصوص، كما أنها تنتقي الشواهد الجيدة وتجزئها.
6. أما الأسلوبية فتتنظر إلى الوحدة الجزئية مرتبطة بالنص الكلي وتحلل النص كاملا.
7. البلاغة غايتها تعليمية تركز على التقويم، أما الأسلوبية فغايتها التشخيص والوصف للظواهر الفنية¹.

وبعد هذه المقارنة بين البلاغة والأسلوبية يتضح لنا أنه لا تعارض بينهما، وأنّ الأسلوبية استفادت من البلاغة كثيرا؛ بل إن الأسلوبية لم تنهض إلا على أكتاف البلاغة ولكنها تقدمت عليها في مجال علم اللغة الحديث ولو أن هذا التقدم لا يصعب على البلاغة أن تحوزه، كما سنبين في المبحث اللاحق، إذا ما استفادت من مبادئ وإجراءات لسانيات النص وعلم الأسلوب والمناهج الألسنية بعامة.

¹ - ينظر: في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللومعي، مطابع الحميضي، ط1، ص68-70.

المبحث الثاني: تحليل الخطاب من منظور الدراسات البلاغية

- ماهية البلاغة :

وردت كلمة (بلغ) في معجم (الصّحاح في اللغة) "بَلَّغْتَ المكانَ بُلُوغًا بمعنى وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ" أي قَارِنَتْهُ. وَبَلَغَ الغلامُ: أدرك. والإِبْلَغُ: الإِصْطِلَاحُ، وكذلك التَّبْلِيغُ، والاسمُ منه البَلَاغُ. والبَلَاغُ أيضًا: الكفايَةُ. ومنه قول الراجز: نَزَجَ مِنْ دُنْيَاكَ بالبَلَاغِ و إِذَا قَلْنَا (بَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ. وَبَلَغَ الفارسُ، إِذَا مَدَّ يَدَهُ بَعنانَ فرسه ليزيد في جَرْيِهِ. وشيءٌ بِالْبَلْغِ، أَي جَيِّدٌ.

وقد بَلَغَ في الجودةِ مَبْلَغًا. ويقال أمرُ اللهُ بَلْغًا بالفتح، أي بَالِغًا من قوله تعالى: "إِنَّ اللهَ بَالِغٌ أَمْرُهُ". وقولهم: أَحْمَقُ بَلْغًا بالكسر، أي هو مع حماقته يَبْلُغُ ما يريد. والبَلَاغَةُ: الفصاحةُ. وَبَلَغَ الرجلُ بالضم، أي صار بَلِيغًا. والبَلَاغَاتُ، كالوشاياتِ. والبَلِغِيُّ الداهيةُ.

وفي الحديث أن عائشة قالت لعلي رضي الله عنهما حين أُحْدِثَتْ: "بَلَّغَتْ مِنَّا البِ لُغِيْنَ". فلانٌ في أمرِي، إِذَا لم يَقْصُرْ فِيهِ. والبُلْغَةُ يُتَبَلَّغُ به من العيش. وَتَبَلَّغَ بكذا، أَي اكْتَفَى به. وَتَبَلَّغَتْ به العِلَّةُ أَي اشْتَدَّتْ. والبَالِغَاءُ: الأكارُغُ في لغة أهل المدينة¹.

أما من حيث الإصطلاح فأول ما يطالعنا من ذلك ما نقله الجاحظ عن العتابي من أن: "كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ"²، ويعرف البلاغة بأنها "كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن."³

¹ -الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، المصدر السابق، مادة (بلغ).

² -البيان والتبيين: الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر، تحقيق علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01: 1408هـ، 1988م، ج01، ص148.

³ -كتاب الصناعتين: العسكري أبو هلال، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المصدر السابق، ص10.

ونجد أن مفهوم البلاغة استقر بعد ذلك على أنها "الاختيار الأمثل للمعطيات اللغوية من جانب المستعمل للغة، بالنظر إلى الإمكانيات اللانهاية التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها، الصوتي والمعجمي والصرفي والتركيبى"¹.

وحين قال البلاغيون العرب لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء، ولم يكن «ماليونفسكي» وهو يصوغ مصطلحه الشهير (سياق الحال) «CONTEXT OF SITUATION» يعلم أنه مسبق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها².

ولقد ألفينا أن مفهوم البلاغة (Rhétorique) يطرح في الساحة التداولية العربية عدة إشكالات، ناجمة عن الاختزال الذي تعرضت له البلاغة، عندما تقاسمت تركتها عدة علوم كالنحو والفلسفة والمنطق، واللسانيات... تاركة لها حيزا ضيقا متمثلا في الأسلوب.³

والواقع أن هذا الفهم الاختزالي، في تعاملها مع الخطاب، الذي تعرضت له البلاغة عند العرب كما عند الغرب طيلة قرون طويلة، لا يعكس الدينامية التي عاشتها البلاغة، في عصورها الذهبية مع اليونان، ومع الفلاسفة والبلاغيين العرب، ومن هنا سنحاول عرض مفهوم البلاغة كما تبلور مع اليونان، ومع البلاغيين العرب، قبل أن نستعرض القراءات الاختزالية للبلاغة، والآفاق التي تفتحتها بعض المقاربات الحديثة في الموضوع.

¹ -التحليل العلمي النصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية: عبد الرحمن حاج صالح، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة -الجزائر، عدد06، جويلية 1996م.

² -اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.ص372.

³ -التحليل العلمي النصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية: عبد الرحمن حاج صالح، نفس العدد، المرجع السابق.

-مولد البلاغة والممارسة النقدية:

والحقيقة إن الحديث عن مولد البلاغة ونشأتها، يدفع البحث لأن يسير بنا في اتجاهين: الشعر والقرآن، والكلام عن القضايا التي طرحها القرآن أولى، وإن كان الشعر العربي أقدم في وجوده وأسبق. وذلك لسببين: الأول، لأنّ الأمة العربية قبل الإسلام كانت أمة أمية على وجه الإجمال ولم تكن وثيقة الصلة بالبحث العلمي واللغوي. والثاني، لأن البحث في القرآن كان هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء، أو بمعنى أدق، كان باعثاً للبحث في لغة الشعر على وجه التحديد¹.

والأهم من هذا وذاك، هو أنه للقرآن يعود سبب خلق الحضارة العربية الإسلامية وتوجيهها. فكان له فضل تكوين العقل العلمي عند العرب والمسلمين من جهة، وتسيير الجهد العلمي والبحث الأصولي وجهته التي سار بها من جهة أخرى.

هذا، وقد كان للإشكاليات التي طرحها أهل المذاهب والفرق، كبير الأثر في تقوية الدرس اللغوي وتعميقه، فحظيت الدراسات الأدبية والبلاغية من جراء ذلك بنصيب وافر من النظر والعناية، كما تأثرت بطرق الباحثين في القرآن إعجازاً وإشكالاً ومعنى، لاسيما أن القاطع المشترك بين الدرس القرآني والدرس الأدبي، كان يقوم على محور واحد هو محور اللغة. وقد أدى هذا الأمر إلى تكوين نقاد للأدب، اختصوا به، وعملوا على وضع أسس لدرسه، ومعايير لنقده².

ومن هنا، فإن الدرس اللغوي والبلاغي عند العرب، بمعناه العلمي، قد ابتدأ بدراسة الإعجاز في القرآن، عن طريق البحث عن أسرار التعبير القرآني.

وقد أثارت هذه القضية قضايا أحر كثيرة، لأنها تركزت من حيث الأساس على تداخل الشاغل الديني بالشاغل اللغوي. وأخذ هذا الأمر فيها أهمية كبرى، لأنه ربط بين ميدانين: فقد

¹-ينظر: التفكير البلاغي عند العرب: حمدي صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص35.

²-ينظر: المرجع نفسه، ص47.

صير التقرير اللغوي بإعجاز القرآن تأكيداً للمصدر الإلهي في وحيه وتنزيله. كما كان لهذا التداخل أثره العظيم أيضاً على مسار الفكر العربي، وتوجيهه وإثرائه.

أما عن قضية الإعجاز بالذات، فقد ذهب الباحثون فيها مذهبين: الأول، ويرى الإعجاز في الأمور الغيبية التي اشتملت عليها بعض السور. والثاني، ويرى الإعجاز في نص القرآن نفسه، أي في لغته ونظمه. وحجتهم في ذلك:

1. أن كثيراً من السور لا تشتمل على أمور غيبية.

2. وأن الله تحدى العرب، وهم الفصحاء، أن يأتوا بسورة من مثله.¹

وقد قاد هذا الأمر الباحثين إلى إجراء مقارنات بين لغة القرآن وغيره من جهة، كما قادهم، من جهة أخرى، إلى دراسة القرآن وغيره من جهة، كما قادهم، من جهة أخرى، إلى دراسة القرآن من حيث هو نص لغوي لاكتشاف سر الإعجاز فيه.

فاهتم بدراسة غريب لفظه، كما درس تركيبه، ودرس مجازه، كما درست طرق تصرفه بالكلام. وباختصار فقد وقفوا فيه على مسائل، ليست من خصوصيات الأدب، لأن القرآن كما جزموا القول فيه ليس نصاً أدبياً، ولكنها، لكي تكون قريبة إلى أفهامنا، من خصوصيات الأدبية، وهذا يعني أنهم وقفوا فيه على أمور تجعل منه كلاماً يوازي كلام العرب ويفارقه في الوقت نفسه. هذه الأمور هي جملة فرادته التي اصطلحوا على تسميتها الإعجاز.²

ولقد كان هذا التوجه من قبلهم إيذاناً مبكراً لإرساء بعض القواعد المنهجية لعدد من الدراسات التي اتصلت العلوم اللسانية بها حديثاً فقط. ونقصد بهذه العلوم: الدراسات المتزامنة للغة، والدراسات الأسلوبية والمقارنة، والدراسات النصية أو ما يسمى بلسانيات النص، وعلم الدلالة، والتداولية، وعلم الإشارة.³

¹ - الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1974، ص 06.

² - ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ص 6.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 6-7.

البلاغة و الموقف من الخطاب ما يهمنا هو أن نقف على ذلك الخطاب الذي أنشأه علماءنا دراسة للخطاب القرآني، وتحليلاً له. إذ به سجلوا مواقفهم، وبه انفتحت طرق فكرهم، وبه تعددوا فرقاً ووجهات نظر. وهذه قضايا، في رسم ملامحها، تتجدد أطر نشأة الدرس اللغوي والأسلوبي والبلاغي في الثقافة العربية الإسلامية.

إذا عدنا إلى ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن"، فسنراه يتحدث في المقدمة عن أمرين، فيهما الجواب على كثير من التساؤلات، ومنهما يستشف الواقع الذي حدا العرب إلى الانتقال بالبحث اللغوي من دراسة الجملة: نحواً وصوتاً وصرفاً، كما هي الحال في الدراسات اللسانية والنحوية مثلاً، إلى دراسة النص ومكوناته، كما هي الحال في الدراسات التي تقدمها لسانيات النص حديثاً.¹

ينطلق ابن قتيبة من رصد بعض الظواهر الأسلوبية عند العرب عامة وفي القرآن خاصة، ليؤسس بهذا فرادة الكلام المدروس ضمن الظاهرة اللغوية. وهو إذ يفعل هذا، فإنما يريد أن يبين أن للكلام سمات بها يتميز من غيره، وأنه من غيرها يفقد خصوصيته التي بها صار مميزاً.

ولتعزيز مذهبه في رصد فرادة الكلام، فإنه يركن إلى الترجمة ليتخذ منها دليلاً، فهو يتكلم عن صعوبتها أولاً، ثم يؤكد استحالتها في نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى، كما تم ذلك بالنسبة إلى الإنجيل والتوراة والزيور، ونحن نعلم أن الترجمة بالإضافة إلى كونها عملاً لغوياً، فإنها أيضاً رؤية للعالم، يتموضع فيها خطاب جديد استل من خطاب سابق.

الأمر الثاني، وهو الذي يبدو الدافع فيه واضحاً. فقد ذهب ابن قتيبة يرد عن القرآن وينافح عنه، شأنه في ذلك شأن معظم العلماء الذين استحوذت عليهم هذه القضية وفجرت طاقاتهم الإبداعية وقدراتهم العلمية، فجاء الدرس اللغوي والعلمي عندهم صورة مثلى لعمل حضاري رصين.²

¹- ينظر: التفكير البلاغي عند العرب: حمدي صمود، المرجع السابق، ص36.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص37.

يتبين لنا مما سبق، أن نشأة التفكير اللغوي والبلاغي كانت ضمن دائرة التفكير الديني، ولما كان الأمر كذلك، فقد كان لا بد أن تحتدم المواقف، وتصطرع الأفكار، كما كان لا بد أن يقوم علم يطرح القضايا والمسائل، ويقيم الأصول، ويحدد القواعد.

ولما كان الكلام على الكلام في التراث العربي الإسلامي، نتاجاً لتصور حضاري، فقد أسس بنيانه على مجموع مسائله وقضاياها، وانتهى بالعمل العلمي عامة، والعمل اللغوي خاصة إلى كشف معرفية تكاد لا تحصى¹.

وكان من أثر تعددية الأصوات هذه، أن تعددت المستويات اللغوية لدراسة النص، كما تعددت مستويات رصد متغيرات الأسلوب في الخطاب الواحد على أساس معرفي وليس على أساس طبقي اجتماعي، الأمر الذي جعل الدرس البلاغي العربي يخالف من حيث الأساس، أي من حيث المولد، طبيعة الدرس البلاغي عند اليونان، ولدى بعض التيارات الإيديولوجية المعاصرة.²

ولقد كان لعلم البلاغة فضلٌ كبير في بيان أساليب العرب، وتراكيب لغتهم، وما تمتاز به من قوّة وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخيال؛ ممّا أعان كثيراً على فهم تراثنا، وتقدير لغتنا، وبيان إعجاز كتابنا الكريم، بل إنَّ دراسة الإعجاز وإدراكه كان الهدف الأسمى الذي من أجله وُضِعَ علم البلاغة؛ يقول ابن خلدون: "واعلم أنّ ثمره هذا الفن، إنما هي فهم الإعجاز من القرآن"³.

ومن هنا؛ فإن البلاغة العربيّة وسيلة مهمة في فهم كتاب الله، لهذا فهي قرآنية المولد، درجت وتمت في رحاب كتاب الله، تستهدي آياته، وتتشرب معانيه، قبل أن تتناول الأدب العربي بوجه عام.

¹- ينظر: التفكير البلاغي عند العرب: حمدي صمود، المرجع السابق، ص38.

²- ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص7.

³- المقدمة، ابن خلدون، باب البيان، طبعة دار الشعب، المصدر السابق، ص521.

وعلى هذا، فالبلاغة علمٌ له قَدْرُه ومكانته، وعلينا نحن العرب والمسلمين أن نحلّه المكانة اللائقة به من الاهتمام والتقدير.

لكنّ البلاغة العربية، وإن كانت لقيت عناية كبيرة في عصورها الأولى، تخلفت عن ركب العلوم الحديثة، واعتزض طريقها من الصعاب والعقبات ما وقف بها عن بلوغ الغاية، وحادّ بها عن مسار الذوق والفن والجمال.

ذلك أنّ البلاغة بعد أن أئِنعت على يد عبد القاهر (471هـ)، واستوت على سوقها تُعجب الزرّاع، ما لبثت أن استقرّت في يد علماء الكلام والفلسفة والمنطق، فحوّلوها إلى تعاريف وتقاسيم تقوم على جدلٍ عقيم.

فمنذ أَلّف السكاكي (626هـ) في القرن السادس الهجري كتابه "المفتاح"، وجعل القسم الثالث منه في علم البلاغة، وكتب المؤلفين تدور حوله، وتبني عليه، وتنهج طريقته الكلامية الجدلية، بل تزيد عليه تعقيدات وإغراباً¹.

وجاء القزويني (682هـ) في القرن الثامن الهجري، فأججه هو الآخر إلى "مفتاح العلوم"، ولخصّ قسمه الثالث، بعد أن رأى فيه حشواً وتطويلاً وتعقيداً، فهدّبه ورثبه ترتيباً أقرب تناولاً، ولكن بنفس الطريقة والأسلوب، ثم رأى أنّ هذا التلخيص غير وافٍ بالعرض، فوضع شرحاً على تلخيصه هو "الإيضاح"، وهذا الكتاب هو الذي وقفت عنده البلاغة لا تريم، ولم يُكتب لها بعده التطوُّر والتجديد.²

وفي كتابي القزويني (682هـ) "التلخيص" و"الإيضاح"، يجد الباحث الفلسفة وأساليب المناطق ومصطلحاتهم ماثلةً أمامه؛ ممّا يعوق الانتفاع من بلاغته في صقل الأذواق وتربيتها، وللأسف فإنّ كتاب "التلخيص" هو الذي دارت حوله وحول شروحه دراسة البلاغة حتى العصر الحديث.

¹- يُستثنى من ذلك النذر اليسير، مثل: كتابي ابن الأثير وابن سنان.

²- ينظر: "مناهج بلاغية"، ص 378.

وقد نقد أحمد مطلوب كتابي القزويني (682 هـ) نقداً جيّداً¹، وأبرز ما فيهما من عُيوب وإغراب عن مسائل البلاغة وفنّها، ونقل بعض عبارات القزويني (682 هـ) عن الملكة والكيف، والصدق والكذب، والجامع والدلالات وغيرها، كأمثلة تُؤيّد وجهة نظره، ثم قال: لقد نقلنا هذا كلّهُ؛ لَنُظهِر خُرُوجَهُم عن البلاغة، وإلّا فما علاقة هذا الكلام بها؟ وكيف يستفيد منه الأديب في نقد الأدب، وإظهار جماله؟²

وننتهي من هذا كلّهُ إلى أنّ النزعة الفلسفية والجدلّية تُسَيِّطِر على بلاغة القزويني (682 هـ)، وهذا واضحٌ في المنهج والتبويب، وبيان المعاني البلاغية، واستخدام الأساليب والمصطلحات الكلامية والفلسفية، ومن هنا نرى أنّ لا فائدة من العُكُوف على بلاغة القزويني (682 هـ)، وشُرح تلخيصه.³

والواقع أنّ الشكوى من جفاف علم البلاغة، وإقحام مسائل الفلسفة والمنطق فيه، شكوى عامّة وردت في كثير من كُتب المعاصرين، الذين كتبوا في تاريخ البلاغة وعلومها، أو دعوا إلى تجديدها، كما وردت كذلك في كُتب المتقدمين والمتأخّرين.

ونجد من ذلك قول المغربي بعد أن تحدّث عن اللدّة والألم، والأشكال والسمع والذوق: "وقد أطنبتُ فيما يتعلّق بهذه الكيفيّات، على حسب ما فسّرها الشارح، ممّا هو من تدقيقات الحكماء، بعد تفسير بعضها بما هو أقرب إلى الفهم؛ قصد الإيضاح وزيادة في الفائدة، وإن كان تفسيره، كما قيل، لا يناسب هذا الفن، ولا يسهل على المتعلّم، بل يزيده حيرة"⁴.

من ذلك، أيضاً، قول عصام الدين بعد أن تكلم عن الحواس والكيفيات والحركات: "واعلم أنّه لم يفِ المصنّف بما وعد في ديباجة الكتاب؛ من حذف الحشو، والتطويل والتعقيد،

¹ - ينظر: "مناهج بلاغية"، المرجع السابق، ص 420.

² - المرجع نفسه، ص 404.

³ - المرجع نفسه، ص 410.

⁴ - شروح التلخيص: مواهب الفتاح، ج3، ص 343.

وسهّا عنه في هذا المقام؛ لأنّ هذه التقسيمات ممّا لا نفع له في هذا الفن، بل يوجب تحيّر الأفهام، وإيقاع المبتدئين في الظلام"¹.

ولقد أحسّ القدماء أنفسهم بما في هذه البحوث من حشو وإقحام على الدراسات البلاغيّة، ولكنهم - فيما يبدو - فعلوا ذلك؛ ليثبتوا ثقافتهم الواسعة، وأطّاعهم العميق على أساليب الفلاسفة والمتكلمين.

فإذا كانت البلاغة عند أرسطو مفهوم شاسع يتضمن كل العناصر المتعلقة بإنتاج الخطاب من مرسل ونص ومتلقي، وأنها تشمل فضلا عن المكونات اللغوية، أبعادا أخرى تداولية وإقناعية. ولكن شاء تاريخ البلاغة عند الغرب أن يحتفظ بالقسم الثالث، أي العبارة و"نسي الناس شيئا فشيئا مكوناتها الأخرى واحتفظوا بهذا الجزء على أنه الكل. مما أحدث في ممارسة الإنسان والنص (texte) للظاهرة اللغوية تقاربا كاد يكون تطابقا بين الخطاب (Discours) ومن ثم بين الخطابة والأدب"².

لم تنشأ البلاغة العربية نشأة فلسفية همها البحث عن الحقيقة، ولم تصاحبها التحولات الديمقراطية التي صاحبت ظهور البلاغة اليونانية، وبالرغم مما يمكن أن يقال من أن البلاغة العربية نشأت في أحضان الشعر، فاهتمت أساسا بصورة الخطاب وشكله، وليس بأبعاده التداولية والإقناعية، وهو ما يمكن أن يرادف المعنى الاختزالي للبلاغة"³.

فلهذا لا يجب أن ننساق مع مثل هذه الآراء في عموميتها. حقا إن الاهتمام بالصور والمحسنات ظل الغالب في التراث البلاغي العربي، ولكن يجب ألا نغفل عن بعض المحطات المتميزة التي اهتمت في التنظير للبلاغة بمختلف جوانب الخطاب.

¹- الأطول، ج 2، ص 77.

²- ينظر: مقدمة في الخلفية النظرية لمصطلح الحجاج: حمادي صمود. ضمن كتاب جماعي من إنجاز فريق البحث في البلاغة والحجاج عنوانه: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، نشر كلية الآداب منوبة. تونس. 1998، ص 17.

³- المرجع نفسه، ص 18.

وما تجدر الإشارة إليه، في البداية، هو أن مؤسس البلاغة العربية أي "الجاحظ" (255هـ)، لم يدر بخلده أبداً، كما سيثيب بعده، أن يختزل البلاغة في الصور والمحسنات، فقد اهتم في كتبه ورسائله بالتنظير لمختلف عناصر الخطاب: المتكلم والنص والمتلقي. واهتم اهتماماً بالغاً بالخطاب الإقناعي، ودعا إلى مناظرة الخصوم والبصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة¹.

مما يمكن معه القول بأن مفهوم البلاغة في ذهن الجاحظ (255هـ)، لم يكن يختلف عن المفهوم الذي كان عند أرسطو، على وجه العموم.

ولقد وجد البلاغيون اللاحقون كل شيء في بلاغة الجاحظ (255هـ)، إلا الإقناع. مما سيساهم في تكريس مفهوم اختزالي للبلاغة، سيدعمه ذلك الاهتمام المبالغ فيه الذي حظيت به بلاغة السكاكي (626هـ)، أو بالأحرى شروح وتلخيصات كتاب السكاكي "مفتاح العلوم". والتي اختزلت البلاغة في ثلاثة مباحث هي: البيان والمعاني والبديع. علماً أن المشروع العام لبلاغة السكاكي كان ينطلق من مفهوم شامل للبلاغة يتداخل فيه النحو، والمنطق، والشعر فضلاً عن المعاني والبيان².

وقد ظل هذا المفهوم الاختزالي للبلاغة - ولا يزال - مهيمناً في نظرنا للبلاغة العربية، وكأن السكاكي (626هـ) وشراحه هم الممثلون الوحيدون للبلاغة العربية، وكأن الفلاسفة المسلمين لم يستطيعوا تقريب المفهوم الشامل للبلاغة من خلال ترجمتهم لكتاب "الخطابة" لأرسطو.

الدرس البلاغية والعودة من جديد:

ظهرت، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، في الغرب أصوات تنبه إلى خطورة اختزال امبراطورية البلاغة في المستوى الأسلوبي أو المحسنات، وهكذا "ألف جيرار جنيت مقالا حظي بمكانة خاصة في التنظير البلاغي الحديث سماه البلاغة المختزلة (La Rhétorique restreinte)

¹-مقدمة في الخلفية النظرية لمصطلح الحجاج: حمادي صمود المرجع نفسه، المرجع السابق، ص: 21-22.

²-البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص: 481-485.

محاولاً فيه إبراز الانزياح الذي حدث في تاريخ البلاغة عندما تم النظر إليها من خلال جزء من أجزائها هو الأسلوب"¹.

كما دعا بيرلمان (Ch. Perelman) إلى ضرورة "العودة إلى المعنى الشامل للبلاغة الذي يضم أبعاداً حجاجية جدلية وفلسفية منطقية، وذلك في محاولة منه لإحياء البلاغة الميتة التي فقدت على مدى قرون أجزاء. هامة من امبراطوريتها الواسعة"².

وعندما تنتقل إلى التنظير العربي البلاغي الحديث نفاجاً بقلة الدراسات التي اهتمت بتدقيق المصطلح البلاغي، بل إن إلقاء نظرة على المقررات الجامعية والمدرسية تثبت مدى استمرارية السطو على الميراث البلاغي من خلال علوم تتخذ مسميات متعددة: فهي سيميولوجيا، وأسلوبية، ولسانيات، وهي منطق وجدل... إلخ.

ويعتبر محمد العمري - فيما أعلم - من أوائل من نبه إلى خطأ المفهوم الشائع للبلاغة في الساحة الأدبية والتعليمية العربية، وهو خطأ ناجم عن اعتماد شروح التلخيص التي انصبت على عمل السكاكي "مفتاح العلوم"، كما أسلفنا.

فقد شاع أن البلاغة تنحصر في ثلاثة علوم هي: البيان والمعاني والبديع، وهو المعنى التي تقدمه الكتب التعليمية المشهورة مثل: "علوم البلاغة" لمصطفى المراغي. وغيره من الكتب التي حذت حذوه النعل بالنعل"³.

وقد قاد العملية التصحيحية للمسار البلاغي العربي محمد العمري في مجمل ما كتب حول البلاغة، من خلال وضع الأنساق العربية الكبرى التي لا يشكل الأسلوب رافداً الوحيد، بل هناك روافد أخرى تداولية، وحجاجية إقناعية، مما يعني أن البلاغة العربية تحتزن مفهوماً مغايراً للذي كرسته عصور الركود عنها.

¹ -البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري المرجع السابق، ص 123.

² -المرجع نفسه، ص 124.

³ -ينظر: البلاغة القديمة: رولان بارت، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشراوي، نشر الفنك للغة العربية، 1994، ص 39.

وشكلت، كذلك، كتابات محمد الولي نقطة هامة لتدقيق المصطلح البلاغي الذي ينصرف تارة إلى بلاغة المحسنات، وتارة إلى بلاغة الحجاج (بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع). حيث وقف عند مختلف العناصر التي تشكل قوام البلاغة عند أرسطو، والتي لا تعتبر المحسنات إلا جزءاً من أجزائها¹.

ولعل هذا ما دفع - حسب محمد الولي - الشعرية الحديثة إلى العودة إلى البلاغة القديمة بعدما لاحظت عدم كفاية المستويات الشكلية والأسلوبية في الإحاطة بمكونات النص الأدبي: "ولكي تنجز الشعرية هذا المشروع عليها أن تطرح إشكالاتها الخاصة المختلفة عن إشكالات البلاغة الإقناعية"².

وليست الثورات المعاصرة المتمثلة في نظريات جمالية التلقي وتاريخ الأدب وتداولية النص الأدبي... إلخ إلا بدايات لإعادة النظر إلى أسس الأدب التي اختزلت لعهد في نظرية المحسنات³.

إن هذه الجهود المبذولة اليوم في التنظير البلاغي المغربي إذا أضيفت لها بعض الجهود الأخرى المحمودة⁴، يمكن أن تفتح باباً جديداً لإعادة قراءة البلاغة العربية القديمة، والكشف عن مكوناتها الحجاجية والإقناعية والتداولية، خاصة إذا نظرنا إلى الفكر العربي في شموليته حيث يمكن أن نجد تقاطعات عديدة بين الدرس البلاغي وبين علوم أخرى كالنحو وعلم الكلام والتفسير والمنطق.

¹- ينظر: من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي، ومقال آخر له معنون ب: "المدخل إلى بلاغة المحسنات". ضمن مجلة فكر ونقد، العدد 17 مارس، 1999.

²- المرجع نفسه، نفس العدد.

³- المرجع نفسه، ص 138.

⁴- ينظر: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: كتاب جماعي، نشر كلية الآداب منوبة، تونس. 1998، ص 45.

ولهذا لم يكن غريباً أن تتضمن كتب بعض المناطق المغاربة مثل طه عبد الرحمن و حسان الباهي الكثير من المباحث البلاغية¹، مما يؤكد فرضيات البلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج كما بشر بها بيرلمان وتتيكاه وغيرهما من البلاغيين الجدد.

كما أن تبني هذا المفهوم الشامل للبلاغة من شأنه أن يساعدنا على تحيين هذه الأخيرة وجعلها مواكبة للثورة الإعلامية والتواصلية الحديثة، لأن عصرنا هو عصر بلاغة بامتياز، إذ، لنقول مع ميشال ميار Michel meyer، يكفي أن نشعل التلفاز أو نقرأ الجريدة أو نستمع إلى رجال السياسة أو إلى الإعلانات الإشهارية إلخ، لنجد أنفسنا أمام تواصل بلاغي².

وانطلاقاً مما سبق، فإننا نلاحظ أن الدرس البلاغي يعود من جديد، لأن البلاغة ما هي إلا فن الخطاب الجيد، بل هي " نظام من القواعد، تقوم مهمته على التوجه في إنتاج النص الأدبي، وهي نظام يتحقق في النص، تؤثر على القارئ بإقناعه، أو تؤثر على المتلقي في عملية الاتصال الأدبي."³

ومن خلال استقراء تاريخ علم البلاغة ندرك أنه كان له فضلٌ كبير في بيان أساليب العرب، وتراكيب لغتهم، وما تمتاز به من قوّة وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخيال؛ ممّا أعان كثيراً على فهم تراثنا، وتقدير لغتنا، وبيان إعجاز كتابنا الكريم.

بل إنّ دراسة الإعجاز البياني وإدراكه كان الهدف الرئيس الذي من أجله وُضِع علم البلاغة؛ وفي هذا يقول ابن خلدون: "واعلم أنّ ثمره هذا الفن، إنما هي فهم الإعجاز من القرآن"⁴.

¹ - ينظر: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام": طه عبد الرحمن، المركز الثقافي 2000 وإلى حسان الباهي: "الحوار ومنهجية، العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط 2 2004 التفكير النقدي"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1
² - ينظر:

- Question rhétorique. Michel Meyer. Le livre de poche. Librairie général Française. 1993. P7-8

³ - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: أ.د/سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 22.

⁴ - مقدمة ابن خلدون، باب البيان، المصدر السابق، ص 521.

فالبلاغة العربية على هذا، كما أسلفنا، دينية المنشأ، قرآنية المنبع، درجت وثمرت في رحاب كتاب الله تعالى، تتبع آياته دراسة و تنقيها، وتتلقف معانيه فهما واعتبارا، قبل أن تتناول الأدب العربي شعره ونثره.

ومن خلال، أيضا، تتبعنا الدقيق لمسارات البحث البلاغي عند العرب، خلصنا إلى أنّ الملاحظات الأسلوبية هي المصدر الأول للبلاغة العربية، حيث جمعت تحت اسم البديع ومحاسن الكلام (ابن المعتز)، وأن الطموح إلى صياغة نظرية عامة للفهم والإفهام أو للبيان والتبيين (الجاحظ 255هـ) هو المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية.

ومن هنا، فإن للبلاغة العربية مهدين كبيرين أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة¹ ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظل المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته.¹

وفي هذا يقول حازم القرطاجني: "ولو وجد الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام... زاد على ما وضع من القوانين الشعرية"² ولهذا كله وغيره، وجدنا أغلب التيارات النقدية الحديثة³ تتجه إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات.

ولقد بنيتُ هذا البحث على إمكان هذه القراءة وجدواها فكان لها مكانها ودورها. ولاشك أن هذا التوجه يجد سندا له في الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينات تؤرخ للبلاغة الغربية، أو تعيد قراءتها وتفسر فعاليتها مع بارت **Roland Barthes** (تاريخ البلاغة) وجان كوهن وكبدي فاركا وجان مولينو و طامين...

¹ - ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: الدكتور محمد العمري، دار افريقيا الشرق سنة 2005م، ص 28، 29.

² - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص 68.

³ - ينظر البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العُمري، المرجع السابق، ص 70.

ونظرا أيضا، لعودة البلاغة إلى الواجهة، إذ ها هو ذا " رولان بارث Roland Barthes " زعيم المجددين نفسه يبحث للبلاغة القديمة عن فستان حديث، وعن شغل في شركات الإشهار (بلاغة الصورة).

فلقد كتب سنة 1963 قائلا: "ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكية بمفاهيم بنوية، وسيكون، حينئذ، من الممكن وضع بلاغة عامة أو لسانية لدوال التضمين، صالحة للصوت المنطوق، والصورة والإيماء.."¹

وها هي ذي الصيحات النقدية تدعو إلى عودة البلاغة بصفتها "الإمبراطورية"، التي هيمنت على حقول المعرفة النقدية والأدبية في الحقب السوالف.

ونحن مطالبون اليوم، بصورة ملحة، بإعادة الشرعية للدرس البلاغي، انطلاقا من المفهوم النسقي لها، الذي يسعى إلى جعل البلاغة علما أعلى يشمل التخيل والحجاج، ويستوعب المفهومين معا من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، ويوسع منطقة التقاطع إلى أقصى حد ممكن.

فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة، وتوسع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي، حيث يهيمن التخيل، والمجال الفلسفي المنطقي من جهة، واللساني التداولي من جهة ثانية².

وقد دعا باحثون سابقون في مقولاتهم إلى تجديد البلاغة العربية قصد إحياء قواعدها وربطها بما استحدثت من بحوث في شتى المناهج النقدية التحليلية، "أمثال الشيخ أمين الخولي وأحمد الشايب وأحمد الزيات و مصطفى صادق الرفاعي، وكانت محاولاتهم الأولى بداية الربط الحقيقي بين الدرس البلاغي القديم، والدرس الأسلوبي الحديث"³.

¹ - بلاغة الصورة: ر. بارت، نقله الشرقاوي في البلاغة القديمة، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك، البيضاء، 1994م، ص5.

² - ينظر: "البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول: د. محمد العمري، المرجع السابق.

³ - البلاغة العربية قراءة أخرى: د. أحمد عبد المطلب، الشركة العالمية للنشر، ط1/ 1997م، ص6.

لأن البلاغة منذ قال القائل قولته بل ومن قبلها ومن بعدها إلى اليوم والدرس البلاغي يمجج بالحركة والتجديد فلا مسائله مستقرة ولا مناهجه تتوقف عن التجديد.

بين البلاغة ولسانيات النص.

في الحديث عن البلاغة ولسانيات النص لا بد من الإشارة إلى التقارب المنهجي بينهما في النظرة إلى النصوص بصفة عامة، فبينهما نقاط تلاق كثيرة، وفي هذا يقول أ.د/سعيد حسن بحيرى: "لا يخفى أن لمناقشتنا لحدود البلاغة علاقتها بعلم لغة النص دلالة واضحة على الصلة بينهما إلى حد الذي جعل بعض الباحثين يعدها السابقة التاريخية لعلم النص"¹.

وهذا يوضح بجلاء العلاقة بينهما في التعامل مع النص الأدبي في شتى مظهراته، وهذا ما يدفعنا، على حسب قول فانديك، إلى القول بأن "البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجُّهها العام، المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة."²

وينبغي أن يشار هنا إلى أن كثيراً من الأفكار التي تبنتها لسانيات النص والنظرات النصية بزغت "من بحوث في البلاغة القديمة؛ إذ إن البحث في ممارسة الخطاب(الكلام) في البلاغة القديمة يضم عددا من النظرات والقواعد الخاصة بتنظيم نصوص محددة- إذ إنه قد استخدمت في المباحث المتعلقة بترتيب الأفكار وزخرفته، قواعد بناء محددة للنصوص لأهداف بلاغية محددة."³

ويضاف إلى ما سبق أن البلاغة تتوجه "إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقة ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي."⁴ وما تزال قواعد بناء النص البلاغية ضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النص، وبخاصة دراسة النص الشعري بفهومه الواسع.

¹ -علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: أ.د/سعيد حسن بحيرى، المرجع السابق، ص 20.

² -المرجع نفسه، ص 20.

³ -المرجع نفسه، ص 29.

⁴ -المرجع نفسه، ص 21.

وعلى ما سبق، فإن العلاقة بين البلاغة وعلم النص هي علاقة تفاعلية مستمرة لأنّ "علم النص يمكن أن يقدم إطاراً عاماً للدراسة المحددة لبعض الجوانب البلاغية في الاتصال." وذلك لأن البلاغة التي كانت فقدت أهميتها "في فترات سابقة تعد الآن السابق التاريخي لعلم النص"¹

علم البلاغة نموذج جديد لتحليل الخطاب.

في البداية أردنا أن نقرر بأنّ "معرفة طرق التناسب بين المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة"²، فلا عجب أنه منذ النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت في الغرب أصوات تنبه إلى خطورة اختزال إمبراطورية البلاغة في المستوى الأسلوبي أو المحسنات.

ونجد جيرار جنيت **G. Genette** "ألف مقالا أسماه البلاغة المختزلة (**La Rhétorique restreinte**) حظي بمكانة خاصة في التنظير البلاغي الحديث محاولاً فيه إبراز الانزياح الذي حدث في تاريخ البلاغة عندما تم النظر إليها من خلال جزء من أجزائها هو الأسلوب"³.

كما دعا بيرلمان **Ch. Perelman** إلى ضرورة العودة إلى المعنى الشامل للبلاغة الذي يضم أبعاداً حجاجية جدلية وفلسفية منطقية. وذلك في محاولة منه "لإحياء البلاغة الميتة التي فقدت على مدى قرون أجزاء هامة من إمبراطوريتها الواسعة"⁴.

وعندما نتقل إلى التنظير العربي البلاغي الحديث، نفاجاً بقلة الدراسات التي اهتمت بتدقيق المصطلح البلاغي، بل إن إلقاء نظرة على المقررات الجامعية والمدرسية تثبت مدى استمرارية السطو على الميراث البلاغي من خلال علوم تتخذ مسميات متعددة: فهي سيميولوجيا، وأسلوبية، ولسانيات، وهي منطق وجدل... إلخ.

¹ - الخطاب والقارئ: د. حامد أبو حامد، مركز الحضارة العربية، ط2 القاهرة 2002، ص141.

² - منهاج البلغاء: حازم القرطاجني، المرجع السابق، ص 226.

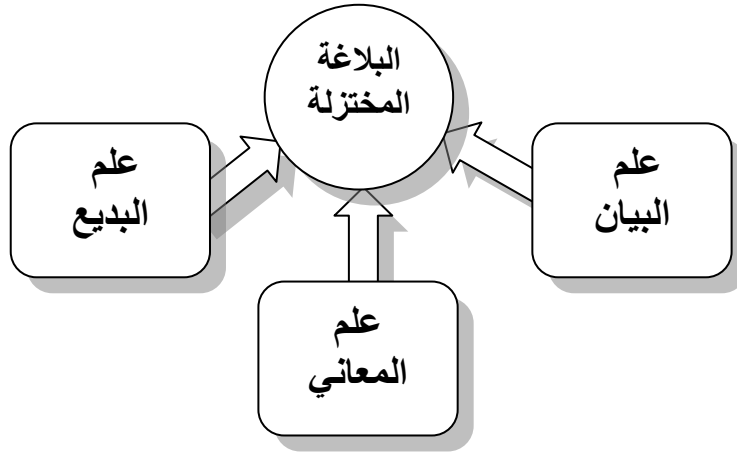
³ - Rhétorique restreinte. G. Genette. Figure3. Edition du seuil. Paris 1972. P 21-40.

⁴ - L'empire Rhétorique . Ch. Perelman. Librairie Philosophique. 1977. P13.

وقد وجدنا الدارسين المحدثين، محمد العمري على وجه الخصوص، فيما أعلم، من أوائل من نبه إلى خطأ المفهوم الشائع للبلاغة في الساحة الأدبية والتعليمية العربية، وهو خطأ ناجم عن اعتماد شروح التلخيص التي انصبت على عمل السكاكي (626هـ) "مفتاح العلوم".

فقد شاع، في الأوساط التعليمية العربية، أن البلاغة تنحصر في ثلاثة علوم هي: البيان والمعاني والبديع، وهو المعنى التي تقدمه الكتب التعليمية المشهورة مثل: "علوم البلاغة" لمصطفى المراغي. وغيره من الكتب التي حذت حذوه النعل بالنعل.

ويبين المخطط التالي العلوم التي اختزلت فيها البلاغة:



هذا الاختزال للبلاغة جعل محمد العمري في مجمل ما كتب حول البلاغة يدعو إلى تصحيح المسار البلاغي العربي من خلال وضع الأنساق العربية الكبرى التي لا يشكل الأسلوب رافدها الوحيد، بل هناك روافد أخرى تداولية، وحجاجية إقناعية¹... مما يعني أن البلاغة العربية تختزن مفهوما مغايرا للذي كرسته عصور الانحطاط عنها.

¹ - ينظر كتاب "البلاغة العامة والبلاغات المعممة: محمد العمري. ضمن مجلة فكر ونقد. العدد 20 /يناير. 2000م، ص: 69-70.

كما علمنا، من خلال ما درست، بأن كتابات محمد الولي شكلت نقطة هامة لتدقيق المصطلح البلاغي الذي ينصرف تارة إلى بلاغة المحسنات، وتارة إلى بلاغة الحجاج (بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع). حيث وقف عند مختلف العناصر التي تشكل قوام البلاغة عند أرسطو، والتي لا تعتبر المحسنات إلا جزءاً من أجزائه¹.

وقد دعت الدراسات اللسانية الحديثة، بجميع مدارسها، إلى العودة إلى البلاغة القديمة بعدما لاحظت عدم كفاية المستويات الشكلية والأسلوبية في الإحاطة بمكونات النص الأدبي: "ولكي تنجز الشعرية هذا المشروع عليها أن تطرح إشكالاتها الخاصة المختلفة عن إشكالات البلاغة الإقناعية."²

وقد شكلت الصيحات العلمية المعاصرة المتمثلة في نظريات "جمالية التلقي" و"تاريخ الأدب" وتداولية النص الأدبي وغيرها، بدايات لإعادة النظر إلى أسس البلاغة التي اختزلت لجهود في نظرية المحسنات"³.

إن هذه الجهود المبذولة اليوم في التنظير البلاغي العربي⁴ يمكن أن تفتح باباً جديداً لإعادة قراءة البلاغة العربية القديمة، والكشف عن مكوناتها الحجاجية والإقناعية والتداولية، خاصة إذا نظرنا إلى الفكر العربي في شموليته حيث يمكن أن نجد تقاطعات عديدة بين الدرس البلاغي وبين علوم أخرى كالنحو وعلم الكلام والتفسير والمنطق.

وقد كان لهذه البوادر والبدايات أصواتٌ تعلو حيناً، وتخفت أحياناً، إلى أن كانت البادرة التي أشعلت الحماس، وأثارت الرأي، وتلك هي معركة البلاغة التي حَمِي وطيسها على صفحات مجلة الرسالة بين علي العماري، والأستاذ أمين الخولي، ثم انضمَّ إليهما آخرون⁵.

¹ - المدخل إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي، "مجلة فكر ونقد". العدد 17.

² - من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي، المصدر السابق، ص 138.

³ - المصدر نفسه، ص 138.

⁴ - "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المرجع السابق، ص 17.

⁵ - التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث: منير محمد خليل ندا، أرشيف جامعة القاهرة، ص 190.

وتُثور قضية التجديد البلاغي، فنجد الأستاذ أمين الخولي يعكف على كتابه "فن القول"، ويُضمّنه آراءه وخطّته في تجديد البلاغة¹، ويصدر الأستاذ أحمد الشايب كتابه "الأسلوب"، ويضع فيه منهجاً كاملاً لبلاغة جديدة²، ويُشارك الأستاذ أحمد حسن الزيات في القضية، فيدفع إلى الميدان بكتابه "دفاع عن البلاغة"³، وفي الجامعة الأمريكية يُلقى البشري محاضرته: "ثورة على علوم البلاغة"⁴.

وفي الجمع اللغوي يُلقى د. عبد الرازق محيي الدين بحثه: "مفاهيم بلاغية"⁵، ويكتب العماري بحثه: "البلاغة العربية وحاجتها إلى التجديد"⁶، وتُعقد الندوات والمحاضرات بين المعنيين بالدراسات البلاغية، وتُذاع على الهواء، كالندوة التي عُقدت بين الدارسين: غنيمي هلال، وبدوي طبانة، وأحمد بدوي⁷، حيث نوقشت فيها قضية التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث.

وعلى هذا، وتأسيساً على ما سبق، فإنّ البلاغة تهتم بالشفرة العامة، لا بالأساليب الفردية، فإنّ البلاغة بقوانينها -غير المعيارية- هي التي تتولى، إذن، حصر الأشكال المحدودة وربطها بالمتغيرات الماثلة في الواقع الإبداعي، ووصف القيمة النسبية لكل شكل منها، إذ بمجرد أن تولد الكلمة حية في سياقها المتحرك من رحم الإبداع الشخصي، ويتاح لها أن تدخل في نطاق التقاليد المستقرة، فإنّ وظيفة الشكل البلاغي حينئذ تتمثل في إضافة صيغة الشعرية على الخطاب الذي يحتويها، فبلاغة الخطاب تطمح إلى إقامة قوانين الدلالة الأدبية بكل ثرائها وإيجاءاتها، أو تهدف إلى احتواء ما أطلق عليه "بارت" علامات الأدب⁸.

¹ - التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 363.

² - المرجع نفسه، ص 242.

³ - المرجع نفسه، ص 484.

⁴ - المرجع نفسه، ص 114.

⁵ - المرجع نفسه، ص 151.

⁶ - المرجع نفسه، ص 143.

⁷ - المرجع نفسه، ص 127.

⁸ - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: أ.د/ سعيد حسن بجري، المرجع السابق، ص 27.

وزيادة على ما سبق، فإن البلاغة الجديدة ترى " أن عملية التشكيل تمتد بجناحيها لتشمل القول أو النص بأكمله، وتجعل هذه المقولة من الفصل بينها وبين علم لغة النص أمراً مستحيلاً.¹ ولما كانت البلاغة نظاماً من التعليمات "تستخدم في إنتاج النص، فإن معارفها مهمة في إنتاج كثير من الحالات، وإن كان يتم عرض إمكانات الانتفاع بالأجناس البلاغية كلها في تحليل النص"².

وعلى هذا، فإنّ النص يبقى مفتوحاً و"تظل قراءتنا ومشروعنا منفتحاً على السؤال والبحث والاستفادة من الإنجازات الهامة في مجال علوم الأدب والعلوم اللسانية والاجتماعية، بما يسهم في إنجاز قراءة أكثر إنتاجية وأكثر انفتاحاً وقبولاً للتطوير والإغناء: إغناء المنهج الذي به نحلل، والنص الذي نقرأ، ولا يمكن أن يتأتى هذا إلا عبر التفاعل الإيجابي القائم على الحوار الهادف والبناء"³ بين القديم والجديد مما يجعلهما ينصهران في بوتقة واحدة مشعة بالأفكار الأصيلة والمتجددة.

لأنه رغم تطور المناهج الحديثة انطلاقاً من دي سوسير إلى فانديك ور. بارت وغيرهما. فإنه لا ينبغي لنا ننكر الزخم الكبير من المعارف والقوانين التي قدمتها لنا البلاغة القديمة فهذا ينبغي أن نوضح أن "البلاغة القديمة قد قدمت نموذجاً معيناً، كان مُعِيناً للأراء والاقتراحات التي طُرحت فيما بعد، وبخاصة من خلال النظريات الحديثة."⁴

ومن المنظور السابق، نصل إلى أن البلاغة القديمة "تضم الأفكار الجوهرية التي عُثيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، ومن ثم توجد جوانب اتفاق عدة بينها إلى حد يصعب معه إغفال الأثر، حتى حين تكون درجة خفائه مرتفعة."⁵

¹ -علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: أ.د/سعيد حسن بحيرى، المرجع السابق، ص 28.

² -المرجع نفسه، ص 24.

³ -انفتاح النص الروائي: سعيد يقطين، المرجع السابق، ص: 154، 155.

⁴ -علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: أ.د/سعيد حسن بحيرى، المرجع السابق، ص 143.

⁵ -المرجع نفسه، ص: 143، 144.

ومن هنا فإن البلاغة العامة، الجامعة بين البلاغة القديمة والجديدة، تطرح نفسها كبديل في تحليل الخطاب وفق المعطيات التي رسمها المنظرون القدماء والمحدثون وأنا في هذا أطرح نوعاً "من المثاقفة يقوم على الاستعانة بالتراث في فهم المسائل اللغوية الحديثة، خاصة تلك العلوم التي لها جذور تراثية مثل علم النص الذي قلنا إن البلاغة تمثل السابق التاريخي له."¹

وخلاصة القول، فإننا مهما حاولنا أن "نخرج بمعلومات وافرة من علم تحليل الخطاب المعاصر فلن يكون هذا المطلب يسيراً إلا إذا عدنا إلى البلاغة العربية."² الأصيل.

لأنه انطلاقاً من هذه المعطيات فقد "أثبتت اللغة العربية قدرتها على استيعاب الرموز والدلالات الدينية والاجتماعية والروحية والإنسانية، بوصفها لغة حية لها تقنياتها الخاصة بها، ومقوماتها وقوانينها الذاتية التي بها تحفظ سلامتها وديمومة فاعليتها. أسست هذه المقومات والخصائص مبادئ أولية لعلم النقد العربي البلاغي، فأرسى البلاغيون القدامى قواعد النقد البلاغي، وكانت أبحاثهم منطلقاً لدراسات نقدية لاحقة"³.

هذه الفكرة التي أردنا أن نطرحها في هذا البحث، وسنقوم بجملة من التطبيقات على نصوص قرآنية كريمة، لنقف على أهم معالم هذه البلاغة العامة الجامعة بين القديم والجديد.

مما سبق، صار لزاماً توسيع المفاهيم البلاغية القديمة ودفعها تصنيفاً، وتفسيراً، إلى مستوى الأصول التي يتولد عنها غيرها؛ ضمن نسق جديد، كما فعل مع الاستعارة والمجاز المرسل وصور التكرار والتوازي ضمن ما أسموه: نحو الشعر.⁴

مع ضرورة زرع التقارب المفهوماتي في حقول تحليل الخطاب بين النقد القديم والجديد.

نستطيع تفسير طبيعة الصور البلاغية وكيفية اشتغالها بإدخالها في نسق عام واستخراج البنية المشتركة بينها.

¹ -الخطاب والقارئ: د. حامد أبو حامد، المرجع السابق، ص 149.

² -المرجع نفسه، ص 141.

³ -النقد العربي البنيوي: د. مها خير بك ناصر، مجلة الخطاب، العدد الثاني: ماي 2007، ص 200.

⁴ -ينظر: الخطاب والقارئ: د. حامد أبو حامد، المرجع السابق، ص 142.

يمكن الربط بين البلاغة وعلم النص (البلاغة الجديدة) في نسق معرفي واحد وشامل لتسهيل عملية التواصل بين العلمين. علنا نبلغ إلى اكتشاف معانٍ أُخر داخل النص الأدبي في شتى مظهراته الإبداعية والتحليلية. وحتى نظل في دائرة الاتصال الوثيق بلغتنا العربية وقيمها التعبيرية والبيانية.

المبحث الثالث: تحليل الخطاب من منظور الدراسات الأسلوبية الحديثة:

ماهية الأسلوبية:

من المعلوم لغويا بأن العرب كانت تسمي السَطْرَ من النخيل "أسلوباً". وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فهو أسلوبٌ عندهم. ونجد بأنَّ الأسلوبُ يأتي بمعنى الطريق، والوجه، والمذهب؛ ويقال أيضاً: أُنتم في أسلوبٍ سوءٍ، ويُجمَعُ أساليبٌ. والأسلوبُ الطريقُ تأخذ فيه. والأسلوبُ، بالضم: الفَنُّ؛ يقال: أخذ فلانٌ في أساليبٍ من القول أي أفانينَ منه؛ وإنَّ أنفَه لفي أسلوبٍ إذا كان مُتَكَبِّراً؛ قال: أنوفُهُم، بالفَخْرِ، في أسلوبٍ، وشَعَرُ الأَسْتَاهِ بالجَبُوبِ يقول: يتكَبَّرُونَ وهم أَحْسَاءُ، كما يقال: أنفٌ في السماءِ واستٌ في الماءِ. والجَبُوبُ: وجهُ الأرضِ، ويروى: أنوفُهُم، مِلْفَخْرِ، في أسلوبٍ أراد منَ الفَخْرِ، فحذف النونَ. والسَّلْبُ: ضَرْبٌ من الشجرِ يَنْبُتُ مُتَناسِقاً، وَيَطُولُ فَيُؤَخَذُ وَيُجَلُّ، ثم يُشَقَّقُ، فتخرجُ منه مُشاقَّةٌ بيضاءٌ كالليفِ، واحدهُ سَلْبَةٌ، وهو من أجود ما يُتخذُ منه الحبال.¹

ومن هنا فإنَّ الأسلوب من حيث المعنى اللغوي تعددت تعريفاته، إلا أنها تصب في معنى الإستقامة والجودة والطريقة المثلى. ولذلك فإنَّ تعريفات العلماء للأسلوبية تنوعت وبينها تباين من حيث الصياغة والمنطلقات وهي مستوحاة من الأسلوب ولعنا نأخذ لمحة تاريخية عن هذا المصطلح.

لقد عرف مصطلح الأسلوب قديماً عند العرب كما عرف عند غيرهم، وقد استخدم علماء العربية هذا اللفظ في دلالات اصطلاحية متعددة، فقد ذكر ابن قتيبة مصطلح الأسلوب في قوله: "إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب"².

كما ذكره الخطابي في معرض حديثه عن إعجاز القرآن "وهنا نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشعارين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته ويقول الباقلا في حديثه

¹ -لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، مادة (سلب)، ص225.

² -ينظر اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب: شكري عياد، المرجع السابق، ص13.

عن الإعجاز أيضا: "وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ومزيتته عليها في النظم والترتيب"¹.

والذي يظهر من سياق كلامهم أنهم لا يستخدمون مصطلح الأسلوب بالمعنى المستخدم الآن وإنما يعنون به الطريقة الخاصة في النظم والسمة المميزة لكلام عن كلام آخر وهذا يفيدنا أن أصل اللفظ وشيء من المعنى كان موجودا عند علمائنا الأوائل قديما.

وقد تطرق عبد القاهر الجرجاني للأسلوب فقال في تعريفه: فقال هو "الضرب من النظم والطريق فيه"² كما تعرض له الحازم القرطاجني وابن خلدون وهذا كله مما يؤكد وجود أصل هذا المصطلح قديما.

أما عن الأسلوب عند الأوروبيين قديما فقد كان من عهد أرسطو ومن بعده وكانت تستخدم أصلا للقلم والريشة ثم استخدمت لفن النحت العمارة ثم دخلت في مجال الدراسات الأدبية، حيث صارت تعني أي طريق خاص لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو الخطيب³.

وخلاصة عن الأسلوب في العصر الحديث فإنه يعرف بعدة تعريفات نظرا لتعدد الاعتبارات وهي على النحو الآتي:

باعتبار المرسل أو المخاطب:

هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل.

باعتبار المتلقي والمخاطب:

هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيا كان هذا الأثر.

¹-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص469.

²-المصدر نفسه، ص469.

³-ينظر الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: د.عدنان النحوي، المرجع السابق، ص 145.

باعتبار الخطاب:

هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة المشكلة عدولاً، وما يتصل به من إيجاءات ودلالات¹.

أما عن الأسلوبية في العصر الحديث:

فهي كما يقول مؤسسها الأول شارل بالي Charles Bally : علم يعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبرة عن الحساسية.²

ويقول عبد السلام المسدي عن هذا المصطلح أنه مركب من جذر "أسلوب" ولاحقته "ته" فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي واللاحقة تختص بالبعد العلماني العقلي الموضوعي³.

وعرفها جاكسون⁴ : بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً عن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً.

وخلاصة فإن الأسلوبية جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم وبيان التأثير على السامع.

مبادئ الأسلوبية:

لقد دأب النقاد الأسلوبيون المعاصرون على رصد أساليب الكتاب وتفردهم واختلافهم، الواحد عن الآخر، من خلال المقولات الثلاث: الاختيار . التركيب . الانزياح.

1 . الاختيار:

¹ - ينظر النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية: أ.د. سعد أبو الرضا، ط2، 1428هـ ص117، وفي الأسلوب والأسلوبية، محمد اللومي، ص16.

² - في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللومي، مطابع الحميضي، المرجع السابق، ص42.

³ - الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص242.

⁴ - ولد بموسكو سنة 1896م واهتم باللهجيات الفولكلور واطلع على أعمال سوسير وأسس النادي الألسني بموسكو وعنه تولدت مدرسة الشكليين الروس، تنقل بين عدد من الدول واستقر أخيراً في أمريكا في جامعة هارفارد وهناك رسخت قدمه في التنظير للألسنية ينظر: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص242.

ينتقي الكاتب مفرداتٍ من اللغة بوصفها خزّاناً جماعياً رحباً، يتخيرها كي يصب فيها ما تجيش به نفسه من مشاعر وأحاسيس وانطباعات، وهنا يبدأ بحث النقاد الأسلوبيين من حيث العمل على كشف العلل والأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار أو ذاك مادام "مبدأ" الاختيار" أو "الانتقاء" يمثل خاصية من خصائص البحث الأسلوبي، وإذا كانت اللغة تحوي مفردات متعددة، تتركب منها أعداد لا تحصى من العبارات والجمل، فإن القضية المثارة هي البحث عن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلاً من جملة أخرى، وتفضيل تركيب عن تركيب سواه¹، ورصد العلل المضمرّة وراء هذا الاختبار أو ذلك.

ويعتبر الاختيار من أهم مبادئ علم الأسلوب لأنه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع، ويقصد بها العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظاً من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه فاستخدام هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمى "اختيار" وقد يسمى "استبدال" أي أنه استبدل بالكلمة القريبة منه غيرها لمناسبتها للمقام والموقف².

يحكم عملية الاختيار جانبان: شعور فردي وجداني يه التدفق الشعوري للإبداع، وآخر خارجي اجتماعي لغوي في تفرضه القواعد والأعراف، والطقوس المتداولة عند الكتاب والمتلقين، حتى يكون هناك إدراك واضح لما تحمله النصوص الإبداعية، والذي "يتحقق باختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان، والتي تدل على الفكرة كاملة، والاستعانة بالعناصر الشارحة، أو المقيدة، أو المخيلة، واستعمال الكلمات المتقابلة المتضادة إذا كان ذلك يخدم المعنى والفكرة، والبعد عن الغريب الوحشي، والعمد إلى لغة الناس وما يستطيعون إدراكه"³، بسهولة وبصورة واضحة لا تشوبها شائبة.

يبقى الاختيار من العمليات المساعدة على كشف تفرد كاتب عن كاتب آخر، من خلال أسلوبه المتمثل في اللغة المعجمية، التي انتقاها ورصها مفرداتياً بعضها إلى بعض لتصير في النهاية

¹ -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، المرجع السابق، ص120.

² -ينظر: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص134، والأسلوب والأسلوبية: محمد اللويمي، المرجع السابق، ص26.

³ -البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 101.

لغة إبداعية فنية جمالية تستهوي القارئ، وترقع النص إلى مصاف الآثار الأدبية الخالدة.
2. التركيب:

تستدعي سلامة التركيب في جميع نواحيه، معجمياً، ونحويماً، وصوتياً، وصرفياً، ودلالياً، انطلاقاً من عملية سابقة عليه، وهي الاختيار، فكلما كان الاختيار دقيقاً يخدم الكاتب والنص القارئ، حينها يأتي التركيب كذلك؛ إذ "ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية تركيباً يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة والانفعال المقصود"¹، والانطباع النابع من الذات عبر النص من خلال اللغة، ليحتضنه القارئ بحرارة.

وتقاس عملية التركيب بالرجوع إلى المزاج النفسي للكاتب وثقافته الخاصة، بالإضافة إلى السمات الثقافية لكل عصر، وهي الرقيب الذي يسير الكاتب تحت إمرته حتى يفهم عند المتلقين. ونعلم بأن لكل كاتب له "مزاجه النفسي وثقافته المتميزة، كما أن لكل عصر سماته الثقافية، ومزاجه الفكري، ومن ثم يختلف أسلوب كاتب عن كاتب، كما يختلف أسلوب عصر عن عصر، إن الموقف وطبيعة القول وموضوعه، كل ذلك سوف يفرض بالضرورة أداء يختلف عن أداء، بل إن ذلك قد يكون لدى كاتب واحد"²، لأنه عايش فترتين زمنييتين مختلفتين.

تتحدد ظاهرة التركيب، التي لها علاقة تامة بالأسلوب، ضمن الأداء، من عدّة منطلقاتٍ ذاتيةٍ خاصةٍ بالكاتب ومزاجه النفسي، وثقافته المتميزة، والموضوع المتناول، وهي التي تفرض عليه لا محالة توظيف مفردات وتراكيب خاصة به، انطلاقاً مما سلف ذكره، وهذا لن يكون ذا فائدة تواصلية لغوية فنية جمالية³، ما لم يبق في إطار العصر وخصائصه الثقافية والفكرية واللغوية.

¹ - الأسلوبية وتحليل الخطاب: نور الدين السد، الجزء الأول، دار هومه، الجزائر، ص 169.

² - البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، رجاء عيد، المرجع السابق، ص 49.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

3. الانزياح:

نجد جل النقاد الأسلوبيين يذهبون، وعلى رأسهم الناقد الفرنسي "جون كوهن"، إلى كشف ملامح الاختلاف بين الأساليب بدءاً بمدى انحراف الكتاب عن النمط المؤلف، والطقوس المتداولة في الكتابة في سياق نصوصهم الإبداعية؛ إذ "الأسلوب هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مطابقاً للمعيار المؤلف... إنه انزياح بالنسبة لمعيار، أي إنه خطأ ولكنه خطأ مقصود"¹، ومحمود تنزع النفس إليه مادام يحمل جمالاً فنياً.

وعلى هذا، فالانزياح في المفهوم الأسلوبي هو قدرة المبدع على انتهاك واختراق المتناول المؤلف، سواء أكان هذا الاختراق صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم معجمياً أم دلالياً؛ ومن ثم يحقق النص انزياحاً بالنسبة إلى معيار متواضع عليه.

لذا تبقى اللغة الإبداعية هي التي تسمح بهذه الخلخلات اللغوية ضمن النصوص بحملها من النفعية البلاغية إلى الفنية الجمالية؛ وهذا كله وفقاً لأفكار وتداعيات خاصة، في إطار أمنية ومواقف محددة تملئها طبيعة المواضيع المتناولة في ضمن النصوص، حيث "أنه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة، كل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة، يستلزم ذلك حرية الكلام"² واستقلالية الخوض فيه وبه بارتياح، في رحاب لغة فنية أدبية تجعل الجمالية والتأثير غايتها.

يتأتى للقارئ الإقبال على العمل الفني، وتذوقه ومدارسته ومحاورته، بشقف ونهم كبيرين، إلى درجة الاستمتاع والإثارة والاقتناع به فنياً وجمالياً، عندما تخلق اللغة الإبداعية هوامش رحبة، على حساب اللغة المعجمية وانطلاقاً منها، وهنا تكمن جمالية الانزياح.

وتبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميز النص عن آخر، أو الكاتب عن كاتب آخر، من خلال اللغة التي يحملها خلجات نفسه، وخواطر وجدانه، قياساً على هذه

¹-بنية اللغة الشعرية: جون كوهن، تر: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال، البيضاء، 1986م، ص 15.

²-المرجع نفسه، ص 101.

الأمر مجتمعة، تظهر الميزات الفنية للإبداع¹، إذ منها نستطيع تمييز إبداع عن إبداع انطلاقة من لغته الحاملة له بكل بساطة.

تحاول الأسلوبية، من خلال ذلك، الإجابة عن الكيفية التي يكتب الكاتب بها نصاً من انطلاقة من اللغة إذ بها ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص أو استهجانته، كما يتأتى له أيضاً الوقوف على ما في النص من جاذبية فنية تسمو بالنص إلى مصاف الأعمال الفنية الخالدة.

والأسلوبية من المناهج التي تبنت الطرح النسقي انطلاقة من مؤسسها شارل بالي **Charles Bally**، "فمنذ سنة 1902 كدنا نجزم مع شارل بالي **Charles Bally** أن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه ف.دي. سوسير أصول اللسانيات الحديثة"²، ووضع قواعدها المبدئية.

ومن ثم غيرت الدراسات النقدية نمط تعاملها مع الآثار الأدبية، باعتمادها النسق المغلق المتمثل في النص، واستقرائه من خلال لغته الحاملة له، وإبعادها كل ماله صلة بالسياقات وإصدار الأحكام المعيارية.

تدرس الأسلوبية بشكل عام النص وتقرؤه من خلال لغته وما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها: نحويًا، ولفظيًا، وصوتيًا، وشكليًا، وما تفردته من وظائف ومضامين ومدلولات وقراءات أسلوبية لا يمت المؤلف بصلبه مباشرة لها على أقل تقدير³ إذا نحن وضعنا في الحسبان أن المناهج النسقية تزيج السياقات في مقاربتها لنصوص الإبداعية. تترصد الأسلوبية مكان الجمال ومواطن الفنية في الآثار الأدبية وما تحدثه من تأثيرات شتى في نفس القارئ، لما تسمو هذه الآثار عن اللغة النفعية المباشرة، إلى لغة إبداعية غير مباشرة، فنية وأكثر إيجاء وتلميحاً، هذا يحدد مجال الدراسة الأسلوبية.

¹ -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، المرجع السابق، ص25.

² -الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص20.

³ -ينظر: لمن النص اليوم للكاتب أم القارئ: حسن غزالة، مجلة علامات، ع: 392، مج10، مارس/2001، ص 130،

بينما يبقى "الأسلوب الوسيلة بيانية للكتابة تتحقق على المستوى الفردي، كما تتحقق على المستوى الجماعي بل وتتمايز المراحل التاريخية للفرد أو العصر"¹ من منطقة إلى منطقة أخرى حسب تركيبها الثقافية والاجتماعية والفكرية.

وتسعى الأسلوبية، أيضاً، كمنهج نسقي دوماً إلى محاولة مدارس أساليب الكتاب اللغوي، ومدى تمايزها من خلال قدرة كل كاتب على التمايز في توظيف معجمه الفني من جهة، ومن جهة ثانية مدى استطاعته التأثير في المتلقي عبر اللغة، حينها تكون هاته اللغة تحقق انزياحات بشتى أنواعها سواء أكانت معجمية، أو دلالية، أو نحوية، أو عرفية، أو صوتية.

قد لا نعدو الحقيقة، إذا قلنا إن الأسلوبية مجال درسها الأسلوب، كظاهرة لغوية فنية، تسعى جاهدة إلى الوقوف على نسبة اختلافها من كاتب إلى كاتب، "وبصورة مجملية فإن البحث الأسلوبي إنما يعني بتلك الملامح أو السمات المتميزة في تكوينات العمل الأدبي وبواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمه الفنية، بصفته نتاجاً إبداعياً لفرد بعينه، أو ما يتجاوزها إلى تحديد سمات معينة لجنس أدبي بعينه"² دون سواه من الأجناس الأدبية الأخرى. يمكننا أن نخلص، انطلاقاً مما سبق، إلى أن الأسلوبية كمنهج نقدي غايته مقارنة النصوص في سياقها اللغوي المتمثل في النص، ومدى تأثيره في القراء، فيجعل من الأسلوب مادة لدراسته، حينها نجد أن هذا الأخير يكون حقلاً خصباً تجد فيه الأسلوبية ضالتها درساً وتطبيقاً.

الأسلوبية واللغة:

تعرف اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية تدرس تزامنياً، كما نادى بذلك دي سوسير في محاضراته، وهي مؤسسة اجتماعية لأنها تبحث في لغة جماعة ما، لها خصائصها المختلفة عن جماعة أخرى، في الزمان والمكان.

يقف البحث اللغوي الحديث عند اللغة في شموليتها، أي في تداولها بين فئة اجتماعية معينة، ليضع لها قواعد صارمة لا يجب الخروج عنها أو تجاوزها، دون تطرقه للغة الفرد من

¹ -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، المرجع السابق، ص25.

² -المرجع نفسه، ص 55.

خلال هذه الجماعة، فهذا الأخير في إبداعاته يقوم بتشويه اللغة، بحملها من المؤلف إلى المؤلف، ولن يكون له ذلك إلا بخرقه لهذه القواعد خرقاً فنياً جمالياً نابعاً من اللغة ذاتها¹

وهذا ما دأبت على مدارسته الأسلوبية بشتى اتجاهاتها، حيث تبقى أقل شمولية من البحث اللغوية الصرفة، مادامت تجنح إلى الانتهاكات الفردية للغة ومحاولة تعليل ذلك من مستويات ثلاثة: الكاتب، النص والقارئ، كل حسب دوره في عملية التلقي ووظيفته التواصلية. رصداً للقيم التزينية والفنية.

وبذلك يتخذ "الدرس اللغوي مساره تجاه الأصوات . المفردات . التركيبات وما يتصل بذلك، محدداً هدفه نحو دراسة تلك العناصر، وما يتميز به من خواص معينة، بينما تجعل "الأسلوبية" وجهتها دراسة العلاقات بين تلك العناصر السابقة، ودرجة تمازجها ومدى علاقاتها ومسافة توزعها، ثم يكون ذلك لهدف تال، وهو استشفاف القيم الفنية والجمالية من خلال ذلك التوجه الخاص للظاهرة اللغوية"²، وتفردا عن ظواهر لغوية أخرى في إبداعات فنية لكتاب آخرين.

نستطيع، مما سلف ذكره، أن نبقي على مجال البحوث اللغوية في مدارستها للألفاظ والتركيب، صوتياً، معجمياً، نحوياً، صرفياً، لتأتي البحوث الأسلوبية لرصد العلاقات الكامنة وراء النسيج اللغوي، والعلل الباعثة له من خلال اختلافه عن نسيج لغوي آخر، سعيّاً وراء كشف الفنية والجمالية في الظاهرة اللغوية³، ذات النمط الخاص ضمن الإبداعات الفنية المختلفة شعرية كانت أو سردية.

الأسلوبية واللسانيات:

بدأت الدراسات اللغوية تأخذ الصبغة العلمية الوصفية بعيداً عن المعيارية الحكمية، ومع مجيء لسانيات دي سوسير في مطلع القرن العشرين، ومناداتها بدراسة اللغة تزامنياً، دراسة

¹- ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب: نور الدين السدّ، المرجع السابق، ص172.

²- البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، المرجع السابق، ص 56.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص52.

علمية وصفية، تقصي من غاياتها الاحتكام إلى المعايير واستصدار الأحكام القطعية، ينضاف إلى ذلك إقصاء الدراسة التعاقبية التاريخية للغة، وعلى هذا النهج، ومن هذا الرحم اللساني المحض نهلت الدراسة طريقة تعاملها مع اللغة من خلال النصوص.

أنجبت لسانيات دي سوسير "أسلوبية بالي Charles Bally"، وهذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبها معاً "شعرية" جاكسون، و"إنشائية" تودوروف، و"أسلوبية" ريفاتير Michael RIFATTERRE .

ولئن اعتمدت كل هذه "المدارس على رصيد لساني من المعارف، فإن الأسلوبية معها قد تبوأ منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهج"¹، ما دامت، في رأينا، أخصب المناهج وأقربها إلى الدراسات اللغوية الحديثة المعتمدة الوصف العلمي منهجاً.

أخذت الأسلوبية من اللسانيات الصفة العلمية الوصفية في الدراسة للغة، غير أنها درست الخطاب ككل، وما يتركه هذا الخطاب من أثر في نفس المتلقي، في حين نجد أن اللسانيات قد اتجهت إلى دراسة الجملة بالتنظير واستنباط القواعد التي تستقيم بها، والقوانين التي من خلالها تكتسب طابع العلمية.²

زودت اللسانيات المنهج الأسلوبي بطابع العلمية الوصفية في دراسة النصوص من خلال لغتها، وبذلك جعلت منه منهجاً علمياً وصفيّاً ينأى عن الدراسة المعيارية الحكمية، التي وقعت فيها البلاغة القديمة مما ولد عقمها وجمودها.

ومن التصنيفات العلمية للأساليب ما قام به غيرو (Guiraud Pierre)، حيث بين بأن الأسلوب هو "المظهر الذي في الخطاب، ينجم عن اختيار وسائل التعبير، والتي بدورها تحددها مقاصد المتكلم، أو الكاتب، وطبيعته"³.

¹ - الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 51.

² - ينظر اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب: شكري عياد، المرجع السابق، ص 13

³ - الأسلوبية، لبيير غيرو، سلسلة ماذا أعرف، العدد 616، باريس 1975م، ص 120.

ثم في محاولته تصنيف الأساليب، يصير يربط كل أسلوب منها، وإما بطبيعة التعبير، ومصادره، أو مظهره، فيجد:

-أولاً-

بالنسبة إلى طبيعة التعبير، هناك قيم مختلفة يتضمنها الخطاب الأدبي؛ وهي إما تترجم الموقف العفوي للمتكلم، أو الكاتب، أو تترجم الأثر الذي يقصد إحداثه في المتلقي:

أ) -القيم العقلية: يترتب عليها أن يكون (الأسلوب) واضحاً، أو صحيحاً..

ب) -القيم التعبيرية: تجعل (الأسلوب) مندفعاً، أو ساذجاً، أو عادياً..

ج -والقيم الاجتماعية: تجعل (الأسلوب) طاغياً متجبراً أو ساخرًا، وهزلياً¹..

-ثانياً-

وبالنسبة إلى مصادر التعبير

أ- "من وجهة الخاصة النفسية، والفسولوجية للتعبير، هناك (أسلوب) صفراوي، أو مزاجي، وآخر حزين وآخر نسائي، وآخر طفولي بحسب فارق المزاج، والجنس والعمر.

ب- من وجهة اجتماعية التعبير، هناك أساليب للطبقات، وأساليب للحرفيين، وأساليب للعادات والتقاليد.

ج -من وجهة وظيفية التعبير، هناك أسلوب إداري، وأسلوب قانوني، وأسلوب خطابي، وأسلوب أدبي².

-ثالثاً-

وبالنسبة إلى مظهر التعبير، هناك:

¹-الأسلوبية، لبيير غيرو، سلسلة ماذا أعرف المصدر السابق، ص:120-122.

²-المصدر نفسه، ص123.

أ- من حيث (الشكل)، أسلوب موجز، وأسلوب استطرادي، وأسلوب تصويري..

ب- ومن حيث (المضمون)، أي الفكر، يكون (الأسلوب) رقيقاً، رقيقاً، أو نشيطاً فيه شهامة..

ج- ومن حيث (تعبيرية) المتكلم، يكون (الأسلوب) شاعرياً، أو تقليدياً وهلم جرا¹

وفي المخطط التالي تلخيص لهذه التصنيفات:



فهذا التصنيف يبرز لنا جليا التنوع في مقارنة النص عند الأسلوبيين، فما هي أهم اتجاهات الأسلوبية في ذلك؟

اتجاهات الأسلوبية:

راح الأسلوبيون - في إطار البحث الأسلوبي - يدرسون النصوص الأدبية، فهناك من قارب الظاهرة الأسلوبية بدءاً بعلاقة المبدع بالنص، وهنا انصب جهدهم على دراسة مدى انعكاس شخصية المبدع في نصه، وتصبح الرسالة اللغوية حينها مطية للتعريف بشخصية المبدع، مما يدخل في إطار علم النفس اللغوية إذا اعتبرنا هذا الأخير أحد مناهج المقارنة الأسلوبية.

¹- ينظر: الأسلوبية، لبير غيرو، سلسلة ماذا أعرف المصدر السابق، ص123- وما بعدها.

ونجد بعضهم الآخر قد حشد اهتمامه في دراسة النصوص وعلاقتها بمتلقيها، إذ يهتم بمدى استجابة القارئ للنصوص وأهميته في ذلك، حيث يعد المتلقي، من خلال ملاحظاته منطلقاً طبيعياً لفحص الرسالة اللغوية الحاملة للنص.¹

وأقصى فريق آخر كلاً من المبدع والمتلقي في مقارنته للنصوص الإبداعية، وأبقى على النص وحده، إذ يرى أن النص هو الوحيد الذي باستطاعته، إلى حد ما، الكشف عن محموله الدلالي من خلال خواصه اللغوية التي تميزه عن نص آخر، أو يتميز بها كاتبه عن كاتب آخر.

ومن ثم نجد أن مقارنة الظواهر الأسلوبية، سواء ربطنا النص بمنشئه، أو متلقيه، أو اقتصرنا عليه دون منشئه ولا متلقيه، .تحتم علينا لا محالة اتخاذ الإحصاء منهجاً لرصد الظواهر الأسلوبية الكامنة في النصوص.²

الأسلوبية التعبيرية (شارل بالي Charles Bally) :

دأب شارل بالي Charles Bally وأتباعه من الأسلوبيين في تعاملهم مع النصوص الأدبية، انطلاقاً من المنهج الأسلوبي الذي يدرس لغة الخطاب سبراً لأغوارها، وما كان له ذلك لو لم ينحو منحى الدراسات اللسانية الحديثة، التي امتطت العلمية الوصفية سبيلاً لمدرسة النصوص من خلال لغتها ضمن تزامنياتها في إطار النسق المغلق المتمثل في النص.

تشكل الأسلوبية أو الأسلوبيات أو علم الأسلوب، التي هي كلمات مشتقة من الأسلوب، اتجاهات نقدية يعنى بمقارنة الجوانب الأسلوبية في النصوص الإبداعية.

وقد ظهرت خلال القرن التاسع عشر في النقد الغربي، لكن ملامحها كمنهج نقدي لم يحدد إلا في بداية القرن العشرين مع "شارل بالي" (C. Bally)³، بعد أن كانت متداخلة مع علم البلاغة في التراث اللغوي العالمي.

¹ - ينظر في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللومى، المرجع السابق، ص 44.

² - الأسلوبية الرؤية والتطبيق: أ.د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط1، 1427هـ، ص 37.

³ - الأسلوبية وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 60.

استفاد شارل بالي Charles Bally في التأسيس للأسلوبية كثيراً من أستاذه فردينان دي سوسير (1857-1913) Ferdinand de saussure، وبخاصة في بعض إنجازاته اللغوية الأساسية.

ومن هنا، وضع "شارل بالي Charles Bally"، بوصفه مؤسس الأسلوبية ورائد التعبيرية منها، الطابع الوجداني محددًا في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي، ضمن الإطار اللغوي للرسالة.

إذ يعد، بذلك، من الرواد "المؤسسين للأسلوبية"، وهي تعني عنده البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة، وتدرس الأسلوبية عند "بالي Charles Bally" هذه العناصر من خلال محتواها التعبيري والتأثيري¹ من النص إلى المتلقي عبر اللغة.

اهتم بالي Charles Bally في أسلوبيته التعبيرية بالجانب الأدائي للغة الإبلاغية، من خلال تأليف المفردات والتراكيب اللغوية ورصدها جانباً إلى جنب، انطلاقاً مما يمليه وجدان المؤلف.

تعتبر، بذلك أيضاً، التراكيب اللغوية حاملة لمضمون عاطفي مشحون دلاليًا يجعل المتلقي يتأثر به، عندها يبقى الخطاب من خلال لغته المشكلة لبنيته الخارجية ذا تأثير فعال فيمن يحمل إليه، مادام "موقف التحليل الأسلوبي عند بالي Charles Bally هو الخطاب اللساني بصفة عامة، ولكنه يحصر مجال الأسلوبية في القيم الإخبارية التي يشتمل عليها الحدث اللغوي بأبعاده دلالية وتعبيرية وتأثيرية"² إلى المتلقي للخطاب.

حصر "بالي Charles Bally" أسلوبيته في اللغة الشائعة، لغة التواصل اليومي، دون اللغة الأدبية، لغة الإبداع، لأن همه منصب في قضية الوظيفة التأثيرية للغة.

¹-الأسلوبية وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 60.

²-المرجع نفسه، ص 64.

ومن هنا كان الأسلوب عند بالي **Charles Bally** " هو تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية والتأثيرية والانفعالية التي تميز أداء عن أداء"¹، من شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى بيئة.

واستنتج من ذلك بأن العلاقة بين اللغة والحديث أو بين عناصر الوراثة في اللغة وهو ما أطلق عليه "**Langue**"، وبين الاستخدام الذي يزاوله الناس في الحديث "**Parole**". ثم تحليل الرموز اللغوية، وذلك باعتبار أن المسميات اللغوية ليست سوى مفاهيم ترتبط بذهن من ينطقها، مع ضرورة دراسة التركيب العام للنظام اللغوي لأن الكلمة في حد ذاتها لا تمثل بناءً لغوياً.

ولاحظ، أيضاً، بأن دي سوسير **Ferdinand de saussure** أثر الفصل بين مناهج الدراسة الوصفية (سانكروني) والمناهج التاريخية (دياكروني)، بأن العلامة اللغوية تمتاز بطابع خاص سماه (الدال)، وطابع دلالي سماه (المدلول).

تميزت الأسلوبية منذ القرن العشرين "عما هو مشترك في مفهوم الأسلوب عن البلاغة القديمة"²، ولذلك ركّز شارل بالي (**Charles Bally**) في دراسته للأسلوب على الكلام أو الحديث اليومي باعتباره الخطاب البسيط و البعيد عن التعقيد والوعي القصدي، واشتغل كثيراً بالوصف اللغوي.

ولهذا نعتت أسلوبيته منذ البداية بالوصفية؛ إذ هي عبارة "عن وصف للوسائل المقدمة من اللغة، واختبار للعلاقة السنكرونية بين العبارة والوعي النفسي التحليلي"³، وبذلك نجد أن شارل بالي (**Charles Bally**) في أسلوبيته الوصفية يترجح بين سلطان العقل والعاطفة من أثر اللغة في المتلقي.

¹ - البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، رجاء عيد، المرجع السابق، ص 31.

² - G. Gengembre. Les Grands Courants Littéraire. P:40.

³ - المرجع نفسه، ص 40.

ويخلص شارل بالي (Charles Bally) في طرحه الأسلوبي إلى تأكيد سلطان العاطفة في العملية اللغوية، وأرجع سلطان العقل إلى المستويات الخلفية، معللاً ذلك بأن الإنسان في جوهره كائن عاطفي قبل كل شيء، وأن اللغة هي الكاشف الأكبر من هذا الإنسان.

يسجل الدارسون أن المنحى الذي سلكته الأسلوبية وبخاصة مع "شارل بالي Charles Bally" كان علمياً خالصاً، أو على أقل تقدير كانت نظرتها إلى الأسلوب تندرج في إطار علمي خاص، ويؤكد ذلك ما ذكره الأسلوبيون الفرنسيون من أمثال "بيير جيرو" و"جيرار جنجمبر"؛ إذ تسعى الأسلوبية الحديثة، في نظر هذا الأخير، إلى نظرة علمية.

توسعت داخل هذا الإطار المدرسة الأسلوبية الفرنسية لتشمل أعمال "شارل برينو" و"مارسيل كريسو" وأخذت تعتنى بوسائل المعنى المعتمدة من المبدع في إطارها اللغوي البحت؛ ثم تطورت الأسلوبية تطوراً كبيراً وسجلت قفزة نوعية في مجال الدراسات الأدبية؛ فلم تعد لغة النص غاية في ذاتها بل أصبحت وسيلة لدراسة الأدوات التعبيرية من أجل غايات أدبية أسلوبية، وبذلك تكون الأسلوبية في مفهومها النقدي هي العلم الذي يكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الإبداعية¹.

وخلاصة الأمر، يقصد بالأسلوبية التعبيرية طاقة الكلام الذي يحمل عواطف المتكلم وأحاسيسه حيث أن المتكلم يحاول أن يشحن كلماته بكم كبير من الدلالات التي يظهر أثرها على المتلقي وهي ظاهرة تكثيف الدوال خدمة للمدلولات².

تلجت الأسلوبية التعبيرية في النقد العربي المعاصر، في ترجمة جزء من أعمال بالي Charles Bally؛ إذ ضمن الباحث شكري محمد عياد كتابه "اتجاهات البحث الأسلوبي" ترجمة لفصل من كتاب شارل بالي (Charles Bally) "اللغة والحياة" بعنوان "علم الأسلوب وعلم اللغة العام".

¹- ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ص38.

²- ينظر في الأسلوب والأسلوبية، محمد اللومعي، ص44.

كما نجد عزة آغا ملك في مقال لها قد توصلت إلى "أن كلاً من: جول ماروزو، ومرسيل كريسو، وروبرت سايس، وشيفات أولمان، قد ساروا على نهج مؤسس الأسلوبية شارل بالي Charles Bally"¹.

ومن الذين اهتموا بالأسلوبية التعبيرية في النقد العربي المعاصر إضافة إلى من سلف ذكرهم، "صلاح فضل" في مؤلفه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" ينضاف إلى ذلك "حمادي صمود" في مؤلفه: "الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة" 1988.

حاول كلهم فهم الأسلوبية التعبيرية، كما جاءت من "شارل بالي Charles Bally" وأتباعه، بالإضافة ثم سعوا إلى تطبيق مقولاتها على اللغة العربية إبداعاً ونقداً في سياق معركة الحداثة التي تحتاج الحركة النقدية العربية المعاصرة.

¹ -الأسلوبية من خلال اللسانية: عزة آغا ملك، مجلة الفكر العربي، ع: 38.

الأسلوبية النفسية "ليو سبيتزر" Les Spityer :

تضع الأسلوبية النفسية، الأثر الأدبي وسيلة للولوج إلى نفسية مبدعه، من خلال المعجم الإفرادي والمعجم تركيبى للغة الحاملة للخطاب القابع في النص الأدبي؛ وذلك كي يتسنى للباحثين في هذا الاتجاه الوصول إلى ذاتية الأسلوبى انطلاقاً من مضمون الرسالة ونسيجها اللغوي في إطار النص المبدع.

من رواد هذا الاتجاه في البحث الأسلوبى نجد الألماني ليوسبيتزر 1887-1960 Les Spityer في مؤلفه: "دراسة في الأسلوب"؛ إذ يهتم بالذات المبدعة وخصوصية أسلوبها انطلاقاً من تفرداها في الكتابة، حيث يتميز باحتفاله بخصوصية الذات الكاتبة...¹ وأثر ذلك على خصوصية استعمالها الأسلوبية.

ومن ثم يكاد سبيتزر "يجنح إلى تلامس واضح بين الجانب النفسي، لتلك الذات المنتجة، وبين ما أنتجته من كتابة معينة"² تختلف عن كتابات الآخرين.

ينضاف إلى ذلك ربط سبيتزر لفردية الذات المبدعة، وتفرداها في الأسلوب، داخل وسط اجتماعي يتطور تاريخياً، كما "يكاد يلامس كذلك المنحى الاجتماعى بحسبان تلك الذات جزءاً من شريحة اجتماعية ضخمة، وهي كذلك واحدة من سلاسل أفراد وجماعات لها روحها العام بجانب روح الذات الخاص"³ مفردة ضمن سياقها الاجتماعى العام.

ينظر "سبيتزر" إلى الأسلوب من خلال الذات المبدعة، وخصوصيتها الفردية في إطار سياق جماعي تاريخي يساهم في وسم الأسلوب بميزات خاصة تبعاً لما تمليه الظروف المختلفة؛ "فالأسلوب خصوصية شخصية في التعبير والتي من خلالها تتعرف على الكاتب، وذلك من خلال عناصر

¹ -البحث الأسلوبى معاصرة وتراث، المرجع السابق، ص 52.

² -المرجع نفسه، ص: 52-53.

³ -المرجع السابق، ص 53.

متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية¹ من خلال ذوات أخرى تحيياً جنباً إلى جنب معهم، في شكل جماعة تحكمها ظروف اجتماعية ونفسية وتاريخية خاصة.

تذهب الأسلوبية النفسية، من خلال طرحها في مقارنة النص، إلى أن علم الأسلوب، من منظورها، قادر على إدراك كل ما يتضمنه فعل الكلام من أساليب أصلية تتوفر على عناصر الفردية أوجدتها طاقة خلاقية منبثقة من نفس مبدعة وتفرده في الإلقاء، وقدرته على القول، وتمكنه من التعبير.

وهنا ينصب جهد البحث الأسلوبي النفسي على تتبع التحولات اللغوية، التي أحدثها المبدع في خصوصيته وفرديته المتميزة انطلاقاً من دفقة شعورية يختص بها، لذلك قد تكون الأسلوبية النفسية أشبه بدراسة السير الذاتية للمبدعين والكتاب، وذلك بالاعتماد على استنطاق لغة النص وما تحمله من دلالات عديده، كما نادى بذلك اللسانيات الحديثة، والتي ولدت من رحمها الأسلوبية.²

جنحت الأسلوبية النفسية إلى الانطباعية. والإغراق في ذوات المبدعين يظهر حالياً، مادامت تهتم بالجوانب النفسية، في إطار الجماعة بكل ظروفها التي تحيياً ضمنها، جاعلة من أسلوب الكاتب في انحرافه عن السائد والمألوف، حقلاً للدراسة والبحث والتقصي.

نجد أن الأسلوبية النفسية، كباقي الاتجاهات الأسلوبية الأخرى، تجلت في النقد العربي المعاصر، فراح باحثونا يترجمون لأعلامها ساعين إلى فهم وكشف ما تحمله هذه الدراسات الأسلوبية النفسية المعتمدة على المبدع، المتفرد من خلال نصه، الذي لا يفهم إلا منه³.

¹ -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، المرجع السابق، ص 126.

² -ينظر في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللومي، المرجع السابق، ص 48.

³ -ومن النقاد العرب الذين اهتموا بهذا الطرح الأسلوبي نجد:

-عزة آغا ملك في بحث لها بعنوان "منهجية ليوسبتزر في دراسة الأسلوب الأدبي" عن مجلة الفكر العربي عدد 36-1985.

-حمادي صمود في مؤلفه "الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة" 1988.

-عبد الفتاح المصري في بحثه "أسلوبية الفرد" عن مجلة الموقف الأدبي، عدد 135-136، دمشق 1982.

-صلاح فضل في كتابه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" 1985.

ومن هنا فقد ترجحت بحوث العرب في الأسلوبية النفسية بين الترجمة، ومحاولة الفهم والدراسة، إلى التطبيق والنقد في غالب الأحيان.

الأسلوبية والبنوية: (الوظيفة).

يُعرف النص بأنه نسق لغوي منسجم البنى، ومن هذا المعطى العلمي تنطلق الأسلوبية البنيوية في بحثها، متأثرة في أطروحاتها باللسانيات الحديثة، وبخاصة علوم: الصرف، والمعاني والتراكيب، لرصد ما يحمله النص من دلالات وإيحاءات بدءاً بمفرداته وتراكيبه المشكلة له، إذ تقارب الأسلوبية البنيوية الأسلوب من خلال النسيج اللغوي للنص، فتحدد العلاقات اللغوية في مستوياتها الإفرادية والتركيبية المشكلة لنسيجها النصي في تتابعها ومماثلتها، مهتمة بمقاربة الظواهر وما تولده من فروق تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي ذي الجودة العالية فنياً وجمالياً.

ينطلق البحث الأسلوبي البنيوي في تحليله للآثار الأدبية من خلال البنى اللغوية المشكلة لها، ومدى تناسقها وتضافرها داخلياً لتكوين ذلك الكل الشمولي المتمثل في النص، "وليس النص الأدبي نتاجاً بسيطاً من العناصر المكونة، بل هو بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها، وتعتمد صفة كل عنصر من العناصر على بنية الكل."¹ وعلى القوانين التي تحكمه.

ولا يمكن أن يكون للعنصر وجود، "فيزيولوجي أو سيكولوجي، قبل أن يوجد الكل، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية أو التضادية مع العناصر الأخرى في إطار بنية الكل."²

حينئذ يمكننا مدارسة النصوص الأدبية انطلاقاً من لغتها الحاملة لها، ومدى تفاعل الشكل المتمثل في المفردات والتراكيب في سياق نحوي ما، ناهيك عن تفاعل هذا الشكل بما تولده هذه المفردات والتراكيب والأصوات من دلالات تكتسبها ضمن علاقاتها جنباً إلى جنب لتكون النص في شكله العام.

¹ - الأسلوبية منهجاً نقدياً: د. محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989م، ص 110.

² - المرجع نفسه، ص 110.

تؤسس الأسلوبية البنيوية لمنهج غايته دراسة النصوص الأدبية انطلاقاً من لغتها، وما تحدثه في تجاور مفرداتها وتراكيبها، في إطار النص كنسق لغوي معزول عن كل اعتبارات تاريخية أو نفسية، لذلك لا يبحث النقاد الأسلوبيون البنيويون عن ملامح أصالة النص في محاكاته للأسبقة بكل أنواعها.

بل نجد أن اهتمامهم ينصب على انسجامه النص مع نفسه، ويركزون على مقارنة وحداته التي أسست لتناميه فيبرزون جماليات مكوناته، وثناء دلالاته من خلال تناسق وانسجام أساليبه، فالنص الأدبي من هذا المنظور هو نظم لغوي يعبر عن ذاته بدءاً بانسجام مفرداته وتراكيبه، وعلاقة بعضها ببعض، ومن ثم يجب مقارنته بذاته ولذاته¹.

تركز الأسلوبية البنيوية على تناسق أجزاء النص اللغوية، ورصد مدى انسجامها علائقياً، حتى تكتسب اللغة من خلال النص صفة الأدبية زيادة على صفة الإبداعية ضمن السياق العام للغة.

هذا كله ينبئ بأنها بقدر ما تهتم بالنص لذاته وبذاته، فإنها تهتم كذلك بالمتلقي كعنصر هام في تفعيل العملية الإبداعية، مادام هذا الأخير يقبل على الأثر الأدبي إذا بلغ درجة فنية راقية، تجعله يقع في نفسه موقع الاستحسان والقبول الفنيين، فيتمتع به، ويصغي إلى محمولته الدلالية، وينجذب نحو سحره الظاهر في إطار لغة فنية راقية تسمو عن التواصلية النفعية إلى التأثير الجمالي وتالياً إلى الإبداع والفن.

لقد كان لـ"رومان جاكسون" الأثر الأعظم في التأسيس للتحليل الأسلوبي وبخاصة البنيوي منه، إذ كان منطلقه في ذلك أن "الأدب أبعد من المعنى، والعمل الأدبي يمثل كل طرائق الأسلوب، وأن الأسلوب هو البطل الوحيد في الأدب"²، ومن ثم قام بالتأسيس الأسلوبية للبنيوية ذات الطرح المحايت الذي يجعل من الأسلوب الميدان الأول للبحث والمقارنة.

¹- ينظر: الأسلوبية منهجاً نقدياً: محمد عزام، المرجع السابق، ص112.

²- حول الأسلوبية الإحصائية: محمد عبد العزيز الوافي، مجلة علامات، ج42، مج11، ديسمبر 2001، ص122.

كما ركز "ميشال ريفاتير **Michael RIFATTERRE**" في كتابه "مقالات في الأسلوبية البنيوية" على مقارنة المعالم الكبرى للأسلوب الفني وفقاً للطرح النقدي، مع الإدراك الواعي بما تحقّقه تلك المعالم من غايات وظائفية، سواء أكانت أسلوبية أم جمالية، انطلاقاً من أن النص بنية خاصة تشكل منظوراً أسلوبياً.

أسس هذا الطرح للتحليل الشكلي الذي يحلل ويصنف مجموعة الأنساق التكرارية مع التركيز على ملاحظة الأداء البنائي وفق المستويات المتنوعة، مع الاهتمام بمقارنة المستوى الصوتي منه بخاصة.

لقد تشكل الاهتمام لدى الأسلوبية البنيوية بفن الشعر أو فن الأسلوب أكثر الاهتمام سعة وعمقاً، حتى كادت أن تعرف بدراسة الشعر دون الأجناس الأخرى؛ إلا أن هذا المدى الأسلوبي الشكلي، والذي استمد أسسه من الطابع الموضوعي المفرط في المحايثة، لم يسلم من الانتقاد المنهجي من بعض الدارسين، الذين عابوا عليه الانغماس في الطابع اللغوي الجاف متناسياً الجانب المضموني في العمل الأدبي.

وهذا ما دفع إلي بروز اتجاه آخر في الأسلوبية يركز على المناحي الانطباعية ويحاول ملامسة الجوانب الإنسانية في الأعمال الأدبية، وقد عرف بالأسلوبية الأدبية ولقي رواجاً في الدراسات الألمانية التي تستند في كثير من أطروحاتها إلى الفلسفة المثالية¹.

وبخلاصة، تعتبر الأسلوبية البنيوية امتداد لآراء سوسير في التفريق بين اللغة والكلام كما تعد امتداداً لمذهب بالي في الأسلوبية التعبيرية الوصفية، وفقد طور البنائيون في بعض الجوانب وتلافوا بعض جوانب النقص عند سابقهم حيث عايشوا الحركة الأدبية² وهنا يكون التحليل الأسلوبي خاضعاً لتفسير العمل الفني باعتباره كائناً عضوياً شعورياً³.

¹ -الاتجاه الأسلوبي في النقد: د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 117.

² -ينظر: في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللويحي، المرجع السابق، ص 45.

³ -الاتجاه الأسلوبي في النقد: د. شفيع السيد، المرجع السابق، ص 117.

وجد هذا الاتجاه أقلاماً نقدية عربية حاولت أن تتبنى أطروحاته وتحاول أن تؤسس لها حتى تصبح قراءة لها مجال في الممارسة النقدية العربية المعاصرة¹.

لقد ترجحت هذه البحوث بين الترجمة ومحاولات التطبيق على النصوص الأدبية العربية، وقيامهم بالنقد أحياناً.

4. الأسلوبية الإحصائية:

تعتمد الأسلوبية الإحصائية، الإحصاء الرياضي مطية للدخول إلى عوالم النصوص الأدبية، دلالة منها على خصائص الخطاب الأدبي في أدواته البلاغية والجمالية إذ "يهدف التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص، لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية"² عن باقي النصوص الأخرى.

انصبت جهود الأسلوبيين الإحصائيين على مدارس النصوص الإبداعية، من خلال بنيتها المشكلة لها ومراعاة عدم تكرارها، والبحث عن الصيغ والمفردات التي يركز عليها المبدع دون غيرها، وذلك للوقوف على المعجم الإفرادي والتركيبى والإيقاعي للمبدع ذاته.

كما سعت الأسلوبية الإحصائية إلى تبيان خصائص اللغة التي اعتمدها الكاتب محاولة منها لتأكيد أن المقاربة الإحصائية للأسلوب يقصد منها تمييز الملامح اللغوية للنص، وذلك من خلال إبراز معدلات تكرار مختلف المعاجم، سواء أكانت إفرادية أم تركيبية أم إيقاعية ونسب هذا التكرار، ولهذا النمط من المقاربة أهمية خاصة في تشخيص الاستعمال اللغوي عند المبدع، وإظهار

¹ -ومن النقاد الذين سعوا إلى ذلك:

- فؤاد أبو منصور: "النقد البنيوي الحديث".

- عبد السلام المسدي: "محاولات في الأسلوبية الهيكلية".

- حمادي صمود: "الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة".

- محمد العمري: "تحليل الخطاب الشعري".

- شكري محمد عياد: "اتجاهات البحث الأسلوبي".

- فؤاد زكريا: "الجدور الفلسفية للبنائية".

² -البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، رجاء عيد، المرجع السابق، ص 48.

الفروق اللغوية بينه وبين مبدع آخر، مع ذكر العلل والأسباب إلى حد ما.¹ وعموما فإن هذا الاتجاه يعني بالكم وإحصاء الظواهر اللغوية في النص وبيني أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء. ولكن هذا الاتجاه إذا تفرد فإنه لا يفي الجانب الأدبي حقه فإنه لا يستطيع وصف الطابع الخاص والتفرد في العمل الأدبي، وإنما يحسن هذا الاتجاه إذا كان مكملا للمناهج الأسلوبية الأخرى.²

¹- من رواد المنهج الأسلوبى الإحصائى فى الغرب يمكن أن نقتصر على الأسماء الآتية:
- برنلد شبلز فى مؤلفه "علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة
- كراهم هاف: "الأسلوب والأسلوبية".
- جون كوهن: "بنية اللغة الشعرية"
²- ينظر:

- النقد الأدبى الحديث: أ.د. سعد أبوالرضا، المرجع السابق، ص115.
- فى الأسلوب والأسلوبية: محمد اللومى، المرجع السابق، ص46.

ويبقى أن المنهج الإحصائي أسهل طريق لمن يتحرى الدقة العلمية ويتحاشى الذاتية في النقد¹، فيجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للإثبات والاستدلال على موضوعية الناقد أي بعد أن نتعامل مع النص بالمناهج الأخرى التي تبرز جوانب التميز في النص.

كما نجد تجلي الأسلوبية الإحصائية واضحاً في النقد العربي المعاصر، حيث تركز بين الترجمة والنقد ومحاولات التطبيق على النصوص الإبداعية العربية².

الأسلوبية وتحليل الخطاب

لما كان النص في حركيته الإبداعية لا يستخلص إلا عن طريق التحليل، الذي يمثل الفهم السليم للنص في ذاته، لكونه يبرز وحداته اللغوية التي تؤلف شكله، فإن دراسة النص تتم بتحليل مستوياته المتعددة، و"تحليل قصيدة شعرية يستلزم وصف مختلف العلاقات التي تقوم بين المستويات المتعددة للقصيدة"³.

تضمن هذه المستويات إجابات متعددة لما ينطوي عليه المركب النصي من مجموعة عضوية متكاملة، يفهم مجموعته بالدراسة الدقيقة لأجزائه ووحداته اللغوية.

ويتم التحليل الأدبي "على مستويات، لكل منها وحداته الخاصة به" اعتمد التحليل الأسلوبي على أجزاء الوحدات اللغوية وخصائصها التي يمكن أن تبحث جميعاً على أساس كمي وإحصائي⁴. والمعرفة العلمية للأدب التي تهدف إلى الموضوعية، تتم بهذا النوع من التحليل.

¹ - ينظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط1، 1994م، ص 198.

² - ومن النقاد العرب الأسلوبيين الذين برزوا في هذا الاتجاه:

- محمد الهادي الطرابلسي "في منهجية الدراسة الأسلوبية"، مجلة الجامعة التونسية نوفمبر 1983.

- سعد مصلوح "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"، و"الدراسة الإحصائية للأسلوب، بحث في المفهوم والأجزاء والوظيفة" عالم الفكر العدد 03 أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1989.

- صلاح فضل "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته".

- محمد العمري "تحليل الخطاب الشعري".

³ - تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية: إبراهيم صحراوي، ط 1، دار الآفاق، الجزائر، ص19.

⁴ - barthes (Roland) introduction à l'analyse structurale du récit , in communications, paris, page : 11 № :08 .

فلا تتّصف الأسلوبية بالجدّة إلا بإدراجها في إطار علمي، "وإذا حصل ذلك فإن النتيجة يمكن أن يكون لها بعض الحق في الادّعاء العلمي".¹

ولا يستغني أيّ علم عن الإحصاء، لأنه مفتاح منهجي مهم يفضي بنا بعد كل دراسة إلى حصر الخصائص الألسنية العامة لنسيج النص، بعد ملاحظة وتشخيص وقياس الظاهرة الأدبية .

ونحن نعلم بأن للعملية الإحصائية فضل بارز في عقلنة المنهج النقدي²، ومن هنا فإن الأسلوبية تطبق الإحصاء والكم، لقياس تردد العدولات في اللغة، خاصة اللغة الشعرية.

إذ "يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من العوامل البروز والظهور، فالمواد التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلا بإثارة الانتباه بكمياتها نفسها، إن القارئ الناقد هو نفسه معيار الانزياح".³

ويعرف الانزياح الأدبي كميا بالقياس. واللغة الشعرية تصبح قابلة للقياس، والتشخيص الإحصائي، في الدراسات الأسلوبية التي تتبّع بصمات الشّحن في الخطاب عامّة⁴.

ولا يتأتى لها ذلك إلا بوصف الظاهرة الأدبية، وتمييز سماتها اللغوية فيها، ثم تحليلها، وتأويلها بعد إظهار نسب ومعدلات تكرارها، لتنتهي إلى إظهار السمات الأسلوبية للنص المدروس، وتعتمد في ذلك على أدواتها الإجرائية، مستثمرة معارف اللغة وحقوقها في وصف البنى السطحية، والبنى العميقة في الخطاب، لتحديد الظاهرة الفيزيائية⁵، لتنتهي بتحديد النظام العام للخطاب، والوصول إلى المؤثرات الموضوعية للنص.

¹ - الأسلوب والأسلوبية: غراهم هوف، ترجمة كاظم سعيد الدين، المرجع السابق، ص 57.

² - قضية البنيوية: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 78.

³ - تحليل الخطاب الشعري: محمد العمري، الطبعة: 1، الدار العالمية للكتاب، المغرب 1990، ص 29.

⁴ - الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 29.

⁵ - قضية البنيوية: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 79.

وفي هذا وجدنا سعد مصلوح يرى بأن "التشخيص الأسلوبي الإحصائي يمكن اللجوء إليه حين يراد الوصول إلى مؤثرات موضوعية، في فحص لغة النصوص الأدبية"¹.

وتعتبر تلك المؤشرات وسيلة منهجية منطقية، يمكن استنفاذ الدرس الأدبي من ضباب العموم والتهويم، وتخليصه من سلطات الأحكام الذاتية، التي تفتقد السند والدليل. وتسعى الدراسات النقدية إلى اعتماد منهج الأسلوبية الإحصائية، في تحليلها للخطاب الأدبي، إنها تتعدى الإحصاء، إلى الكشف عن التوظيف الأسلوبي والدلالي للظاهرة اللغوية المتواترة، في الخطاب، وبالتالي يتحول الكم الرقمي إلى كيف دلالي، فينحصر بذلك العمل عن الوجهة التقويمية المعيارية، التي تعتمد إطلاق الأحكام المعيارية والارتجالية، إلى وجهة المعاينة الدقيقة، ذات الموضوعية².

وينظر إلى المعجم الشعري وخاصيته الأسلوبية الفنية من خلال تواتره، وأساليب توظيفه وتردده في سياقات محدّدة تفصح عن مكونات الشاعر وأحاسيسه.

ولا تدرس الكلمات المحصاة للمعجم الفني خارج سياقها، بل تعالج ككل متكامل، لأن المعجم هو أحد العناصر الأساسية لبنوية النص، فكلماته الطاغية في النص تؤلف خطابه، الذي تتضافر في نسجه العناصر الصوتية، والمعجمية، والمعنوي ويقوم المعجم بدور مهم في تركيب الجمل وفي معناها، لارتباطه بحياة اللغة ارتباطا وثيقا، حين يتردد في الخطاب بنفسه أو بتركيب يؤدي معناه.

لهذا فإن الدراسة التركيبية ترى في المعجم مكونا أساسيا، جوهريا تأسس عليه بنية الجملة، ويتحدد معناها، فالتركيب والمعجم بحسب هذه النظرة غير منفصلين، وعلاقتها تكوينية ضامنة لإشغال اللغة³.

ولتصنيف المعجم لا بدل من القراءة الباطنية التأويلية، لكشف الدلالات المبينة والدلالات المسكوت عنها، "لأنه لا تلقي بدون تأويل ولا تأويل بدون تلقي"⁴.

¹ - الأسلوبية وتحليل الخطاب: نور الدين السد، الجزء الأول، دار هومه، الجزائر، ص 108.

² - الأسلوبية وتحليل الخطاب: نور الدين السد، المرجع السابق، ص 120.

³ - تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس: محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 57.

⁴ - من قضايا التلقي والتأويل: سعد يقطين، طبعة 1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الرباط، 1994، ص 141.

إن انتقاء المعجم اللغوي وتوظيفه ضمن سياق معين يدل على دراية أسلوبية، لأن "إحدى مميزات اللغة الأدبية.. تعويلها المطلق على طاقتها الإيحائية دون الطاقة التصريحية"¹.

ونكشف بهذه الطاقة عن لغة المؤلف وأسلوبه، ومختلف العلاقات التي تقوم بين مستويات الخطاب، فالكلمات تكتسب مدلولاتها الخاصة والمميزة عبر العمل المشترك للسياق، وهي بالرغم من إحالتها إلى مدلول معين، تظهر في الوقت نفسه محملة بمدلولات أخرى ممكنة خاصة في الخطاب الشعري².

وتردد الحقول الدلالية في أي نص، وتعدد قرأتها يفضي إلى تحديد هوية النص " فإذا ما وجدنا نصا بين أيدينا ولم نستطع تحديد هويته بادئ الأمر، فإن مرشدنا إلى تلك الهوية هو المعجم، بناء على التسليم بأن لكل خطاب معجمه الخاص.³ " لكن القول بأن لكل خطاب شعري معجمه الخاص به أمر نسبي، فقد تكون للشاعر الواحد نفسه معاجم بحسب المقال والمقام ف: "إنما الذي بعث في مثل ذلك اللفظ المعجمي الحياة الدلالية هو الفنان"⁴

ويضاف إلى ذلك أن المعجم قد يتراجع عن هيمنته في النص، ويترك الصدارة للظاهرة الصوتية والتركيبية. كما أنّ سمة عدم الثبات هي خاصية المعجم الشعري، الذي يتغير حسب قدرات الشاعر على الخلق والإبداع، وعدم ووحدايته عبر الزمان والمكان ضمن لغة ما، جعل معجم الشعر متطور باستمرار، تتحكم فيه الشروط الذاتية والموضوعية.

فالشاعر يعيش بالكلمة في بيئته اللغوية، وفيها يتم الاتصال بينه وبين الآخرين في إطار أسلوبه الخاص، الذي هو " كيفية ممكنة ينبغي أن تسترجع في عملية الاستقبال "⁵.

¹ - قضية البنيوية، عبد السلام المسدي، المرجع السابق ص 78.

² - المرسلات الشعرية أميرتو أيكو، مجلة الفكر المعاصر، عدد، 18، 19، بيروت، لبنان، 1982، ص 103.

³ - تحليل الخطاب الشعري، محمد العمري، المرجع السابق، ص 58.

⁴ - النص من أين؟ وإلى أين؟: د. عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 86.

⁵ - علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي: برنند شيلز، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1987، ص 109.

ونبحث بعلم أسلوب المعجم في وسائل تعبير الكلمات وما يترتب على ظواهر نشأتها، ف" .. اللفظ كان على الدوام جزءاً نصياً بامتياز"¹

إن النظر للمعجم الشعري الفني للشاعر لا يتأتى إلا بدراسة الحقول الدلالية بمنهجية إحصائية. وتسهم هذه الأخيرة بدور فعال في إظهار الترددات التي تشكل محاور معجمية، أو حقول دلالية، تضمن انسجام النص مع نفسه، ومع غيره من النصوص، يقول الدكتور مفتاح في هذا الصدد: " .. الطريقة الإحصائية تضع يدنا على بعض الترددات التي هي ذات مغزى، فلا أحد ينكر دورها في رصد المحاور التي يدور عليها الديوان أو القصيدة، ولا أحد يجادل في أن تلك الترددات تضمن انسجام النص مع نفسه ومع النصوص الأخرى التي ينتمي إلى جنسها."²

وأثناء رصد المعاجم المتواترة والحقول الدلالية الطاغية في الخطاب، يتوصل الباحث إلى نتائج سليمة وموضوعية، تتحدد على إثرها الخصائص الأسلوبية للدلالات اللغوية في العمل الأدبي، ولا يتم ذلك إلا بمنهجية علمية دقيقة تطبق قواعد وإجراءات خاصة، ترسم الطريق بوضوح وبصورة مستقيمة.

مع ظهور البنيوية في القرن العشرين، بتأثير من لسانيات دي سوسير، ودعوتها إلى دراسة النص من الداخل وإقصائها لجميع السياقات الخارجة عن النص، راحت جل المناهج النقدية المعاصرة تحذو حذوها في قراءتها للنصوص الأدبية.

نجد الأسلوبية من المقاربات التي اقتصرت في درسها للنص الأدبي على جانبه اللغوي، "ومن هنا فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبي، أما ما يتصل بالأثر الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانياً، وجمالياً وموقفاً أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك"³ بصفة أكثر شمولية، وذلك ما يطلع به النقد بشتى اتجاهاته.

¹ - نظرية اللغة الأدبية: حوسيه مريتا بوثونوايقانكوس، سلسلة الدراسات النقدية ترجمة الدكتور حامد أبو حامد، 2 مكتبة غريب دمشق، ص، 183.

² - تحليل الخطاب الشعر، محمد العمري، المرجع السابق، ص 60.

³ - البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، رجاء عيد، المرجع السابق، ص 33.

تعد الأسلوبية اتجاهاً من اتجاهات النقد الأدبي، إن لم نقل جزءاً منه، وإن كنا نجد أن كل من الباحث الأسلوبي، والناقد الأدبي يقوم بالممارسة لفعل القراءة كل حسب ما توفرت له من رؤية وأدوات إجرائي، حينها لا نجد فرقاً أو احتواء أحدهما للآخر، مادام كل منها يحاول أن يقارب النص الإبداعي بأدواته الإجرائية، غير أن الناقد الأدبي يصبح أكثر منهجية عندما يستوعب ويلتزم بأحد المناهج، يستقي منه أدواته، ليقارب النصوص الأدبية. فالنقد الأدبي لن يوفق في عمله ما لم يستعن بمنهج نقدي من المناهج النقدية المعروفة سواء أكانت سياقية منها أم نسقيّة، كل بحسب أدواته الإجرائية، وطرائقه ومقولاته في استنطاق النصوص الأدبية، وفهم العملية الإبداعية من ناص و نص وملتقّ.

الأسلوبية والنص الأدبي:

أما التحليل الأسلوبي للنص، عند ريفاتير **Michael RIFATTERRE** ، فهو الذي يضع يدي المحلل على (أدبية) النص الأدبي، حيث ينطلق من النص الذي هو صرح مكتمل ينبغي تتبع سمة الفردية فيه. وهذه السمة الفردية هي الأسلوب، وهي بالتالي (أدبية) النص.

بيد أن الظاهرة الأدبية، عند ريفاتير **Michael RIFATTERRE**، ليست النص فحسب، بل هي القارئ أيضاً، وردود فعله إزاء النص. ولهذا ركز ريفاتير **Michael RIFATTERRE** اهتمامه على النص وسلطته على القارئ الذي ليست له الحرية في التأويل، وإنما الطواعية للنص. وبهذا يختلف التحليل الأسلوبي الذي يعتمد ريفاتير **Michael RIFATTERRE** عن التحليل البنيوي الذي يفترض بنية كبرى للنص، ثم بنيات صغرى، تقوم بينها علاقات تنافر وتضاد أو تشابه ومماثلة.

وهذا لا يعني أن تحليله الأسلوبي لا يعتمد على تقسيم النص إلى وحدات، فهو يفعل ذلك، ولكن بشرط أن تكون الوحدات مترابطة مع بعضها بعضاً. ومن هنا فإنه يرفض منهج الكلمات-المفاتيح في التحليل الألسني¹.

تركز الأسلوبية . بوصفها منهجاً نسقياً يقصي من طريقه كل السياقات الخارجة عن النص . على مقارنة لغة النص، وأسلوب الكاتب فيه انطلاقاً من إمكاناته اللغوية المتاحة، ومن ثم فهي تركز قراءتها للنص على مفهوم الأسلوب كمجموعة من الخيارات يقوم بها الكاتب في نصه على مستويات اللغة المختلفة، اللفظية منها والنحوية بشكل رئيسي ثم الصوتية، وما تفرزه هذه الخيارات الأسلوبية من وظائف ومعانٍ ومدلولات أسلوبية ناشئة عن علاقات متشابهة، ومترابطة أو متنافرة، وأحياناً معقدة بين مستويات اللغة المذكورة، بحسب الموقف الذي ساهم في إنتاج النص.

يعتمد المنهج الأسلوبي اللغة الحاملة للنص قصد سبر أغوارها، وكشف مكوناتها، من خلال الألفاظ، والتراكيب سواء من جانبها النحوي، أو الصوتي، أو الدلالي، سعياً إلى الوقوف عند اللغة الأدبية المميزة للنص عن سواه من النصوص الأخرى.

لأن "التناول الأسلوبي إنما ينصب على اللغة الأدبية لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المؤلف، بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز"²، وذلك ما يميز بين الأسلوب في خصوصيته الإبداعية والأسلوب كأداة يومية تستعمل للتواصل؛ والأسلوبية باعتبارها منهجاً نقدياً ينصب اهتمامها على اللغة الأدبية من خلال انحرافات الإبداعية عن النمطية ضمن اللغة الإبداعية العادية.

تبقى القراءة الأسلوبية ذلك المنهج النسقي الذي يجعل لغة النص وسيلة وغاية لفهم الإبداع والوقوف على درجة الأدبية فيه، من خلال الهوامش التي تحققها اللغة الإبداعية إذ تسمو بالنص

¹-تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج الحديثة: د.محمد عزّام، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت <http://www.awu-dam.org> ، ص14.

²-البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 129.

إلى مصاف الأعمال الفنية الجذابة، انطلاقاً من مدى اختيار الألفاظ وتراسها وعلاقة بعضها ببعض، ضمن تركيب نحوي وصوتي ودلالي.

ولذلك نجد أن "الأسلوبية تعود بالضرورة إلى خواص النسيج اللغوي، وتنشق منه، فإن البحث عن بعض هذه الخواص ينبغي أن يتركز في الوحدات المكونة للنص وكيفية بروزها وعلاقتها"¹ بعضها ببعض.

وتبقى الأسلوبية منهجاً نقدياً عمل من أجل الكشف عن أسرار اللغة الأدبية في النص الإبداعي، من خلال وحداته المكونة له وانطلاقاً من اللغة كوسيلة وغاية، كوسيلة للوصول إلى استنطاق النص، وكغاية سعياً وراء الوقوف عند درجة الأدبية في النص الأدبي.

بعد هذه الجولة النظرية في مباحث لسانيات النص والدراسات البلاغية والأسلوبية، نلج في الفصل الأخير إلى الدراسة النصية التطبيقية في سورة البقرة، لنقف على أهم آليات الاتساق والانسجام فيها.

¹ -شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القصد والقصيد، صلاح فضل، المرجع السابق، ص 80.

توطئة:

يجدر بنا منهجياً، في بداية هذا الفصل الأخير، التعريف بهذه المدونة الكريمة (سورة البقرة) وتبيان أسباب اختيارها للتطبيق في هذا البحث.

تعتبر البقرة، في النصوص النبوية، سنام القرآن، فعن ابن مسعود¹، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامًا، وَسِنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"².

وسنام كل شيء أعلاه³، وسورة البقرة سنام القرآن" إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة⁴.

¹ - ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (74/3)، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (461/1)، حقق بإشراف، شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي. عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب (32هـ)، أبو عبد الرحمن الهذلي الإمام الحبر فقيه الأمة، من السابقين الأولين، أول من جهر بالقرآن، هاجر المهجرتين، وشهد بدرًا وجميع الغزوات.

² - رواه الحاكم في كتاب فضائل القرآن، (561/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (452/2)، رقم (3277)، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة (135/2)، حديث رقم (588)، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، 1415 هـ - 1995 م.

³ - لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، مادة (سنم)، (306/12-308) المصدر السابق.

⁴ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن: (181/8)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1406 هـ - 1986 م.

ونجد من بين أسمائها، أيضاً، أنها فسطاط القرآن: كما كان يسميها خالد بن معدان¹، " وذلك لعظمتها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها"²، والفسطاط: البيت من الشَّعر³.

ونستطيع أن نقول، على أية حال، بأن سورة البقرة بحسب النزول، على ما اشتهر، هي السورة السادسة والثمانون، وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، بعد الهجرة. وقد نزل قبلها في مكة خمس وثمانون سورة، كما ذكر الزركشي (794هـ)⁴ في كتاب البرهان⁵.

وقال أبو عمرو الداني (444هـ)،⁶ بعدما أورد السور التي أنزلت بمكة: "فذلك ما أنزل عليه ع بمكة، خمس وثمانون سورة... وأنزل عليه بعدما قدم المدينة سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال.."⁷ وقد نقل السيوطي هذا القول، وقول من قال أنه قد نزل بعد البقرة سورة الأنفال ثم

¹ -خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي (ت104هـ)، تابعي، ثقة، أصله من اليمن، وإقامته في حمص، تولى شرطة يزيد بن معاوية، [ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 16/189-205، الأعلام، 2/299].

² -الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، (1/119)، المصدر السابق.

³ -مختار الصحاح: الرازي، محمد ابن أبي بكر، (ص249)، المصدر السابق.

⁴ -هو بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت 794 هـ) تركي الأصل، المصري المولد والوفاة، من العلماء الأصوليين على الفقه الشافعي. له (إعلام الساجد أحكام الساجد، والإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، والدياج في توضيح المنهاج)، [انظر: شذرات الذهب 6/335، طبقات الداودي، 2/157-158، الأعلام 6/6160].

⁵ -البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (1/250-251)، المرجع السابق.

⁶ -هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي (371-444هـ)، والداني نسبة إلى دانية في الأندلس، كان إماماً في علم القراءات، والتفسير وإعراب القرآن وطرقه، وله معرفة بالحديث ورجاله، من تصانيفه: "جامع البيان" في القراءات السبع، و"المنقح في رسم الصحاح ونقطها"، و"الاهتدا في الوقف والابتدا". (ابن بشكوال: الصلة 2/592-593، طبقات الداودي، 1/373-376).

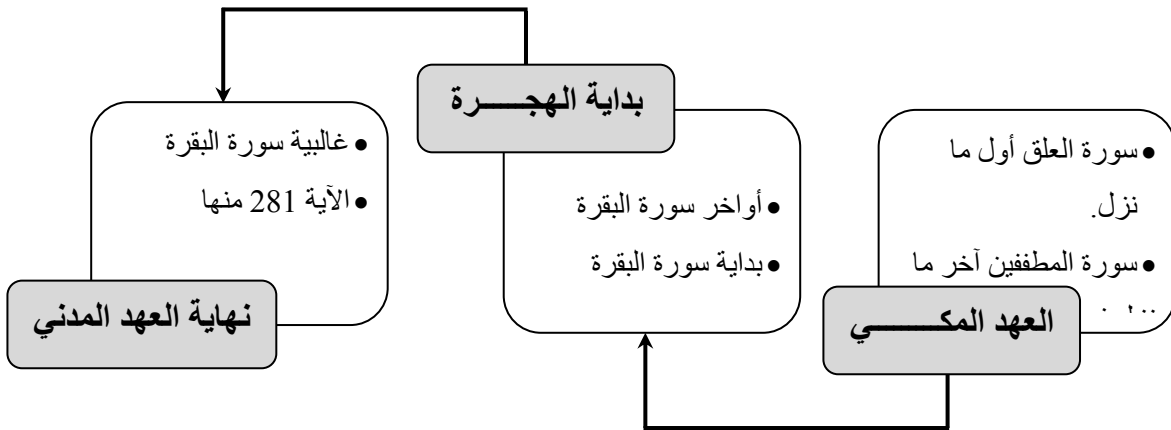
⁷ -البيان في عد آي القرآن: الداني، أبو عمرو، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1، 1414هـ-1994م، (ص136).

آل عمران¹. وهو أولى بالصواب لأن الأنفال نزلت في غزوة بدر، وآل عمران تحدثت عن أحد، وبدر قبل عام من أحد.

وإذا كانت الروايات، في عمومها، تفيد بأن سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإن هناك حديثاً يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج؛ أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء².

حيث روى ابن مسعود رضي الله عنه: " لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ إِذْ يَعْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى، قَالَ فَرَأَسُ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَعُفِّرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْجَمَاتِ"³.

ويمكن أن نجمل مراحل نزول سورة البقرة في هذا المخطط:



¹ -الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، (20/1).

² -السيرة النبوية الصحيحة: العمري، أكرم ضياء، (188/1-189)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 5، 1413 هـ - 1993 م.

³ -صحيح مسلم: كتاب الإيمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1347 هـ/ 1929 م، رقم (173).

وصفوة القول؛ فإن سورة البقرة هي أول ما نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزلت الآية (281) منها، والتي هي على الراجح آخر آية في القرآن، كما نزل قبيلها آيات الربا، فيما تقدمت خواتيم السورة سائرهما فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة قد نزل في بدايات الهجرة.

فإذا كانت سورة البقرة هي "أول سورة نزل من القرآن في المدينة، وهي أطول السور القرآنية جميعاً إذ تستغرق أكثر من جزءين من أجزاء القرآن، وفيها حشد من الموضوعات المتنوعة أكثر مما حوته أية سورة أخرى من سور القرآن"¹.

ويبدو، لأول وهلة، هذا الحشد مجرد "انتقال من موضوع إلى موضوع بغير نظام ! وذلك الذي يقوله الذين لا يعلمون، من المستشرقين وتلامذتهم "المثقفين" ولكن هذه السورة رغم طولها ذلك، ورغم هذا الحشد المتنوع كله في رباط محكم، بحيث يصبح له، على تنوعه، أهداف واضحة محددة، وشخصية موحدة"².

فأين يكمن هذا الرباط وما هي أدواته ؟ هذا ما ستوضحه المباحث التالية:

¹-دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1982م، ص277.

²-المرجع نفسه، ص277.

المبحث الأول: مفهوما الاتساق والانسجام

مفهوم الاتساق:

نستهل تعريف الاتساق بذكر أهم المعاني التي أوردتها المعاجم العربية لهذه الكلمة، ومما جاء في ذلك "وَسَقَ الليلُ وَاتَّسَقَ؛ وكل ما انضم، فقد اتَّسَقَ. والطريق يَأْتَسِقُ؛ وَيَتَّسِقُ أي ينضم؛ حكاة الكسائي. وَاتَّسَقَ القمر: استوى.

وفي التنزيل: "فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق"؛ قال الفراء: وما وسق أي وما جمع وضم¹.

وما نجد، كذلك، في التعابير العربية الفصيحة "اتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقال الفراء: إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه، وقال أبو عبيدة: وما وسق أي وما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جلل الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وسقها. أبو عمرو: القمر والوَبَّاص والَطَّوْس والمَتَّسِق والجَلْم والزَّبْرَقان والسَّنَمَار"².

والمعنى يزداد وضوحاً مع جملة من الأمثلة "وسقت الشيء: جمعته وحملته. والوسق ضم الشيء إلى الشيء. وفي حديث أهد: استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم أي استجمعوا وانضموا، والحديث الآخر: أن رجلاً كان يجوز المسلمين ويقول استوسقوا. وفي حديث النجاشي: واستوسق عليه أمر الحبشة أي اجتمعوا على طاعته واستقر الملك فيه"³.

ونلاحظ، من خلال الشروح السابقة، أن معناه لا يتعدى الجمع، "واستوسقت الإبل: اجتمعت؛ وأنشد للعجاج: إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات، لو تجدن سائقاً وأوسقت البعير:

¹ -لسان العرب: لابن منظور، مادة (وسق)، ج12، المصدر السابق، ص1762.

² -المصدر نفسه، ص1762.

³ -المصدر نفسه، ص1762.

حَمَلْتَهُ حَمْلَهُ وَوَسَقَ الْإِبِلَ: طردها وجمعها؛ وأنشد: يوماً تَرَانَا صَالِحِينَ، وتارةً تَقُومُ بِنَا كَالْوَأْسِقِ الْمَتَلَبِّبِ
وَاسْتَوْسَقَ لَكَ الْأَمْرُ إِذَا أَمَكْنَكَ.

وَأَسَقَتِ الْإِبِلَ وَاسْتَوْسَقَتْ: اجتمعت.

ويقال: وَأَسَقْتُ فَلَانًا مُوَأْسِقَةً إِذَا عَارَضْتَهُ فَكُنْتَ مِثْلَهُ وَلَمْ تَكُنْ دُونَهُ؛ وقال جندل: فَلَاسَتْ،
إِنْ جَارَيْتَنِي، مُوَأْسِقِي، وَلَسْتُ، إِنْ فَرَزْتَ مِنِّي، سَابِقِي وَالْوَسَاقُ وَالْمُوَأْسِقَةُ: المِهَاذَةُ؛ قال عدي:
وَنَدَامَى لَا يَبْخَلُونَ بِمَا نَا لُوا، وَلَا يُعْسِرُونَ عِنْدَ الْوَسَاقِ وَالْوَسِيقَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْحَمِيرِ: كَالرُّفْقَةِ مِنْ
النَّاسِ، وَقَدْ وَسَقَهَا وَسُوقًا، وَقِيلَ: كُلُّ مَا جُمِعَ فَقَدْ وَسِقَ. وَوَسِيقَةُ الْحِمَارِ: عَانَتُهُ¹.

وأخيراً؛ فإن الاتساق على ما سبق فيه معنى الضم و الجمع مثل قول " العرب: إن الليل
لطويل ولا أسقُ باله ولا أسقُهُ بالاً، بالرفع والجزم، من قولك وَسَقَ إِذَا جَمَعَ أَي وُكِلَتْ بِجَمْعِ الْمَهْمُومِ
فِيهِ.

وقال اللحياني: معناه لا يجتمع له أمره، قال: وهو دعاء.

وفي التهذيب: إن الليل لطويل ولا تَسِقُ جزم على الدعاء، ومثله: إن الليل طويل ولا يَطُلُ
إِلَّا بِخَيْرٍ أَي لَا طَالَ إِلَّا بِخَيْرٍ. الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ لِلطَّائِرِ الَّذِي يُصَفَّقُ بِجَنَاحِيهِ إِذَا طَارَ: هُوَ الْمِيَسَاقُ،
وَجَمْعُهُ مَأْسِيقٌ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هَكَذَا سَمِعْتُهُ بِالْهَمْزِ. الْجَوْهَرِيُّ: أَبُو عُبَيْدِ الْمِيَسَاقِ الطَّائِرِ الَّذِي يُصَفَّقُ
بِجَنَاحِيهِ إِذَا طَارَ، قَالَ: وَجَمْعُهُ مِيَاْسِيقٌ. وَالْإِنْتِظَامُ.²

وفي (الصَّحَّاحِ فِي اللُّغَةِ) فَإِنَّ مَادَّةَ وَسَقَ الَّتِي مَصْدَرُهَا الْوَسِيقُ تَعْنِي الْجَمْعَ، " وَسَقْتُ الشَّيْءَ: جَمَعْتُهُ
وَحَمَلْتُهُ"³.

¹ - لسان العرب: لابن منظور، المصدر السابق، ص 1763.

² - المصدر نفسه، ص 1763.

³ - الصحاح: الجوهري، مادة (وسق)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق.

ولم تتعد المعاجم الغربية، هي كذلك، عن ما جاء في المعاجم العربية القديمة والحديثة، وقد نجدهما يتفقان في كثير من المعاني، ومنها ما جاء في معجم (oxford) بأن الاتساق هو "إصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكّلان وحدة مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا..."¹ ففي هذا المعجم يعني شدة الالتصاق والالتحام، وتثبيت أجزاء الشيء الواحد بعضها ببعض.

ونجد، من الناحية الاصطلاحية، أنه يُقصد عادة بالاتساق ذلك "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص /خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"².

ولهذا، فإنه من أجل وصف اتساق الخطاب / النص "يسلك المحلل، الواصف للنص، طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو يعديّة، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص / الخطاب، المعطى اللغوي بصفة عامة، يشكل كلا متآخذا"³.

ويُفهم مما سبق، بأن النص إذا اتسم بالاتساق خضعت جملة لعملية بناء منضمة ومترابطة تركيبيا ودلاليا، بحيث كل جملة تؤدي إلى الجملة اللاحقة ويتحقق هذا التعالق بواسطة أدوات ووسائل لغوية.

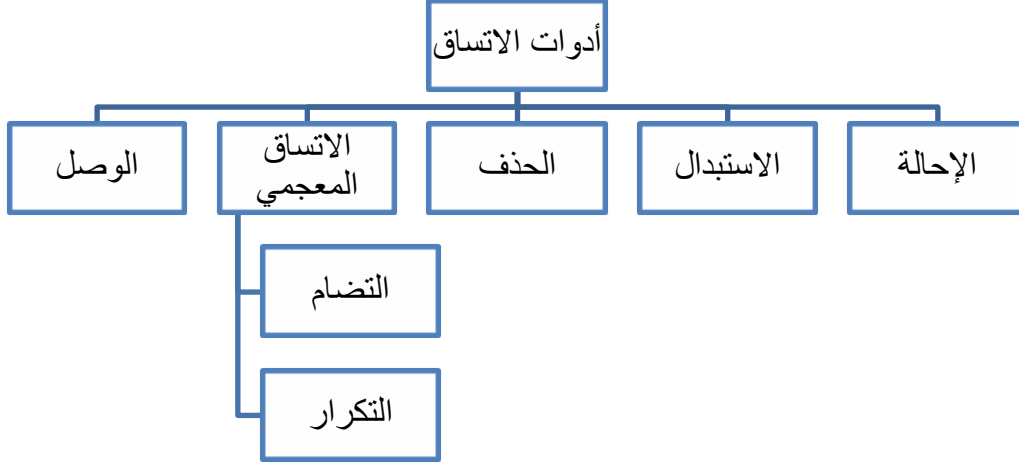
وبالتالي فإن الاتساق هو الذي يضمن تماسك النص ويميزه عن اللانص، وتساهم مجموعة، كما سنرى فيما بعد، من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية في هذا مما يجعل الاتساق يكون تركيبيا ودلاليا.

¹-OXFORD, (Advanced learner's Encyclopedia), (OXFORD: Oxford University Press, 1989), P 173.

²-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د.محمد خطايي، المرجع السابق، ص05.

³-المرجع نفسه، ص05.

وأهم هذه الوسائل والأدوات التي تساهم في جعل النص متسقاً شكلاً ما يوضحه هذا المخطط:



فإذا كانت هذه هي أهم الأدوات التي تساهم في اتساق النص، فما هي الوسائل التي تساعد في انسجامه؟

2 - مفهوم الانسجام:

سنقف على أهم معاني الانسجام، قبل الحديث عن وسائل انسجام النص، في اللغة، فقد جاء في لسان العرب "سَجَمَتِ العَيْنُ الدمعَ والسحابةُ الماءَ تَسْجِمُهُ وتَسْجُمُهُ سَجْمًا وسُجُومًا وسَجْمَانًا: وهو قَطْرَانُ الدمعِ وسَيْلَانُهُ، قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك الساجِمُ من المطر، والعرب تقول دَمَعٌ ساجِمٌ".

ودمع مَسْجُومٌ: سَجَمَتَهُ العَيْنُ سَجْمًا، وقد أَسْجَمَهُ وسَجَّمَهُ. والسَّجَمُ: الدمع. وَأَعْيُنٌ سُجُومٌ: سَوَاجِمٌ؛ قال القطامي يصف الإبل بكثرة ألبانها: دَوَارِفُ عَيْنَيْهَا من الحفْلِ بالضُّحَى، سُجُومٌ كَتَنْضَاحِ الشَّنَانِ المِشْرَبِ وكذلك عَيْنُ سَجُومٍ وسحاب سَجُومٍ. وَأَنْسَجَمَ الماءُ والدمعُ، فهو مُنْسَجِمٌ إِذَا أَنْسَجَمَ أَي انْصَبَ"¹.

¹ - لسان العرب، ابن منظور، مادة (سجم)، ج1، المصدر السابق، ص1762-1763.

من المعاني الأخر للانسجام ما تشير إليه العبارة التالية: "سَجَمَتِ السحابة مطرها تَسْجِماً وَتَسْجِماً إِذَا صَبَّتْهُ؛ قال: دائماً تَسْجِماً^{1*}، وفي شعر أبي بكر: فدمع العين أهونهُ سِجَامٌ سَجَمَ العَيْنُ والدمعُ الماءُ يَسْجُمُ سُجُوماً وَسِجَاماً إِذَا سَالَ وَأَسْجَمَ. وَأَسْجَمَتِ السحابة: دام مطرها كَأَسْجَمَتْ؛ عن ابن الأعرابي. وأرض مَسْجومة أي ممطورة.

وَأَسْجَمَتِ السَّمَاءُ: صَبَّتْ مِثْلَ أَنْجَمَتِ".²

أمّا من الناحية الاصطلاحية، فإن " مفهوم الانسجام يعتبر لصيقاً (inherent) بمفهوم النص ومكوناً له، بل إن الانسجام يعادل مفهوم النص ومفهوم النصية".³

ومن هنا، فإن الانسجام يتحقق " في التواصل اللغوي حين يستعمل المتكلم بعض الوحدات اللغوية... كوحدة قاعدية للنص (a text base unit) وبواسطة الموضوع (thème) والتوسيعات (the expands) يبدأ في عملية التدرج الخطي في ترتيب متفق للنص ويتم مقاطع الوحدات"⁴.

ومما يجدر الإشارة إليه، هو أن الانسجام ليس ثأويا في النص، بل إن المتلفظ المشارك هو الذي يتولى بناءه، لأن " الحاجة للانسجام هي نوع من الشكلي القبلي à priori للتلقي الخطابي والحال، وإن الحكم الذي يقتضي بأن النص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ"⁵

لهذا، ينطلق المتلقي من افتراضين من أجل إكتشاف انسجام النص أو عدم انسجامه وهما:

¹ - * - قوله «دائماً تسجامها» قطعة من بيت للبيد وأورده الصاغاني بتمامه وهو:

باتت وأسبل واكف من ديمة يروي الخمائل دائماً تسجامها.

² - لسان العرب، ابن منظور، مادة (سجم)، ج1، المصدر السابق، ص1762-1763.

³ - LUNDQUIST : La cohérence textuelle, P 17.

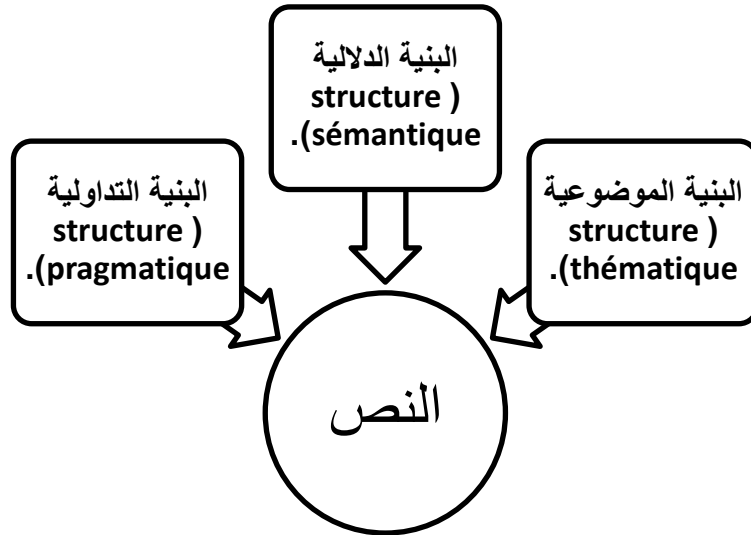
⁴ - WERLICH : a text grammar of English, P 30.

⁵ - LUNDQUIST : La cohérence textuelle, P 52 .

1- لا يملك الخطاب في ذاته مقومات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

2- كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح¹.

وعندما نريد تحليل ووصف انسجام النص، نجد لاندكويست (LUNDQUIST)، مثلاً، تستند في وصف هذه العناصر بعدم الكفاية على مصادرة مفادها أن «النص يملك أو يحتوي على بني تتدرج ضمنها العناصر الاتساقية»². وهذه البنى هي:



وعليه، فإن هذه البنى تستدعي وجود مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق الانسجام وهي:

مبدأ السياق : ويتشكل من علاقة النص بالقارئ مما يمكنه من تحيد ظروف القضية وزمانها ومكانها...

¹- ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، المرجع السابق، ص52.

²- LUNDQUIST : La cohérence textuelle. P 54.

مبدأ التأويل المحلي: ويرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضاً، فنعرف موضوع النص والعلاقات والقرائن التي تربط بين عناصره.

مبدأ التشابه: ويتم ذلك عبر تشابه النص مع نصوص أخرى في القضية التي يقارنها.

مبدأ التفرغيب: ويقصد به الموضوع الرئيسي [النواة الرئيسية] الذي يتمحور حوله الخطاب المدرس.

وهذه المبادئ ساهمت في تحقيقها عمليات أساسية ساهمت في بناء الانسجام منها: الخلفية المعرفية: وهي ما يحمله المتلقي من معلومات ومعارف تمكنه من التأويل والتفسير والتحليل.

الخلفية التنظيمية: وهي ما نستحضره من تمثيلات حول النص مرتبة بانتظام كتحديد مجال النص وجنسه ونمطه وخلفيته النظرية، مما يساعد على فهم النص والانسجام مع معطياته¹.

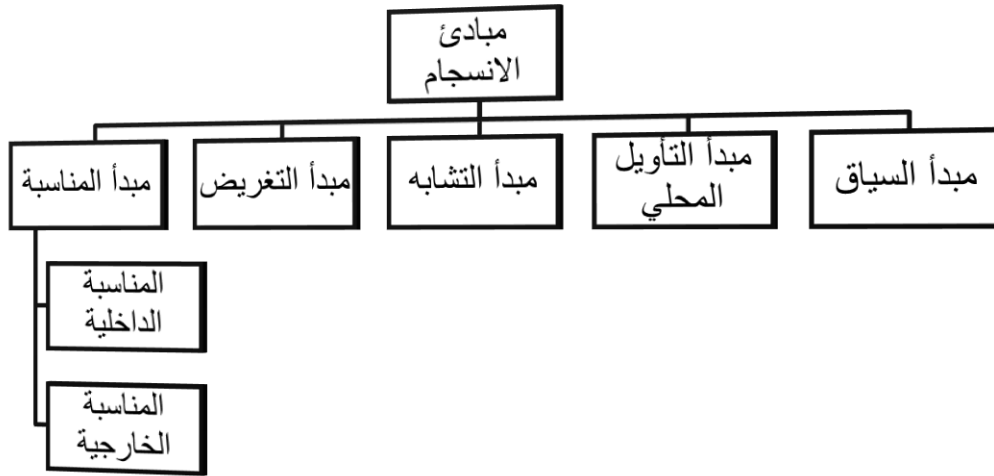
وسنضيف إلى المبادئ السابقة، مبدأ آخر مرتبط أساساً بالقرآن الكريم، هو مبدأ المناسبة، الذي يوزعه العلماء إلى قسمين:

1-التناسب الداخلي.

2-التناسب الخارجي.

ويمكن أن نجمل مبادئ الانسجام في المخطط التالي:

¹- ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، المرجع السابق، ص 52 حتى ص 60.



فمن خلال هذه الأدوات، التي سنطبقها في سورة البقرة، ندرك أسرار انسجام النص من عدمه، وفق ما بينه علماء النص.

المبحث الثاني الانسجام في سورة البقرة:

مبدأ السياق :

مما أشار إليه علماءنا القدامى قاعدة ذهبية مضمونها أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن¹، وتعد هذه الملاحظة، في رأيي، إشارة إلى منهج قوم في علم الدلالة (Sémantique) والذي أصبح يعرف اليوم بـ"المنهج السياقي".

وتجدر الإشارة في هذا المجال، بأن منهج تفسير القرآن بالقرآن "كان معروفا في الصدر الأول، وقد لجأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إليه عندما سُئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة:

- روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية (﴿مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ إِنَّهُ لِيَغْتِرَ بِهَا كَمَا يُغْتَرُ بِالْمَالِ﴾)² شقَّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله و أئنا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (﴿وَمَا يَشْكُرُ إِلَّا لِنَفْسِهِ إِنَّهُ لِيَغْتِرَ بِهَا كَمَا يُغْتَرُ بِالْمَالِ﴾)³، إنما هو الشرك"⁴.

وهذا المنهج هو الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، ومعرفة أسرار انسجام النص القرآني، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في النص/ الخطاب هي التي تحدد معناها.

¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، دار الجيل بيروت، ج2، ص175

² - سورة الأنعام/ 82.

³ - سورة لقمان/ 13.

⁴ - مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، مطبعة المعارف، ط1، 2009م، ص14.

لهذا صرح زعيم المدرسة السياقية فيرث (Firth) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال "تسييق الوحدة اللغوية"¹، أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن "دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلاً للأشكال السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدد وفق السياقات التي ترد فيها"².

ومن هنا، فإن للسياق دوراً أساسياً في ترابط النص القرآني وانسجامه، انسجاماً يجعل أي القرآن مرتبطاً "بعضه ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"³.

ويجدر التوضيح هنا، بأن النص القرآني "بوصفه نصاً نزل مفرداً تبعاً لتنوع الأحداث، فلم ينزل كله في مكان واحد، ولا زمان واحد، ولا لحدث واحد، لهذا احتاج فهمه إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته حتى يمكن تفسيره"⁴، والوقوف على سر الترابط بين السياق، بنوعيه، والنص.

ويكون السياق القرآني، على العموم، مؤتلفاً من ثلاثة عناصر أساسية:
أولاً: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

ثانياً: النظم والأسلوب القرآني المؤلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.

ثالثاً: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها فيها.

¹ -علم الدلالة: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص.68

² -علم الدلالة: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص.68

³ -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ضبطه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط5، 1952 م، ص.270.

⁴ -علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبح إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ج1، ص.109.

ويظهر جليا ذلك في المخطط التالي:



وقد جمع ابن تيمية هذه العناصر جميعاً فقال: "وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال"¹.

ومما سبق، فإنه يُقصد بالسياق القرآني الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"².

وبصفة أدق، فإن السياق القرآني هو "الأغراض التي بنيت عليها الآية، وما انتظم بها من القرائن اللفظية والحالية وأحوال المخاطبين بها"³

والمقصود بالقرائن اللفظية: القرائن النصية وهي ما احتواه النص من التعبير والتركيب والارتباط بين الآيات ونحوها.

¹ -الفتاوى الكبرى: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ/1987م، 208/3.

² -دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن: ص88.

³ -المرجع نفسه، ص90.

والمقصود بالقرائن الحالية: الأسباب والأحوال التي نزلت الآية فيها.

وهذا المعنى الذي تحدد به السياق القرآني، والعناصر التي ائتلف منها، راجعة إلى عموم معنى السياق وعناصره الأساسية¹.

ويستنتج من ذلك، بأن السياق في القرآن يُقسم إلى نوعين: لغوي وغير لغوي: أما السياق اللغوي فهو النص/الخطاب ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية، وهو سياق داخلي منبثق، لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكونها النصية، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب، ولا يكون في سلمه الإجمالي أيُّ مكوّن خارجي للمعنى والتأويل.

أما السياق غير اللغوي فيراد به ظروف الخطاب وملايساته الخارجية والتي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب، والتي سماها علماءنا: سياق الحال، أو المقام، وقالوا: [لكل مقام مقال]، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص: المتكلمين والمخاطبين... وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد، ومنها ما سماه المفسرون: أسباب النزول، ويندرج ضمنها بالطبع مراعاة حال المخاطب وغرض المتكلم².

¹- ينظر: التناسب البياني في القرآن، أبو زيد أحمد، رسالة ماجستير، 1990م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، المملكة المغربية، ص182.

²- ينظر: المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي: مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس/ العدد الأول، 2003، ص 05/42.

وملخص ما ذكرته يوضحه هذا المخطط:



ونشير هنا، أيضا، إلى مسألة مهمة متعلقة بمصطلح السياق وإطلاق المفسرين له، وهو أن بعض المفسرين كثيراً ما يستعمل السياق بعبارات مرادفة يطلقونها في معنى السياق، ومنها: نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملائمة الكلام، مقتضى الكلام، فحوى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة، المقام، ونحوها، وهذه المصطلحات كلها معتمدة على النص الذي هو مناط السياق¹.

وقد وضع العلماء، تأسيساً على ما سبق، قاعدة في "أصول التفسير بضرورة العودة إلى القرآن الكريم نفسه لمعرفة تفسير آية ما، فما أُجمل في مكان فُصِّل في مكان آخر، وما أُطلق في سورة مقيّد في سورة أخرى"².

ومن هنا، فإن "أصح الطرق في ذلك، لأي تفسير القرآن، أن يفسّر القرآن القرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر"³.

¹ - ينظر: السياق القرآني وأثره في تفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال، تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحث عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، 2002م، ص 87.

² - مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص 15.

³ - مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن، دت، ص 93.

فإذا نظرنا إلى السياق القرآني في سورة البقرة نجد أن أحكام السورة بنيت على التيسير والتخفيف، وقد جاء التصريح بذلك في السورة في ثلاثة مواضع، وهي:

1 - قوله تعالى: في آيات القصاص: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ}¹

2 - قوله تعالى: في آيات الصيام {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ}²

3 - قوله تعالى: في آخر السورة بعد بيان جميع الأحكام والتشريعات، وهو قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"³ ففيه تخفيف عام على الأمة على حسب الطاقة والوسع وهو شامل لجميع أحكام الشريعة، فهو قاعدة من قواعد التشريع⁴.

وبالتأمل، أيضاً، في أحكام السورة وترتيبها نجد أنها قد جاءت في ترتيب بديع مترابط متناسق، وقد بنيت على قاعدة مهمة، أيضاً، وهي قاعدة حفظ الضرورات الخمس للإنسان والمجتمع، وقد جاء ترتيبها مبني على أهميتها وضرورتها في بناء الفرد والأسرة والمجتمع:

¹ - سورة البقرة/ 178.

² - سورة البقرة/ 185.

³ - سورة البقرة/ 286.

⁴ - دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن: ص 89.

1- ابتدأ أولاً بحفظ الدين، وهو ما تضمنه القسم الأول، وجمعه آية البر، وفصلته بعض الآيات المتعلقة بأركان الدين مما لم يشرع من قبل، وهو الصوم والحج .

2- حفظ ضرورة النفس والحياة، إزالة لما كان عليه العرب من النزاع والشحناء المؤدي إلى الظلم والتعدي، ضماناً لاستقرار المجتمع وأمنه، ولهذا ابتدأ بأحكام القصاص التي فيها حفظ النفس، ثم بأحكام الوصية التي فيها حفظ الحقوق المالية الواجبة والتي أدخل بها العرب.

3- حفظ العقل والمال، إزالة لما يؤدي إلى الشحناء والتقاطع، وجاء ذلك ببيان المصالح والمفاسد في الخمر والميسر تمهيداً لتحريمه.

4- حفظ الحقوق الشخصية ونظام الأسرة اتصالاً وانفصالاً، ضماناً لاستقرار، وإزالة للظلم والتعدي الذي كان عليه العرب.

5- حفظ الحقوق المالية، منعاً للظلم والتعدي بالربا، وقطعاً لأبواب المنازعات، وضمناً لاستقرار المجتمع مالياً¹.

وقد ظهر لي، من خلال التأمل كذلك، تداخل الضرورات الخمس وأحكامها في السورة، مما يوحي بتلازمها وترابطها في شريعة الإسلام، وهذا من دلائل كمال الشريعة.

ونجد أن أركان الإيمان تكررت في أول السورة ووسطها وآخرها، ولعل ذلك من باب توثيقها في النفوس إذ أن هذه السورة تجمع أصول الإيمان والتشريع، فكانت هذه الأركان أصل الدين كله، وإليها ترجع الأعمال كلها، وهو علامة الصدق والتقوى. فلما كانت بهذه المنزلة احتاجت إلى تكرار للتأكيد عليها وتوثيقها في نفوس المؤمنين.

ويمكن التوجيه بأن هذا التكرار له غرض مقصود وهو ذكر أحوال المؤمنين في الإيمان، وقد أشار إليه ابن تيمية بقوله: "وقد ذكر تعالى هذه الأصول الخمسة في أول السورة ووسطها وآخرها، فقال في أولها { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }²... وقال

¹- ينظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية: ص90.

²- سورة البقرة/ 04.

في وسطها { لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ... }¹ ثم أطل في تقرير الموضوع الثالث وختمه بقوله: "تضمنت هذه الكلمات كمال إيمانهم، وكمال قبولهم، وكمال انقيادهم"²

وإذا تأملنا في الوجهين اللذين بنيت عليهما أحكام السورة نجد أنهما لا يتعارضان بل يتفقان في أن الأحكام تضمنت أصول الدين ومبادئه التي تقوم عليها الحياة والدولة.

مبدأ التأويل المحلي:

إذا كان يُقصد به التعامل مع النص من خلال معطيات النص، وفهمه انطلاقاً من سياقه الخاص، وتأويله تأويلاً داخلياً محلياً، فإننا لا نستطيع تأويل كلمة البقرة، مثلاً، بمنأى عن السياق القصصي الذي جاءت فيه.

فقد وجدنا الماوردي (ت450هـ)³ يبين سر اختيار البقرة للذبح في قوله: "وإنما أمر، والله أعلم، بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنّها من جنس ما عبده من العجل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته"⁴.

ومن هنا؛ فإنما اختص البقر من "سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله فاخترتوا بذلك؛ إذ هذا من الابتلاء وهو أن يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويعظمه"⁵.

¹ - سورة البقرة/ 177.

² - الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، 208/3.

³ - هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري الشافعي، (ت450هـ)، له الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين، الحاوي في الفقه، وقانون الوزارة، [طبقات السيوطي، ص83-84، طبقات الأذنوي، ص119-120].

⁴ - النكت والعيون: الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، (137/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، د ط.

⁵ - البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الجبائي، مطبعة السعادة، دار الفكر، بيروت، 1413هـ/1992م، (404/1).

مبدأ التغريض:

إذا كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية فإن هذا النظام، يعني الخطية والنسقية، يتحكم في تأويل الخطاب بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه، ولذلك عرف براون و يول التيمة بأنها "نقطة بداية قول ما"¹.

وهكذا فإن عنوان النص سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، ومن هنا فإننا "نفترض أن كل جملة تشكل جزءاً من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم"².

ووجدنا التغريض يُعرف على النحو التالي: "كل قول، وكل جملة، وكل فقرة، وكل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية"³، بل إن في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه.

فإذا نظرنا وتأملنا في السورة وجدناها، من حيث موضوعها العام، تنقسم إلى قسمين: أولاً: بيان أصول الإيمان والعلم، وهو يمثل الشطر الأول من السورة، من أول السورة إلى آية(176).

وقد تضمن هذا القسم بإجمال محاور أساسية وهي:

1 - وصف القرآن بما هو أهله، ووصف متبعيه ومخالفيه كلاً بما يستحقه، وكل ذلك راجع إلى القرآن. وقد جاء هذا المحور من أول السورة إلى آية 20.

2 - أصول الإيمان التي انطلق منها هذا القرآن وبني عليها، وهي التوحيد والوحي والنبوة والجزاء، وقد تضمنها ردُّ وتفنيدي على المخالفين. وقد جاء تفصيل هذا المحور من آية 21 إلى آية 29.

¹—brown,G. and George yule. (1983). Discourse Analysis. C.U.P. London, p 126

²—المرجع نفسه، ص135.

³—المرجع نفسه، ص134.

3 - أصل الهداية التي تضمنها القرآن ودعى إليها، وأنها راجعة إلى أصل الخليقة وحكمة الله في إيجاد البشر واستخلافهم في الأرض، ابتداءً من آدم عليه السلام. وقد جاء تفصيل هذا المحور من آية 30-39.

4 - بيان موقف أهل الكتاب من الهدى، وقد أطال الحديث عنهم لكونهم أقرب الأمم لأمة الإسلام وهي الأمة المستخلفة قبلهم، وإنما أطال الحديث عنهم لإقامة الحجة عليهم دعوة لهم، وكشفاً لكفرهم وحجودهم، ورداً لافتراءهم حول هذا الدين ونبية الكريم، وأصل اتصاله بإبراهيم، ووراثته قبلته. وتهديدهم على الكتمان للحق في ذلك كله، وقد جاء تفصيل هذا المحور من آية 40-162.

5 - بيان أصول التشريع التي تقوم عليها أحكام الدين وتشريعاته التي تضمنها هذا القرآن، وهما أصلان عظيمان :

أ. بيان أصل الدين كله التي تقوم عليه الشريعة وهو وحدة المعبود الخالق المشرع في قوله تعالى: "وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ..."¹

ب. بيان أصل التشريع وهو الحل وأن المحرمات محدودة إظهاراً لكمال شريعته وسهولتها وملائمتها للضرورة، مع ذكر أصول المحرمات التي هي وسيلة للشرك في التشريع، وهي أربعة أشياء، أباحها حال الاضطرار².

وضمن ذلك دعوة للمؤمنين بالتمتع بما أحل لهم، وتهديداً للذين يكتمون أو يحرفون ما أحله الله أو حرمه، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل لعباده ليشتروا به ثمناً قليلاً. وقد جاء تفصيل هذا المحور من آية 163-176.

ثانياً: بيان أصول الشريعة. وهو يمثل الشطر الثاني من السورة، من آية البر (177) إلى آخر السورة.

¹ - سورة البقرة/ 163.

² -دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية: سليمان الطراونة، المرجع السابق، ص 25.

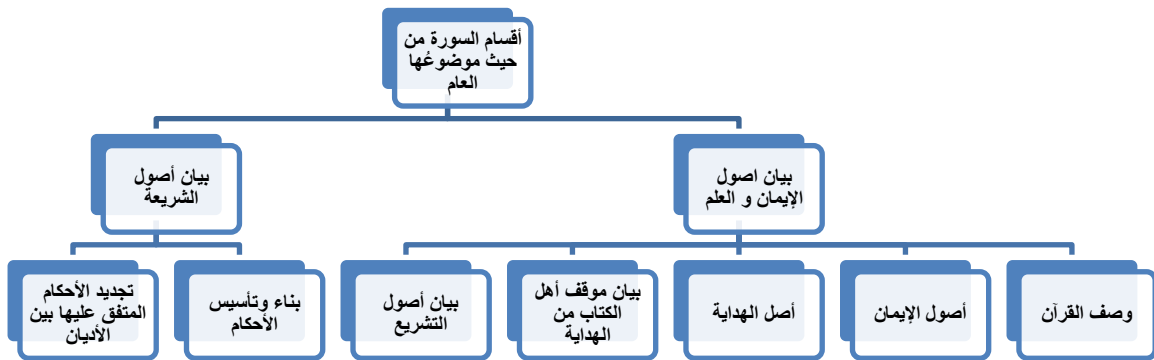
وقد انتظمت الأحكام التي تضمنها هذا القسم في محورين أساسيين :

1- تجديد الأحكام المتفق عليها بين الأديان ووقع فيها الخلل من أهل الكتاب، أو أهل الجاهلية، وإظهار كمال الإسلام فيها.

2- بناء وتأسيس الأحكام التي تركز على إصلاح المجتمع المسلم في بداية تأسيس الدولة الإسلامية وبناء نظامها الأساسي، وهي الأحكام المتعلقة بحفظ الضرورات الخمس، ورعاية الحقوق، وما يتفرع عنها من أحكام المعاملات الأسرية والأحوال الشخصية، وأحكام المعاملات المالية، ونظام العقود. وقد ركزت في ذلك كله على رفع المجتمع المسلم وحمائته من صفات العدوانية والشهوانية والأنانية والطبقية التي قام عليها النظام الجاهلي، ولهذا ابتداءً بحكم القصاص الذي هو من أعظم أسباب الحياة واستقرارها¹.

وبالتأمل الثاقب في هذين المحورين نجد أنها تنتظم في نسق واحد تتجلى فيه جميع تلك الأحكام، وهو: إظهار كمال الشريعة بكونها مبنية على الرحمة والتيسير، والمصلحة وحفظ الحقوق، والمنع من الظلم والتعدي.

فهذا هو الغرض العام الذي يجمع الأحكام في السورة يلخصه هذا المخطط:



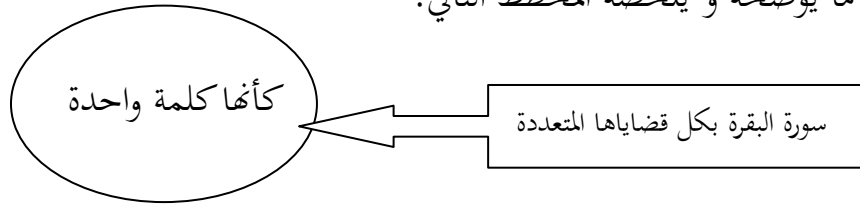
¹ - ينظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ص 185.

وقد أشار ابن تيمية لهذين القسمين فقال "وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين"¹.

كما أشار صاحب النبأ العظيم إلى هذا التقسيم في بداية حديثه عن القسم الثاني بقوله: "بعد إرساء الأساس، تكون إقامة البنيان، وبعد الاطمئنان على سلامة الخارج، يجي دور البناء والإنشاء في الداخل، نعم لقد تم (إصلاح العقيدة) التي هي روح الدين وجوهره، فيبدأ (تفصيل الشريعة) التي هي مظهر الدين وهيكله.. كانت العناية من قبل موجهة إلى بيان (حقائق الإيمان) فلتتوجه الآن إلى بسط (شرائع الإسلام)".²

ونخلص مما سبق، إلى أن السورة مهما تعددت قضاياها فهي "كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، و يتراعى بجملته على غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة"³.

و هذا ما يوضحه و يلخصه المخطط التالي:



وإنه لاغنى، استنادا على ما سبق، لمن يريد أن يفهم سر "نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"⁴.

ونخلص مما سبق، إلى أن القرآن متناسق تناسقا عجيبا بين جميع سورته (114 سورة)، مما يجعله يشكل بناء واحدا محكما مترابعا، لا يستطيع أي إنسان أن يسقط ولو حرفا واحدا منه.

¹ - مجموع الفتاوى: ابن تيمية، 41/14.

² - النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 195.

³ - المرجع نفسه، ص 137.

⁴ - المرجع نفسه، ص 137.

وأما مناسبتها لأول السورة رداً للمقطع على المطلع فهو "أنه لما ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدم، ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أولها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر والنواهي، والاتصاف بأوصاف الكمال أشد اتصالاً، وجعل رأسهم الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام تعظيماً للمدح وترغيباً في ذلك الوصف، فأخبر بإيمانهم بما أنزل إليه بخصوصه، وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع"¹.

وخلاصة الأمر فإن البدء بالغيب "بشكل عام وإقامة فرائض الإسلام، والإيمان بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبل واليقين بالآخرة.

وفي الختام الحديث عن إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل إليه وبالله وملائكته، وهنّ من الغيب وبالكتب والرسالات السابقة وسؤال الله المغفرة فإليه المصير يوم القيامة"².

¹ -نظم الدرر، البقاعي، 553/1.

² -مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص80.

الانسجام النصي بين قصص سورة البقرة

تجمع سورة البقرة عدداً من القصص بدءاً من قصة آدم عليه السلام، فأخبار بني إسرائيل، ومنها قصة البقرة التي بها سميت السورة، وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وذلك حتى منتصف السورة الكريمة، وفي الربع الأخير من السورة تأتي خمس قصص هي: قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقصة طالوت وجالوت، ثم تأتي متتابعة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وأخيراً سؤال إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى¹.

من خلال الملاحظة المحصنة وجدت أن هذه القصص تجتمع في محور الإحياء والإماتة:

فقد بين ابن كثير عند تفسير قوله تعالى **ك ز ٢** في ختام قصة البقرة: "أي فضربوه فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتل، جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد. والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع: **ز و و و و و ٣**، وهذه القصة - يقصد قصة البقرة - ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم - عليه السلام - والطيور الأربعة، ونبه تعالى بإحياء الأرض بعد موتها، على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميمًا"⁴.

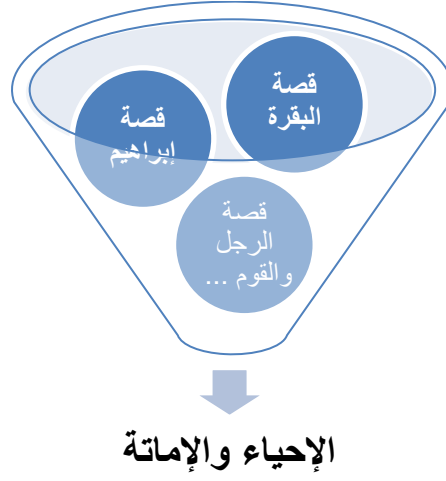
فكل القصص، على ما سبق، تصب في فكرة واحدة كما يوضحها هذا المخطط:

¹- ينظر: المرجع نفسه، 7/ 106.

²- سورة البقرة/ 73

³- سورة البقرة/ 56

⁴- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، (1/112)، دار المعرفة، لبنان، 1969م.



ومن هنا؛ نستنتج بأن اجتماع هذه القصص في سورة واحدة ليس اعتباطاً وإنما ليثبت فكرة عقديّة تتعلق بأن الحياة والموت بيد الله تعالى.

المناسبة بين اسم السورة وموضوعها الرئيس

يعتبر العنوان في الاصطلاح اللساني " مجموعة العلامات اللسانية التي تدرج على رأس نص لتحده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود بقراءته"¹؛ حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم².

ولهذا نبه علماءنا القدامى إلى أهمية العنوان أو اسم السورة، فيذهب الزركشي إلى تسمية السورة باسم معين "ليس إلا تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ بأسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"³.

والعنوان أشبه بالباب أو العتبة التي منها يُدخل إلى النص، فضلاً عن دوره في التحديد والتمييز بين النصوص، وهنا بين السور، إضافة إلى دورها في الإغراء بالقراءة، من خلال السور المسماة بحروف الهجاء، وكذا الأسماء الغريبة أو المختصرة، حيث الغالبية العظمى من أسماء السور تتكون من كلمة واحدة.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المجال، هو أننا إذا أردنا أن " نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، لا بد أن يكون اسم السورة توقيفاً أي ثاباً عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"⁴. وقد تقدم في الروايات السابقة أن السورة تسمى سورة البقرة.

¹- شعريّة العنوان في كتاب "الساق على الساق في ما هو الفاريانق": المطوي محمد الهادي، المرجع السابق، العدد(1/456).

²- عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي: مالكي فرج عبد الحسيب، المرجع السابق، ص 24.

³- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج1، المصدر السابق، ص46.

⁴- مباحث في التفسير الموضوعي، أ. د. مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص185.

عنهم في الوقت ذاته، ليس عدم التزام الأمر الإلهي فحسب، بل حتى أن يكونوا قاربوه ؛ أي ما قاربوا الفعل، على معنى أنه لم يُقبل ذبحهم ولم يعتبر استجابة لأمر الله تعالى¹.

فيما تكاد تجمع كتب اللغة والتفسير على أن المعنى هو أنهم كادوا ألا يذبحوها، مع أن ذلك خلاف ترتيب النظم في الآية الكريمة، والذي دفعهم إلى ذلك، أن الآية قد تحدثت عن وقوع الذبح ولا يستقيم القول بأنهم لم يقاربوه بعد إذ فعلوه، ولذلك أولوا الأمر بأنهم قاربوا النفي لغلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة²، وليس في النص ما يدل على أحدهما.

ويؤكد ذلك أن هذه القصة التي بها سميت السورة، جاءت تتويجاً لسلسلة من المخالفات والمعاندات، وكان المتوقع منهم أن يتقوا بعد رفع الطور فوقهم والتنكيل بمن اعتدوا في السبت، [الآيات: 63-66]، بل بعد رؤية الميت ثم بعثه حياً ثم موته مرة ثانية، لكن الواقع الذي ورد في التعليق على قصة البقرة، أن قد قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وحيث لم تتحصل التقوى لديهم وهي الأساس للاهتمام بكتاب الله تعالى، فقد انتهت الآيات إلى تئيس المؤمنين من الطمع في إيمانهم.

¹ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د ط، 1997م، (1/556-559).

² - التفسير الكبير: الرازي، (3/505).

ولهذا فإن قصة البقرة تشير إلى النقاط الآتية:

1. الأمر الإلهي: بداية قصة البقرة، أمر إلهي لبني إسرائيل أوحى به إلى النبي الكريم موسى P، وهذا يتناسب مع الكتابة والتكليف المذكورين في أول السورة وآخرها، والمنبثقين من الإيمان بما أنزل الله على رسوله.
2. التوحيد: وهو أحد أبرز الغايات من الأمر بذبح البقرة، لإخراج تقديسها من قلوبهم.
3. البعث: تتضمن القصة مشهد إحياء لقتيل، يليه تعقيب يهدف إلى ترسيخ إيمان المعانيين، بالبعث والآخرة ك ك ك ز ، ¹ ومعلوم أن أهم أركان الإيمان هما الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.
4. منع سفك الدماء: الأمر بالذبح جاء لمنع التدارؤ حقناً للدماء، والخلافة نقيضها سفك الدماء، كما جاء في كلام الملائكة، حين أخبرهم الله تعالى، بأنه جاعل في الأرض خليفة، فقالوا: ث ي ث ن ن ن ن ث ². وهذا ما يتناغم وينسجم أتم الانسجام مع قصة البقرة.
5. عدم صلاحية بني إسرائيل للقيادة ولا للجنديّة: فقد سبق القول بأن قصة البقرة جاءت في ذروة الحديث عن فساد بني إسرائيل ونكولهم عن الأمانة ونقضهم للعهد مع الله سبحانه، وهي بذلك تؤكد أن هؤلاء القوم لم يعودوا يصلحون لأي خير؛ حتى ولو أتباعاً لأمة محمد E، حيث جاء التعقيب على القصة ميعساً للمسلمين من إيمانهم أو طاعتهم لهم، فقد صارت قلوبهم أقسى من الحجارة: ث و ي ي ي ي ي ³. " أي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آبائهم من البنات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك" ⁴، وقد قرر أول السورة أن الكتاب هدى للمتقين، ولا تتأتى الهداية لقساة القلوب.

¹ -سورة البقرة/ 73

² -سورة البقرة/ 30

³ -سورة البقرة/ 73

⁴ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، المصدر السابق، ص155.

ومن مظاهر الانسجام على مستوى الآية الواحدة الفاصلة التي هي: ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، وهي مما انفرد به القرآن عن النثر والشعر معاً، وتعد من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير¹.

ويراد بالفاصلة: حرف الروي الذي تنتهي به الآية، ويشبه روي قافية الشعراء، أو المقطع الذي تنتهي إليه الآية، أو الجزء الأخير الذي تذيّل به الآية، ويكون أفضل نهاية مناسبة متمكنة لها². إن لما تُختم به الآية قيمة خاصة؛ لكونه يؤدي وظيفة مزدوجة في نظمها: فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتممه، ومن ناحية أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها³، فالفاصلة تقوم بوظيفة بنائية فضلاً عن دورها الإيقاعي، حيث إنها تندمج في نسج السورة المتشابك، وتتمايز منه، وتعمل على أن تكون ناظماً يمسك حدود الآية⁴.

¹ -التناسب البياني في القرآن: أبو زيد أحمد، المرجع السابق، ص 351.

² -ينظر: قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن: الياني نعيم، مجلة التراث العربي، ع 15-16/1984، اتحاد الكتاب العرب دمشق، <http://www.awu-dam.org/trath/ind-turath102.htm>.

³ -التناسب البياني في القرآن: أبو زيد أحمد، المرجع السابق، ص 352.

⁴ -ينظر: قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن: الياني نعيم، المرجع السابق، ص 45.

والناظر في هذه الآيات لن يجد كبير مشقة في الربط بين كل آية وفاصلتها؛ كتأكيد أن نصر الله قريب بعدما مست البأساء والضراء المؤمنين وزلزلوا، حتى يقول الرسول والمؤمنون معه: متى نصر الله؟

فالآية تتحدث عن الخوف والابتلاء الذي تعرض له النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه فجاءت الفاصلة تطمئنهم بأن نصر الله قريب، وقس على ذلك باقي آيات السورة الكريمة، مما يوحي لك بجلاء التناغم الكبير بين موضوع الآيات ووفواصلها وهذا ما أكد عليه جل المفسرين.

المناسبة بين مقاطع سورة البقرة وهدفها

مما ذكره المفسرون وبينوه هو أن السور المدنية لها جملة من الأهداف ترمي إليها، من بينها بناء المجتمع المسلم عن طريق تبيان الشرائع والأحكام، ولو تتبعنا سورة البقرة لوجدناها تخدم هذا الهدف الرئيس.

وعلى الرغم من كون سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم؛ فإن الوحدة الموضوعية فيها والترابط بين مقاطعها، يتجلى غاية التجلي، وهو الأمر الذي عززته المباحث السابقة من هذا الفصل، وحيث تتأكد فيها وحدة البناء على طولها وتعدد قضاياها، وما قد يظهر من النظرة العجلى من عدم الترابط بين أجزائها؛ فإن ذلك يغدو أيسر فيما دونها من السور الأقصر.

يحتل الاستهلال مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء، وأي سورة عندما تستهل بأحد الموضوعات فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النص لفت نظرنا إليه، والجملة الأولى في أي نص تمثل معلماً عليه.

فقد بُدئت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة " ألم "، لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء والإنشاد، كما يقول دراز، بما يوقظ الأسماع ويوجه القلوب، وفيه معنى التحدي والإعجاز بهذا القرآن المكون من مثل هذه الحروف، المبعد لأي ريب عن هذا الكتاب.

ولذلك تبع هذه الأحرف قوله تعالى: **ث ب د پ پ پ پ پ پ پ**؛¹ فالإشارة إلى الكتاب باسم الإشارة الدال على البعيد لبيان كماله وعلو مكانته، إعلاناً أنه ليس في الوجود ما يصلح أن يسمى كتاباً بالقياس إليه، لأنه الحق الذي لا شبهة فيه، ولأنه الهدى المبين الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وإذ تتشوف النفس لمعرفة مواقف الناس من ذلك الكتاب الذي ذاك شأنه، تأتي الآيات التالية لتحدث عن ثلاثة أصناف من الناس: المتقين الذين كان هذا الكتاب لهم هدى حتى لكأنه إليهم أنزل²، ثم الذين كفروا ممن استوى في شأنهم الإنذار وعدمه، ثم المنافقين الذين هم في حقيقتهم كافرون وإن تظاهروا بالإيمان، ولأجل أن هذا الفريق يحاول يدعي الإيمان وليس بمؤمن فقد جاء الحديث عنه في اثني عشرة آية، بينما تحدثت أربع آيات عن المتقين، واثنتان عن الكافرين؛ لظهورهما وخفائهما.

وتمت، هنا، المقدمة بعد أن وصفت القرآن بما هو أهله، "ووصفت متبعيه ومخالفيه كلاً بما يستحقه، ولا ريب أن وصف هذه الطوائف جميعها راجع في المال إلى الثناء على القرآن؛ فإن الشيء الذي يكون متبعوه هم أهل الهدى والفلاح، ومخالفوه هم أهل الضلالة والخسر، لا يكون إلا حقاً واضحاً لا ريب فيه"³.

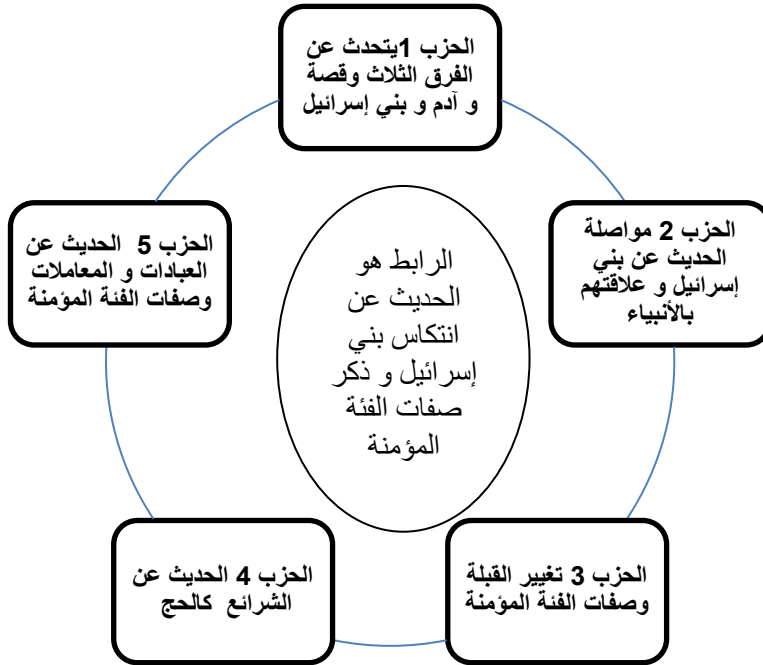
¹ -سورة البقرة/ 02

² -ينظر: النبا العظيم: محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص: 164، 165.

³ - المرجع نفسه، ص 173.

وسنحاول في هذا المخطط تبيان التوافق العظيم بين جميع مقاطع سورة البقرة استلهاما من

تفسير سيد قطب:



ونلاحظ من خلال المخطط أن الرابط بين المقاطع كلها هو محور واحد¹ مزدوج يترابط الخطاب الرئيسان فيه ترابطا شديدا. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيلي من الدعوة الإسلامية في المدينة، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها².

¹- ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، المرجع السابق، ص: 61-62

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

أوجه المناسبات الخارجية لسورة البقرة

المناسبة بين سورتي البقرة والفاحة

إن القول بوجود المناسبات بين السور يعتمد على القول بأن ترتيب السور في المصحف توقيفي لا اجتهادي، ولهذا ذهب الجمهور إلى أن ترتيب السور في المصحف توقيفي¹.

سورة الفاتحة هي أمّ القرآن الكريم جميعه، ومن البدهي أن تكون أمّاً لسورة البقرة على وجه الخصوص؛ كونها التالية لها مباشرة، سيما وقد ذكر السيوطي أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجازه.

وقد استقر ذلك في غالب سور القرآن، طویلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة².

ومما يدل على ذلك يوضحه ما ذهب إليه الحسن البصري في قوله: "لإن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في المفصل ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة"³ وأما أبرز أوجه المناسبة بين السورتين الكريمتين فهي:

الإجمال والتفصيل:

دعاء واستجابة: فإنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم، الذي هو غير طريق الهالكين، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسئول

¹ - من أجل النظر في الأدلة التي تثبت ذلك ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: أ. د. مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص 84.

² - تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي جلال الدين، تحقيق، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ 1986م، ص 65.

³ - المرجع نفسه، ص 74.

إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين: الممنوحين بالهداية حثاً على التخلق بها، والممنوعين عنها زجراً عن قربها¹.

وقال البقاعي في نظم الدرر: "فحصل من هذه السورة بأسرها، يقصد سورة البقرة، بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما عُلِّموا: **ثُ ثُ فِ ثِ** إلى آخر السورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب، إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا، فكأن قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بين شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتكبين هم اليهود الذين بين أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بين أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر مما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، وأن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذ به بما يثمره الخطأ والنسيان، وأن لا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه- إلى آخر السورة"²

ولقد جاء التنويه النبوي بشأن الفاتحة وخواتيم سورة البقرة معاً، وفي وقت واحد، وبأسلوب واحد³، حيث جرى وصفهما بالنورين، وبُشِّرَ قارئهما بأن يستجاب له كل حرف يقرؤه، وذلك فيما روى ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)⁴.

¹-نظم الدرر: البقاعي، 32/1.

²-المرجع نفسه، 556/1.

³-البرهان في نظام القرآن: سبحاني، ص81.

⁴-صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (806).

والجدول التالي بلخص، ما سبق ذكره، من أوجه التناسب بين الفاتحة والبقرة:

البقرة	الفاتحة
آيات 152-186-286	الحمد لله
آيات 21-22-29- وقصة آدم عليه السلام	رب العالمين
آيات 54-126-52-163-286	الرحمن الرحيم
الآية 284	ملك يوم الدين
جميع فروع العبادة وردت في البقرة: "الطهارة، الحيض، الصوم، الحج..."	إياك نعبد
جميع علم الأخلاق، التوبة، الصبر، الرضا...	وإياك نستعين
آيات 142-145-137.	اهدنا الصراط المستقيم
136-137- مع التفصيل في ذكر الأنبياء.	صراط الذين أنعمت عليهم
قصة بني إسرائيل	غير المغضوب عليهم
في ذكر النصارى	ولا الضالين

التناسب بين البقرة وآل عمران

سورة آل عمران هي الثالثة في المصحف بعد سورتي الفاتحة والبقرة، حيث تشترك معها في فاتحتها، وكونهما من الطوال، وقد وصفهما الرسول μ بالزهرابين، وينطبق عليهما القاعدة القرآنية من تفصيل كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، من جهة، وإشارة اللاحقة لما ورد تفصيله في سابقتها من جهة أخرى، قال البقاعي: وكما وقعت إلاحه في سورة البقرة لما وقع الإفصاح به في سورة آل عمران؛ كذلك وقع في آل عمران من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة، ليصير منزلاً

الإيمان بما أنزل الله تبارك وتعالى، والثانية تشبه قوله: **ثُ بَ پَ ثُ**، لكونها دعوة إلى اتباع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه.

ثم إن هذين الأمرين يلتقيان في واجب الأمر بالإيفاء بالعهد، حيث إن بني إسرائيل قد أخذ منهم العهد على لسان رسلهم أن يؤمنوا بهذا القرآن، كما أخذ منهم العهد أن يؤمنوا بهذا الرسول، عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر هذان العهدان في هاتين السورتين عدة مرات؛ فالسورة الأولى دعوة إلى أن يوفوا بعهدهم الأول، كما أن الثانية دعوة إلى أن يوفوا بعهدهم الثاني².

ومن وجوه المناسبة بين البقرة وآل عمران كذلك، هو البقرة بمنزلة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها كثير من المتابيه لما تمسك به النصارى.

ومن ذلك أن الله أوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه³ وقس على ذلك.

ونجمل ذلك في الجدول التالي:

آل عمران	البقرة
تصويرهم في الأرحام	← خلق الناس
مبدأ خلق أولاده	← مبدأ خلق آدم
خلق عيسى من غير أب	← خلق آدم من غير أب و لا أم
الحديث عن النصارى	← الحديث عن اليهود

¹ -سورة آل عمران/ 53

² -ينظر: البرهان في نظام القرآن: سبحاني، ص 641، 642.

³ -ينظر تناسق الدرر في تناسب الصور، السيوطي جلال الدين، تحقيق عبد القادر عطا، المرجع السابق، ص 78 وما بعدها.

المناسبة بين سورة البقرة وموقعها في المصحف

مضى القول، فيما سبق، بتوقيفية ترتيب آي القرآن وسوره، وحيث تقدمت سورتا الفاتحة والبقرة هذا الموكب الكريم من سور القرآن الحكيم، فلا بد من حكم عظيمة لهذا الموقع المتقدم لسورة البقرة، فما هي هذه الحكم؟

لا تكاد تمر صفحات قليلة في سورة البقرة، حتى تأتي قصة بدء الخليقة، في بدايات المصحف، لتجيب على السؤال الفطري: من أنا؟ ولماذا جئت؟ ومن جاء بي؟ وإلى أين أنا ذاهب؟ وما علاقتي بما حولي ومن حولي؟

نعلم بأن البقرة هي أول الطوال، وأطول السور على الإطلاق. والبدء بها يتناسب وعزائم الناس التي تبدأ عادة، قوية، ثم لا تلبث أن تفتر، وبهذا تظهر الحكمة في أن الأجزاء الأخيرة، تتناقص طولاً حتى نرى قصار السور في آخر المصحف.

ومن نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عوناً على تلاوته وحفظه؛ فالناس يبدأون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال¹ إلى المئين² فالمثاني³ فالمفصل⁴، أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدأون بحفظه من آخره لأن ذلك سهل على الأطفال، ولكرّ في كل قسم من الطوال والمئين والمفصل تقديماً لسورة قصيرة على سورة أطول منها، ومن حكمة ذلك أنه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصور؛ أي مقدار الطول والقصر⁵.

¹-الطوال: وهي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، [الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، ص243، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ - 2001م].

²-المئون: السور التي تلي السبع الطوال، وهي من أول الأنفال إلى نهاية السجدة، ما عدا سورة يونس لأنها من السبع الطوال، [الجرمي، ص238].

³-المثاني: السور التي تلي المئين، من أول الأحزاب إلى أول سورة ق، [الجرمي، ص243].

⁴-المفصل: السور التي تلي المثاني، وهي من أول سورة ق إلى سورة الناس، [الجرمي، ص272].

⁵-تفسير القرآن الحكيم/ المنار: رضا، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، ج7، ص287-289.

البقرة أم ثانية للقرآن الكريم

القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل " تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع جملات الفاتحة"¹.

وفي تناسق الدرر يتحدث السيوطي عن أربع سور بدءاً من آل عمران² تفصل في سورة البقرة، فالنساء، ثم المائة والأنعام³؛ ما يعزز فكرة تفصيل ما بعد سورة البقرة لها.

ونجد البقاعي في ختام تفسيره لسورة البقرة يرى بأن " بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبيين أمر النبوة إلى حد ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن، وكان جماع ما في القرآن منضمّاً إلى معانيها إما لما صرحت به أو لما ألاحته وأفهمه إفصاح من إفصاحها، كما تنضم هي مع سائر القرآن إلى سورة الفاتحة فتكون أمّاً للجميع"⁴.

فكلامه واضح في أن جماع ما في القرآن منضم إلى معاني سورة البقرة، وأنها تنضم مع سائر القرآن للفاتحة فتكون أمّاً للجميع، والضمير هنا عائد - كما أفهمه - للبقرة لا للفاتحة؛ لما سبق من قوله في انضمام جماع ما في القرآن إلى البقرة، ولأن كون الفاتحة أمّاً للقرآن ليس بحاجة إلى تدليل، وليس هذا مكان ذكره.

¹-تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي جلال الدين، تحقيق: عبد القادر عطا، المرجع السابق، ص65.

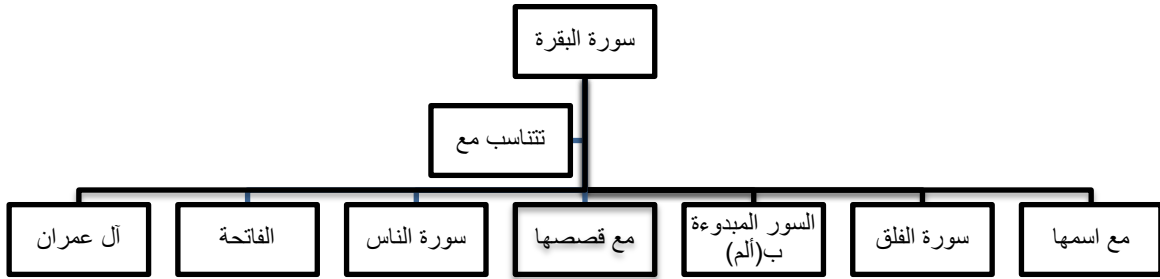
²-سبق الحديث عنه في المناسبة بين البقرة وآل عمران.

³-تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي جلال الدين، تحقيق: عبد القادر عطا، المرجع السابق، (ص75، 80، 85).

⁴-نظم الدرر: البقاعي، 560/1-561.

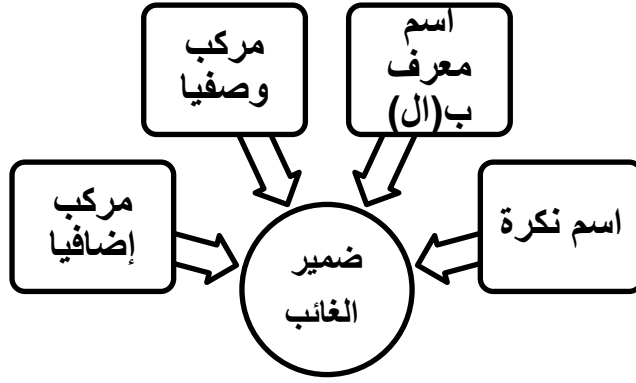
وهكذا نجد أن علم المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض و بين السور يبرز لنا جانبا من إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام الله المنزل على سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم - وليس من عند البشر¹.

ونخلص مما سبق بأن سورة البقرة تتناسب داخليا وخارجيا، وهذا ما يجمله لنا المخطط التالي:



ومما سبق، نلاحظ بأن سورة البقرة تشكل كلا متكاملا رغم طولها وتعدد مضوعاتها، وهذا ما أشار إليها المفسرون في تفسيراتهم، مما يجعلنا نقول بأن المفسرين طبقوا لسانيات النص دون الإشارة إلى المصطلحات.

¹-ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص94.



- 3- (... وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ..)¹
- 4- (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...)²
- 5- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)³
- 6- (وَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).⁴
- 7- (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ). (20آ)
- 8- (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا). (205آ)
- 9- (... وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ). (102آ)
- 10- (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ). (102آ)
- 11- (وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ). (228آ)، من خلال الأمثلة السابقة، نلاحظ بأن الضمائر لا تتطابق تطابقاً كلياً مع الأسماء المنكرة، وتتطابق تطابقاً كلياً مع الأسماء المعرفة ، وهذا ما يؤكد المثال التالي:

¹-سورة البقرة/ 22.

²-سورة البقرة/ 25.

³-سورة البقرة/ 26.

⁴-سورة البقرة/ 101.

12- (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون).¹

فلو نظرنا إلى ما يربط الضمير (هـ) بما يحيل عليه لوجدنا أن هناك تطابقا تاما بين هذا الضمير وبين عنصري المركب الاسمي كلام الله. فالضمير مذكر مفرد وكلا عنصري المركب مذكر مفرد. وعلى هذا الأساس لا يمكن الاستناد إلى هذا المعطى الشكلي لتحديد أي العنصرين يقيم معه الضمير علاقة.

ويقوم الاختلاف بين عنصري المركب الاسمي بدور هام في توجيه العلاقة² دون أن نكون بحاجة إلى الاستعانة بمعطيات السياق كما كان الحال في المثال رقم: 12.

لنتأمل هذه الآيات التي هي كلها من سورة البقرة على تباعد بينها إلا أنها تشير إما إلى شيء لغوي (داخلي) او غير لغوي (خارجي):

13- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها). (آ114)

14- (... ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين). (آ168)

15- (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين). (آ130)

16- (ومن يبدل نعمة الله من بعدها جاءته فإن الله شديد العقاب). (آ211)

17- (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها)³

¹ -سورة البقرة /75

² -ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، مكتبة كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ص281.

³ -سورة البقرة/ 61-62.

18- (... ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتابَ عليكم إنَّه هو التواب الرحيم).¹

19- (أيودُ أحدكم أن تكونَ له جنةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمراتِ وأصابه الكبرُ وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت).²

20- (... ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).³

21- (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن).⁴

و نستنتج من الآيات السابقة أن الضمير إما أن يعود على شيء موجود في الواقع. وهذا ما يعرف بالإحالة الخارجية وإما أن يعود على عنصر لغوي وسمينا ذلك إحالة داخلية.

و الآيات التالية توضح ذلك أكثر:

22- (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين).⁵

23- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكرَ فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين).⁶

24- (ولا جناح عليكم فيما عرضتُم به من خطبة النساء أو اكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا...). (آ 235)

أما المركب الوصفي فارتباط الضمير فيه يكون مع نواة هذا المركب. ومثاله:

¹ -سورة البقرة/ 54.

² -سورة البقرة/ 266.

³ -سورة البقرة/ 74.

⁴ -سورة البقرة/ 187.

⁵ -سورة البقرة/ 168.

⁶ -سورة البقرة/ 144.

25- (ومن حيثُ خرجتَ فولٌّ وجهك شطرَ المسجد الحرام. وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره). (آ 150)

26- (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون). (آ 99)

وخلاصة الأمر فإن الضميرين "هو" و"هي" يجعلان على وحدات يمكن وسمها جنسا وعددا. ولكن الضميرين هما وهم يمكن أن يجيلا على عناصر موسومة ولكن أحيانا أخرى يجعلان على عناصر ترتبط بهذا الضمير بواسطة نوع من العد الرياضي¹. فلو أخذنا مثلا:

27- (... واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى). (آ 282)

28- (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر...). (آ 102)

فإننا نجد في المثال (27) أن "الضمير في يكونا يجيل على شهيدين، وهذا المحيل عليه موسوم شكلا من ناحية العدد (المتنى) وكذلك الحال في هما مع امرأتان. أو بالنسبة للمثال 28 فإن الضمير في كفروا ويعلمون يجيل على الشياطين وهو موسوم شكلا أيضا للدلالة على الجمع"².

ومما يلاحظ أيضا أن هذه الوظيفة لإحالة الضمير ليست شكلية، بل دلالية كذلك، لأن الدلالة في كثير من الأحيان تبقى غامضة، وكذلك تبقى الجمل متناثرة لا رابط يربطها، وبالطبع هذه الجمل تحمل دلالات متناثرة، إلى أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتناثرات و يربط بينها"³ وهذا ما تبينه الأمثلة التالية:

¹ -الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، المرجع السابق، ص 283-284.

² -المرجع نفسه، ص 285.

³ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي إبراهيم الفقي، ج 1، المرجع السابق، ص 164.

29- (وقلنا يا آدمُ اسكنْ أنتَ وزوجُكَ الجنةَ وكلاً منها رغداً حيثَ شئتما).¹

30- (إن الصفا والمروة من شعائرِ اللهِ فمن حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جناحَ عليه أن يطوفَ بهما...)²

31- (يسألونكَ عن الخمرِ والميسرِ قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعٌ للناسِ وإثمُهُما أكبرُ من نفعهما).³

32- (... أم يقولونَ إنَّ إبراهيمَ واسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والاسباطَ كانوا هودًا أو نصارى).⁴

ووجدنا في هذه السورة ظاهرة أخرى، تتمثل في أن الضمير (هما) يجمع بين اسمين يختلفان من حيث العدد، ويظهر هذا في قوله تعالى:

33- (وسِعَ كرسيُّه السماواتِ و الأرضَ ولا يؤوؤدهُ حفظهُما وهو العليُّ العظيم). (آ255)

فقد جمع الضمير (هما) بين السماوات التي هي جمع والأرض التي هي مفرد، وإذا قمنا بـ"كل أمثلة القرآن التي وردت فيهما السماوات والأرض مرتبطة بمسألة الإحالة ووجدنا في المجموع 24 مثالا يمكن تصنيفها في مجموعتين:

¹-سورة البقرة/ 35.

²-سورة البقرة/ 158.

³-سورة البقرة/ 219.

⁴-سورة البقرة/ 140.

المجموعة الأولى: السماوات والأرض ← هما. وعدد أمثلتها 21 مثالا¹ بما فيها المثال 33.

المجموعة الثانية: السماوات والأرض ← هن. وعدد أمثلتها ثلاثة:

34- (قالوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ. قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ). (الأنبياء 55-56)

35- (وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ). (الزخرف 9)

36- (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ الْهَاجِلَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (الأحقاف 33)

ونلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة وجود ميزتين، الأولى هي تحقق العلاقة العددية بين الضمير هن الذي يتكون من (هي+هي+هي+هي+...+ن هي) والوحدتين المعطوفتين السماوات والأرض اللتان تشكلان المجموع (السماوات+السماوات+السماوات+...+ن سماوات)²+(الأرض). أما الميزة الثانية فهي جعل الضمير الذي يحيل على جمع العاقلات كما في قوله تعالى مثلاً:

37- (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرْضِعَهُنَّ)³. (آ 233).

¹ -المائدة/17-18، الحجر/85، مريم/65، الأنبياء/30، الفرقان/59، الشعراء/24، الروم/08، السجدة/04، فاطر/41 الصافات/4-5 ص (10-66)، الشورى/29، الزخرف/85، الدخان/7-38، الأحقاف/03 - ق/38، النبأ/37.

² -العدد، هنا يساوي 7 بتتبع السياقات القرآنية التي تشير إلى سبع سماوات كما في قوله تعالى: « فقضاهن سبع سماوات »

³ -ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 246-247.

38- (والمطلقاتُ يتربصنَ بأنفسهنَّ ثلاثَةَ قروءٍ ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمنَ ما خلقَ اللهُ في

أرحامهن).¹

وما أثار مسألة تنوع الضمير بين "هما" و"هن" رغم وحدة المحيل عليه هو وجود أمثلة في القرآن تخضع للعد وتتطابق عددياً تماماً مع الضمير العائد.

39- (وما خلقنا السماء والأرضَ وما بينهما لَاعِبِينَ).²

40- (وما خلقنا السماء والأرضَ وما بينهما باطلاً).³

ففي المثالين تتحقق العلاقة العددية (1+1) — (2) وتتساوى إحصائياً مع مجموعة الأمثلة من نوع السموات والأرض ← هما

ولكن الأمثلة من نوع 31-32-33 تختلف إذ تعامل فيها الوحدات التي يحيل عليها الضمير معاملة العاقل وتتطابق بذلك مع أمثلة من نوع 35.

و نلاحظ في هذه المدونة أيضاً، أن الضمير يرتبط أيضاً بما ليس هو آدمي، وهذا ما يبرزه جليا المثال التالي:

41- (وما كَفَرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كفروا يعلمونَ الناسَ السحرَ وما أنزَلَ على الملكين

ببابلَ هاروتَ وماروتَ وما يعلمانِ من أحدٍ حتى يقولَا إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر فیتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه).⁴

¹ -سورة البقرة/ 228.

² -سورة الأنبياء/ 216.

³ -سورة ص/ 27.

⁴ -سورة البقرة/ 102.

فالمحيل عليه الملكين موسوم شكلا من ناحية العدد بما يعرف في المصطلح النحوي بعلامة التثنية.

وكذلك نجد في هذه الآيات من نفس السورة:

42- (وما كَفَرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفَرُوا).¹

43- (أو لو كان آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شيئا ولا يَهْتَدُونَ).²

44- (كان الناسُ أمةً واحدةً فبعثَ اللهُ النبيينَ مبشرينَ ومنذرينَ وأنزلَ معهم الكتابَ بالحق).³

ولا بد أن نشير هنا، حينما يتعلق الأمر بالجمع، بأن هناك وحدات لغوية تحمل معنى الجمع ولفظها لفظ المفرد وترتبط مع الضمير عدديا.

لنتأمل:

45- (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعونَ كلامَ اللهِ ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون). (آ75)

46- (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان..). (آ85)

47- (وَدَّ كَثِيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق). (آ109)

¹ -سورة البقرة/ 102.

² -سورة البقرة/ 170.

³ -سورة البقرة/ 213.

لقد كانت الأمثلة "السابقة مؤسسة على الانتقاء لمعالجة مسألة العلاقة بين الضمير وما يحيل عليه. وبينت لنا تلك الأمثلة أن الوسم الشكلي يلعب دورا في تحديد العنصر الذي يرتبط به الضمير خاصة حينما يتعلق الأمر بالمركبات الاسمية. ونريد في هذا السياق أن نقوم بعملية جرد لمختلف الوحدات التي يحيل عليها الضمير"¹.

و ترتبط الضمائر، داخل السورة، بالأسماء الموصولة بطريقتين ، فإما أن يكون الضمير في جملة الصلة الموصول فهو يحيل عليه كما نجد في الأمثلة التالية:

48- (الذين يومنون بالغيبِ ويقيمون الصلاة وممَّا رزقناهم ينفقون...)².

49- (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا...)³.

50- (وما يضلُّ به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)⁴.

51- (بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

52- (... فَيَتَعَلَّمُونَ منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)⁵.

53- (... وليملئ الذي عليه الحق)⁶.

وإما أن يخرج الضمير من حيز جملة الصلة الموصول ، وفي هذه الحالة يستحوذ على السياق كله ، ويرتبط شكلا مع الاسم الموصول مثل:

¹-الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، المرجع السابق، ص290.

²-سورة البقرة/ 03.

³-سورة البقرة/ 17.

⁴-سورة البقرة/ 27.

⁵-سورة البقرة/ 102.

⁶-سورة البقرة/ 182.

54- (إن الذين كفروا سواءً عليهم أندرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون).¹

55- (مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم...). (17آ)

56- (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأثوا بسورة من مثله). (23آ)

57- (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون).²

58- (قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبيس المصير). (126آ)

59- (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم...) (آ 243)

60- (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله). (آ 275)

ومن هنا، فإن الضمير قد يحيل على جملة بأكملها، وقد سمحت لنا بعض معطيات المدونة أن نرصد بعض الأمثلة لهذه الإحالة التي تتجاوز ما يمكن وسمه شكلا:

61- (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه) (181آ)

لقد لفت الانتباه الطاهر بن عاشور إلى هذه الإحالة في الضمير، يقول وهو بصدد تفسير هذه الآية: "الضمائر البارزة في (بدله وسمعه وإثمه ويبدلونه) عائدة إلى القول أو الكلام الذي يقوله الموصي ودل عليه لفظ الوصية وقد أكد ذلك بما دل عليه قوله (سمعه) إذ إنما تسمع الأقوال"³

الأمثلة المشابهة لما سبق نردها فيما يلي:

¹ -سورة البقرة/ 06.

² -سورة البقرة/ 63.

³ -تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج2، ص152.

ونلاحظ كيف استغل السياق لتحديد إحالة الضمير في هذه الآية.

62- (فمن تطوع خيراً فهو خير له).¹

63- (وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم).²

64- (ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم).³

و تجدر الإشارة هنا "إلى أن أمثلة هذا النوع من الإحالة مع الضمير قليلة جدا وهذه الأمثلة التي أوردناها هي الوحيدة في سورة البقرة وهي قليلة جدا قياسا بالإحالة الغالبة في الضمير، ويبدو أن الضمير ينحو نحو الإحالة المحدودة على خلاف أسماء الإشارة كما سنرى لاحقا"⁴.

الأمثلة السابقة كانت تبين الإحالة بالضمير على مستوى الآية الواحدة أو جملة من الآيات، وهذا اتساق مجلي، أم من حيث الاتساق الكلي فإن الضمائر التي تربط بين جميع أجزاء السورة فهي:

الضمير	المُحال عليه	ملاحظة
أنا أو نحن ضمير المتكلم	الله سبحانه و تعالى	إنزال الكتاب-الأمر بالخوف منه...
أنت المخاطب	الرسول صلى الله عليه وسلم	المنزل عليه القرآن
هم	بنو إسرائيل	وقد يأتي السياق بأنتم
أنتم	الفئة المؤمنة	أخذ العبرة من بني إسرائيل...

ومن هنا فإن السورة مرتبطة ارتباطا محكما مما يجعلها تمثل كلا متكاملًا.

¹-سورة البقرة/ 184.

²-سورة البقرة/ 271.

³-سورة البقرة/ 282.

⁴-الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، المرجع السابق، ص 290.

وأما فيما يخص أسماء الإشارة فإن لها دوراً مهماً في ربط أجزاء السور الكريمة، ففي كثير من السياقات القرآنية، داخل المدونة، يحيل اسم الإشارة على سياق موسع ثم يأتي الضمير ليحيل على اسم الإشارة.

65- [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون] أولئك على هدى من ربهم (آ3-5)

66- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين). (آ114)

67- (وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).¹

68- (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر [من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس] أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون). (آ177)

ولئن كانت هذه الأمثلة تتميز بوجود اسم موصول في بداية السياق الذي يحيل عليه اسم الإشارة، وبإمكان المسألة أن تتعلق بتطابق بين الاسم الموصول واسم الإشارة كما هي الحال مثلاً في 66. الذين — أولئك

فإن وجود سياقات موسعة بعد الاسم الموصول يرجح وجود أولئك بدل الضمير.

وفي الآيات التالية بيان أوضح:

69- ([وعد الله المؤمنين والمومنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر] ذلك هو الفوز العظيم) (التوبة72)

¹ -سورة البقرة/ 155-157.

70- (الذين آمنوا وكانوا يتقون [لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة] لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم). (يونس 63-64)

71- (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد). (إبراهيم 18)

72- (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه [خسر الدنيا والآخرة] ذلك هو الخسران المبين). (الحج 11)

73- (قل [إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة] ألا ذلك هو الخسران المبين). (الزمر 15)

74- (وقهم السيئات [ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته] وذلك هو الفوز العظيم). (غافر 9)

نلاحظ في كل هذه الأمثلة أن السياقات التي يحيل عليها اسم الإشارة ذلك تخرج من دائرة الوسم الشكلي كما أشرنا إلى ذلك سابقا. ويتبع اسم الإشارة بضمير يتطابق معه جنسا وعددا.

ونشير في هذا السياق، أيضا، إلى أن ما يعضد هذا المنحى للإحالة المحدودة في الضمير هو عدم إمكانية العبور من السياق الموسع إلى الضمير مباشرة.

الذين آمنوا هو الفوز العظيم.

مثل الذين كفروا ... هو الضلال البعيد.

إن معطيات المدونة تدفعنا إلى الكلام عن مقابلة (آدمي/غير آدمي) في الضمائر أو (عاقل/غير عاقل). فقد "وضعنا أمام أمثلة تقع فيها المفارقة بين الضمير وما يحيل عليه وتعكس بذلك ما أسميناه التطابق الجزئي. يتعلق الأمر في هذا السياق بضمير الغائب فهو أحيانا يحقق علاقة إحالية مستندة إلى التطابق التام"¹ كما في:

¹ -الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، المرجع السابق، ص 296.

96- (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل).¹

97- (... فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين).²

98- (وإذا قال موسى لقومه إن الله يامرکم أن تدبجوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي).³

99- (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا).
(النساء 128)

نلاحظ الأمثلة السابقة أن الوحدات التي يحيل عليها هي في الأمثلة تنتمي إلى عوالم مختلفة:

فالأرض والنار تنتميان إلى عالم الجمادات وتنتمي البقرة وامرأة إلى عالم الأحياء ثم تفترقان من حيث انتماء امرأة إلى الآدميين وانتماء بقرة إلى غير الآدميين. غير أن انتماء هذه الوحدات إلى عوالم مختلفة لا يؤثر في إحالة الضمير "هي" فهو يحيل دون تمييز على كل هذه الوحدات.

يقول سيبويه في هذا السياق: « وهذا في الواحد من الحيوان قليل، وهو في الموات كثير، فرقوا بين الموات والحيوان كما فرقوا بين الآدميين وغيرهم، تقول: هم ذاهبون وهم في الدار ولا تقول جمالك ذاهبون ولا تقول هم في الدار وأنت تعني الجمال..... وهذا النحو كثير في القرآن. وهو في الواحدة إذا كانت من الآدميين أقل منه في سائر الحيوان، ألا ترى أن لهم في الجميع حالاً ليست لغيرهم، لأنهم الأولون وأنهم قد فضلوا بما لم يفضل به غيرهم من العقل والعلم وأما الجميع من الحيوان الذي يكسر عليه الواحد فبمنزلة الجميع من غيره الذي يكسر عليه الواحد في أنه

¹ -سورة البقرة/ 205.

² -سورة البقرة/ 24.

³ -سورة البقرة/ 67-68.

مؤنث. ألا ترى أنك تقول: هو رجل وتقول هي الرجال فيجوز وتقول هو جمل وهي الجمال وهو غير وهي الأعيار فجرت هذه كلها مجرى هذه الجذوع»¹

يبين لنا هذا المقطع لسيبويه أن العربية تقيم معادلة بين الموات والحيوان وتعامل الحيوان معاملة الموات في البنية من نوع ضمير + اسم. لكن ما يجب لفت الانتباه إليه أن هذه البنية يتصدرها الضمير.

والذي يهمنا نحن في سياق الإحالة أولاً والاتساق ثانياً أن البنية تكون بالشكل العكسي أي اسم / ضمير وهذه البنية سمحت لنا بأن نستخلص نتيجة أولى مفادها أن هناك تفريقاً بين الآدميين وغير الآدميين. وبالتالي فالمقابلة التي تخضع لها الإحالة في الضمائر ليست من نوع موات/ حيوان لأن الضمير هي يحيل على الموات وعلى الحيوان غير الآدمي كما تبينه الأمثلة:

105- (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).²

106- (يسألونك عن الأهله قل هي مواقيت للناس والحج).³

107- (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة). (النحل آ8)

وحيثما يتعلق الأمر بالآدميين فإن الضمير هن هو الذي يحيل على الوحدة اللغوية التي تسبقه:

108- (المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). (آ228)

بعد الحديث عن الضمائر ودورها في الاتساق، نطرح السؤال التالي: كيف تتم الإحالة في أسماء الإشارة؟ وكيف يكون المحيل عليه؟ وإذا كانت أسماء الإشارة تعرف على مستوى نظامها

¹ -الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988، ج2، ص: 38-39.

² -سورة البقرة/ 74.

³ -سورة البقرة/ 89.

مقابلة بين القرب والبعد فما أثر ذلك على الإحالة؟ وبعبارة أخرى هل اسم الإشارة يحيل دائما على ما يتناسب معه من حيث دلالاته المسافية؟.

إن أسماء الإشارة لها وظيفة الإحالة الداخلية كما نلاحظه في الأمثلة التالية:

129- (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين).¹

130- (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم). (الإسراء 9)

131- (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (آ 39)

132- (... ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) (آ 63).

133- (أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا...). (آ 85) .

ويعكس استعمال الإشاري في قيمته الإحالية الخارجية دائما علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطب ليتحقق مفهوم الحضور الذي أشار إليه النحاة.

لنتأمل هذه الآيات:

134- (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)²

135- (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا)³

136- (كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) (آ 25)

¹ -سورة البقرة/ 35.

² -سورة البقرة/ 21.

³ -سورة البقرة/ 58.

ولعل المتفحص للاستعمالات التي يكون فيها الإشاري محيلا على الخارج يستطيع أن يلاحظ المسألة بوضوح. لتأمل بعض السياقات القرآنية الأخرى:

137- (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا).¹

138- (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين). (الأنبياء 54-51)

ويستمر سياق المحاورة إلى أن يشير قوم إبراهيم إلى ما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام:

139- (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون).²

140- (قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصناكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جداذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون).

وتثبت لنا معطيات المدونة (سورة البقرة) أن نسبة استعمال أسماء الإشارة في الإحالة الداخلية أكثر منه في الإحالة الخارجية. فمن بين أمثلة استخراجها لم نعثر إلا على أمثلة قليلة تتحقق فيها الإحالة الخارجية. وقد استندنا عليها فيما سبق لشرح هذه الإحالة. أما بقية الأمثلة فتحقق كلها إحالات داخلية.

ولا يتقاسم هذه الإحالة في مدونتنا سوى جزء من أسماء الإشارة بنسب مختلفة نعرضها في الجدول الآتي:

عدد المرات التي استعمل فيها	اسم الإشارة
-----------------------------	-------------

¹ -سورة البقرة/ 126.

² -سورة الأنبياء/ 58-63.

27	أولئك
15	ذلك
09	كذلك
04	ذلكم
09	تلك
64	المجموع

يمثل هذا الجدول مجموع ما استعمل من أسماء الإشارة في سورة البقرة وهي كلها محققة لإحالة داخلية.

غير أن هذه الإحالة الداخلية تنقسم إلى قسمين من حيث خاصية التوسيع. قسم يتقاطع فيه الإشاري مع الضمير من حيث الارتباط بعنصر يمكن وسمه شكلا وقسم آخر لا يخضع فيه ما يحيل عليه اسم الإشارة إلى وسم شكلي. ويتعدى في هذه الحالة المركبات إسمية كانت أو وصفية.

إذا استثنينا اسم الإشارة "أولئك" الذي يرتبط بعنصر من السياق كما رأينا في الأمثلة السابقة فإن بقية الإشارات أي "ذلك" (كذلك، ذلكم) و"تلك" تختلف فيها الإحالة وتصبح إحالة موسعة بآتم معنى الكلمة، أي أن الإشاري يحيل على سياقات لا يمكن وسمها شكلا لأنها تساوي الجملة أو تتعدها.

يحيل اسم الإشارة "ذلك" في الأمثلة التي تمكنا من استخراجها من سورة البقرة على سياقات موسعة تتجاوز ما يمكن وسمه شكلا:

149- (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم [اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون] ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون).¹

¹ -سورة البقرة/ 51-52.

150-)
 في كل هذه الأمثلة يحيل الإشاري "ذلك" على ما لا يمكن وسمه شكلا. ففي المثال الأول
 يحيل على "اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" وفي المثال الثاني على "أفتومنون ببعض الكتاب
 وتكفرون ببعض" وفي المثال الثالث على كل الجملة الشرطية "وإذا طلقتم... بالمعروف".¹

151-) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم
 بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر). (آ 232)

بندرج الإشاري "ذلكم" في سياق المخاطبة، أي في السياق الذي يتحدد فيه المخاطب لغة
 بواسطة أدوات مختلفة. وهو لا يختلف من ناحية الإحالة عن "ذلك" ويحيل أيضا على ما لا يمكن
 وسمه شكلا:

155-) (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) ذلكم خير لكم عند بارئكم). (آ 45)

156-) (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله). (آ 282)

157-) (وإذ نجيناكم من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم)
 وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم). (آ 49)

158-) (وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء وقالت النصرارى ليست اليهود على شيء وهم
 يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم). (آ 113)

159-) (تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون). (آ 187)

¹ -سورة البقرة/ 85.

160- (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة). (219آ)

161- (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين).¹

من المعلوم أن أسماء الإشارة تحكمها ثلاثة أنظمة جزئية تشكل باتحادها نظامها العام. وهذه الأنظمة الجزئية يحكمها مبدأ التقابل. ففي النظام الجزئي الأول نجد تقابلا على مستوى الجنس وفي النظام الجزئي الثاني نجد تقابلا على مستوى العدد. وتتقاطع أسماء الإشارة مع الضمائر في هاتين المقابلتين. وهناك نظام جزئي ثالث يميز أسماء الإشارة ويتعلق بالتقابل المسائي.

<u>قريب</u>	<u>بعيد</u>
هذا	ذلك
هذه	تلك
هذان	ذانك
هاتان	تانك
هؤلاء	أولئك

166- (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون). (51آ-52)

167- (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يرون أشد العذاب). (آ 85)

¹ -سورة البقرة/ 191.

168- (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم). (آ49)

169- (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم).¹

170- (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة). (آ196)

188- (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار).²

حاولنا فيما سبق أن نبين الكيفيات التي تحقق بها الضمائر وأسماء الإشارة الاتساق. وقد أوصلنا فحص مختلف المعطيات المتعلقة بهذا الجانب أن نميز بين نوعين من الإحالة المحققة للاتساق، نوع يحيل فيه العنصر اللاحق على عنصر سابق وهذا الأخير يمكن وسمه شكلا وسمينا هذه الإحالة الإحالة المحدودة وتكاد تكون سمة للضمائر "إذا استثنينا بعض الحالات التي يحيل فيها الضمير إحالة كإحالة الإشاري"³ ونوع يحيل فيه العنصر اللاحق على سياق لا يمكن وسمه شكلا ويكون هذا الأمر هنا متعلقا بإحالة موسعة وهي سمة لأسماء الإشارة.

3- الحذف: يعرف ابن منظور الحذف من حيث اللغة بقوله: "حذف الشيء يحذفه حذفاً، والحجاء يحذف الشعر، من ذلك. والحذافة: ما حذف من الشيء فطرح..⁴

وقال عبد القاهر الجرجاني: " هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيهة بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُّك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبَيِّنْ."¹

¹-سورة البقرة/ 118.

²-سورة البقرة/ 159.

³-الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس، المرجع السابق، ص299.

⁴-لسان العرب: ابن منظور، ج39/1 (مادة حذف).

وهو كما ذكر الزركشي الإسقاط، ومنه: حذفت الشعر إذا أخذت منه، واصطلاحاً: إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل.²

وذكر ابن هشام شروطاً ثمانية للحذف جعل أولها "وجود دليل حالي، أو مقالي، أو صناعي، ومثل لذلك قائلاً: "الدليل الحالي كقولك لمن رفع سوطاً: زيداً بإضمار اضرب، ومنه: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي سلمنا سلاماً، أو مقالي كقولك لمن قال: من ضرب؟ "زيداً"، ومنه: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أو صناعي كما في قولك: "زيدٌ ضربته" وقولك: "ضربني وضربته زيد"³

وقال الزركشي في البرهان: "إنّ من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُمكن من معرفته فيصير اللفظ مُخِلاً بالفهم."⁴

وأضاف النحاة لتلك الشروط أبواباً وضحوا فيها فوائد الحذف، وأسبابه، وأقسامه، وأمثلة متعدّدة على حذف الاسم، والفعل، والحرف، في كلّ أبواب النحو العربي.⁵

أما علماء النص فقد أضافوا إلى أغراض الحذف هذه أثراً واضحاً للحذف في التماسك النصّي، وضح ذلك مع ظهور نحو النصّ في مطلع السبعينات من القرن العشرين، ويعرّف نحو النصّ في أبسط صور التعريفات بأنه منهجٌ من مناهج التحليل اللّغوي، يستشرف المعنى الكلّي للنصّ، ويحلّل الأجزاء والمكوّنات على ضوء النظرة الكلّيّة الشموليّة للنصّ، فالمعنى يتحدّد من خلال النصّ لا من خلال الجملة، ويمكن محلّل النصّ تفسير جملة ما بجملة لاحقة لها أو سابقة عليها، من منطلق القول بكلّيّة النصّ، وقد ارتبط نحو النصّ منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب، والنظر إلى النصّ على أنّه بنية كلّيّة لا على أنّه جمل فرعيّة، وقد تطوّر النحو بظهوره من

¹-دلائل الإعجاز: 146.

²-البرهان: 3/ 115.

³-المعني: (2/ 1242).

⁴-البرهان: (3/ 127).

⁵-ينظر: المعني: 2/ 1242 وما بعدها، وظاهرة الحذف في الدرس اللّغوي.

نحو يحلل الجملة إلى نحو يحلل النَّصَّ، فيتعامل معه بوصفه جملاً وسياقات، وظروفاً وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتصالاً بمجال تحليل النَّصِّ.¹

فهو يهدف إلى دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحويّة وربطها بشبكة الدلالة في النَّصِّ.²

الآيات التي اشتملت على حذف

الآية (2): قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾³

الدليل على المحذوف: ﴿الْكِتَابُ﴾ الآية نفسها.

الآية (3): قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

"هم"

الدليل على المحذوف: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية: 2

الآية (4): قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

"لفظ الجلالة"

الدليل على المحذوف: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية: 3، وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ الأنعام: 32، يضاف إلى ذلك أيضاً سياق الآيات السابقة للآية المستشهد بها.

الآية (7): قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ

وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

"وجعل"

¹ - نحو النَّصِّ والتحليل اللغوي: ص 10.

² - نحو النَّصِّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ص 4.

³ - سورة البقرة/ 02.

الدليل على المحذوف: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ الآية: 7

الآية (11): قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

"لفظ الجلالة"

الدليل على المحذوف: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ الآية: 10

* الآية (13): قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾

"إيماناً"

الدليل على المحذوف: ﴿ آمِنُوا ﴾ الآية نفسها.

الآية (13): قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ مِلْكُمْ آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾¹

"إيماناً"

الدليل على المحذوف: ﴿ أَنْتُمْ مِلْكُمْ ﴾ الآية نفسها.

الآية (17): قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ↓
اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾
"خمدت"

الدليل على المحذوف: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ الآية نفسها.

الآية (18): قال تعالى: ﴿ إِصْمُكُمْ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

"هم"

الدليل على المحذوف: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ الآية: 17

الآية (19): قال تعالى: ﴿ أَوْ ↓ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾

¹ - سورة البقرة / 3-11-07-04-13: "مثلهم كأصحاب صيب"

الدليل على المحذوف : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ الآية:17

الآية(20): قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾¹

" أن يذهب بسمعهم وأبصارهم "

الدليل على المحذوف : ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الآية نفسها

الآية (22): ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾

"جعل"

"هو"

الدليل على المحذوف: ﴿رَبِّكُمْ﴾ الآية:21 و ﴿جعل﴾ الآية نفسها .

الآية (22): ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

" أنه خلقكم والذين من قبلكم "

الدليل على المحذوف : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية:21.

الآية (23): ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

" فافعلوا ذلك "

الدليل على المحذوف: " جواب الشرط الأوّل في الآية نفسها

↓ ↓

¹ -سورة البقرة/17-18-19-20. " ذلك " (الإتيان بسورة من مثله)

﴿ الآية (24): ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾﴾

الدليل على المحذوف : ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾
الآية : 23

﴿ الآية (27): ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾¹

"هم"

الدليل على المحذوف: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ الآية: 26

﴿ الآية (35): ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾
" لتسكن " " أكلاً "

الدليل على المحذوف : " اسكن - كلا " الآية نفسها .

﴿ الآية (40): ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾
" ارهبوا " ²

الدليل على المحذوف: ﴿ فَارْهَبُون ﴾ الآية نفسها

﴿ الآية (41): ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ ↓ ِإِيَّايَ فَاتَّقُون ﴾﴾

اتقوا

الدليل على المحذوف: ﴿ فَاتَّقُون ﴾ الآية نفسها

¹ -سورة البقرة/ 21-22-23-24-27.

² - سورة البقرة/ 40، والآيات 35-41-45-46-47.

الآية (46): ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾

"هم"

الدليل على المحذوف: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الآية:

45

الآية (47): ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَيُّ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾ "اذكروا"

الدليل على المحذوف: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ" الآية نفسها

الآية (49): ﴿وَلَا إِذْ بَخَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾

"اذكروا"

الدليل على المحذوف: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ الآية: 40

الآية (50): ﴿وَلَا إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾

"اذكروا"

الدليل على المحذوف: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ الآية: 40

الآية (51): ﴿وَلَا إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

"اذكروا"

الدليل على المحذوف: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ الآية: 40

الآية (51): ﴿وَأِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾

"إلهاً"

الدليل على المحذوف: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَازٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ طه: 88.

الآية (53): ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (54): ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (54): ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ ↓ ﴾

" إلهاً "

الدليل على المحذوف: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَازٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ طه: 88.

الآية (54): ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ ↓ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾

" ففعلتم "

الدليل على المحذوف: ﴿ فاقتلوا ﴾ ، ﴿ فتاب عليكم ﴾ الآية نفسها.

الآية (55): ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (58): ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (60): ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (60): ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ↓ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

" فاضرب "

الدليل على المحذوف: ﴿ اضرب ﴾ و ﴿ فانفجرت ﴾ الآية نفسها .

الآية (61): ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (63): ﴿ وَ↓ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ↓ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾

وقلنا

اذكروا

الدليل على المحذوف: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40، و"جملة مقول القول

اللاحقة: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ الآية نفسها.

الآية (67): ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية :40

الآية(71): ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ↓ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

" فوجدوها "

الدليل على المحذوف: ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ الآية نفسها؛ لأنّ الذبح لا يتم إلا من بعد أن يحصلوا على البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلّها.

الآية (72): ﴿ وَ↓ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فآذَارْتُمْ فِيهَا ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية :40

الآية (73): ﴿ فَمَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ↓ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

" فضربوه فحيي "

الدليل على المحذوف: ﴿ اضْرِبُوهُ ﴾، ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ الآية نفسها

الآية (74): ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ↓ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾

" هي "

الدليل على المحذوف: ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ الآية نفسها .

الآية(80): ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ↓ فَلَنْ يُخْلِفَ

اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ "إن اتخذتم عند الله عهداً"

الدليل على المحذوف : ﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ الآية نفسها.

الآية (83): ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية :40

الآية (84): ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية :40

الآية (91): ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

" فلم تقتلون أنبياء الله "

الدليل على المحذوف : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ الآية نفسها .

الآية (93): ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ↓ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾

" قلنا "

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية:40، وجملة مقول القول.

الآية (93): ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

" حُب "

الدليل على المحذوف : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الآية نفسها؛ لأنّ الذي يشربه القلب المحبّة

لا نفس العجل.

الآية (94): ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ↓ ﴾

" فتمنوا الموت "

الدليل على المحذوف : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ الآية نفسها.

الآية (116): ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ ↓ لَهُ قَانِتُونَ ﴾
" ما في السماوات والأرض "

الدليل على المحذوف: ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية نفسها

الآية (117): ﴿ ↓ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

" هو "

الدليل على المحذوف : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ الآية: 116

الآية (124): ﴿ وَاذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾

" اذكروا "

الدليل على المحذوف : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الآية: 40

الآية (124): ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَا ↓ مِنْ ذُرِّيَّتِي ↓ ﴾

" اجعل " " إماماً "

الدليل على المحذوف : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ الآية نفسها.

الآية (128): ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ↓ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾

" اجعل "

الدليل على المحذوف : ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ الآية نفسها.

الآية (140): ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ↓ ﴾

" أعلم "

الدليل على المحذوف : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ..... ﴾ الآية نفسها.

الآية (143): ﴿ وَ ↓ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

جعلناكم جعلاً مثل هدايتنا من نشاء.

الدليل على المحذوف: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الآية: 142

الآية (144): ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ↓ قَوْلٌ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ "وحيثما كنت"

الدليل على المحذوف: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ الآية نفسها

الآية (147): ﴿ ↓ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

ما كتموه

الدليل على المحذوف : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية: 146

الآية (150): ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ↓ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾

" فعلنا ذلك "

الدليل على المحذوف : الآيات: 144، 149، 150.

الآية (151): ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾

لَأَتِمَّ نِعْمَتِي إِتْمَامًا مِثْلَ إِرسَالِنَا رَسُولًا مِنْكُمْ

الدليل على المحذوف: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الآية: 150.

الآية 154: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ↓ أَمْوَاتٌ بَلْ ↓ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ

هم

هم

﴿

الدليل على المحذوف : السياق .

الآية (156): ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

هم

الدليل على المحذوف: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ الآية: 155.

الآية (171): ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ↓ صُمُّ

هم

بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

الدليل على المحذوف : السياق.

الآية (184): ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَا ↓ عِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

أفطر فعليه صومُ عِدَّةٍ

الدليل على المحذوف : السياق .

الآية (186): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ↓ فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

فقل لهم

الدليل على المحذوف : السياق.

الآية 196: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَ↓ فِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ

حلق فعلية

نُسُكٍ﴾

الدليل على المحذوف : السياق

الآية (203): ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ↓ لِمَنِ اتَّقَى﴾

جواز التعجيل والتأخير لمن اتقى

الدليل على المحذوف: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ الآية

نفسها.

الآية (213): ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ↓ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾

فاختلفوا

الدليل على المحذوف: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

الآية نفسها.

الآية (219): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُل ↓ الْعَفْوَ﴾

ينفقون

الدليل على المحذوف : ﴿ماذا ينفقون﴾ الآية نفسها.

الآية (221): ﴿وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَاؤُ اعْجَبْتُمْ ↓﴾

فالمؤمنة خير

الدليل على المحذوف : ﴿وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ﴾ الآية نفسها.

الآية (221): ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ↓﴾

فالمؤمن خير

الدليل على المحذوف : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ﴾ الآية نفسها.

الآية (234): ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

أزواج

الدليل على المحذوف : ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الآية نفسها⁽¹⁾

¹ - ليتّم التوافق بين المبتدأ "الذين" والخبر "يتربصن"، كان لا بدّ من تقدير مضاف محذوف، أي: أزواج الذين يتوفون يتربصن، وقد دلّ على هذا المحذوف قوله: ويذرون أزواجاً. طالع الجدول في إعراب القرآن: 494 / 2.

الآيتان (238، 239): ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فإِجْرَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴾

صلّوا

الدليل على المحذوف: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ الآية: 238.

الآية (240): ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ↓ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾

يتركون

الدليل على المحذوف: السياق.

الآية (260): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ

اذكر

↓ ﴿ وَمَنْ تُوْمِنَ قَالَ بَلَى ↓ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

تسأل آمنت سألتك

الدليل على المحذوف: السياق.

الآية (261): ﴿ مَثَلُ ↓ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ

إنفاق

الدليل على المحذوف: السياق؛ لأنّ الذين ينفقون لا يشبهون بالحبة بل إنفاقهم.

الآية (272): ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَهَا أَنْفُسُكُمْ ﴾

هو

الدليل على المحذوف: السياق.

الآية (280): ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَلْينظِرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾

الواجب

الدليل على المحذوف : السياق.

الآية (282): ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَلَرجُلٍ وَاِمْرَأَتَانِ﴾

الشهود

الدليل على المحذوف : السياق.

الآية (283): ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَلَرهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾

الوثيقة

الدليل على المحذوف : السياق

وضح من خلال آيات سورة البقرة أثر الحذف في تحقيق الترابط بين الآيات الكريمة، من خلال تقدير المحذوف وبالتالي تكراره، ثم المرجعية التي تربط بينه وبين الدليل. ففي الآية الثانية ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، هدى : خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو "، والدليل عليه "الكتاب" في الآية نفسها، وهي مرجعية داخلية، فالعناصر المذكورة (التقدير، والتكرار من بعده، والمرجعية) ساهمت في الربط بين جمل "جاء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق" ¹ ف" ذلك الكتاب" جملة، و"لا ريب فيه" جملة ثانية، و"هدى للمتقين" جملة ثالثة، تم الربط بين الثانية والأولى بإحالة الضمير في "فيه" إلى الكتاب، وتم الربط بين الثالثة والأولى بتقدير محذوف "هو" العائد إلى الكتاب، ومن ثم ظهر دور تلك الوسائل في ترابط النص.

يلاحظ ذلك أيضاً على الآية الثالثة حيث قدر محذوفاً "هم الذين يؤمنون بالغيب" وهو ضمير عائد على "المتقين" في الآية الثانية، فتماسكت الآيتان الثانية والثالثة.

¹ - الكشاف، الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، دار الفكر، سوريا، ط1، 1977م، 1 / 37

وفي الآية الرابعة حذف الفاعل ببناء الفعل " أنزل " للمفعول، فإذا قدر فهو عائد على الضمير في الآية السابقة ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾، وقد صرح به في آي أخر كقوله: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ الأنبياء:10.

وبالحذف هذا يتم التماسك بين الآيتين بالتكرار والمرجعية، " وهذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة " أنزل " مبنياً للفاعل، كما تقول: الملك أمر بكذا، ورسم بكذا؛ وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا يقدر عليه إلا الله، كقوله تعالى: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ هود:44¹

وفي قراءة عاصم² للآية السابعة نصب " غشاوة " وذلك في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَدَاتٌ عَظِيمٌ ﴾، والنصب على إضمار فعل كأنه قال: " وجعل على أبصارهم غشاوة " ³، والدليل على هذا الإضمار دلالة ما سبق " ختم " وهو موافق لمعنى " جعل " كما قال الشاعر:

علفتها تبناً وماء بارداً حتى غدت همالةً عيناها⁴

يعني : وسقيتها ماءً بارداً، وقول الآخر:

¹ - البرهان: 3 / 163

² - ينظر: القراءة في كتاب القراءات السبعة: ابن مجاهد، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، ص140.

³ - التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق علي محمد الجاوي، عيسى الباي الحلبي، القاهرة، د.ت، 23.

⁴ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدينحالة، غير مفهرس، دار الكتب العلمية، 3 / 159 والخصائص لبن الجني، تحقيق علي محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 2 / 431، 1406هـ / 1986م.

إذا ما الغايات برزن يوماً وزججّن الحواجب والعيونا¹

أي وكحلن العيون.

وإضمار الفعل هذا أثار الذهن في تقدير المحذوف والبحث عن دليل سواء أكان داخل الآية " ختم " أم في سورة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ سورة الجاثية: 23، مما يرجح أثر الحذف من خلال التقدير ليس فقط في ترابط الجمل داخل السورة الواحدة بل ترابط آيات القرآن الكريم كله .

ومن نماذج حذف الجملة قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حيث حذف جواب " لما " والتقدير: فلما أضاءت ما حوله طفئت² أو خمدت، والدليل موجود بالآية نفسها ﴿ذهب الله بنورهم﴾ والمرجعية داخلية لاحقة، وهذا يزيد من تماسك الجمل، يقول الزمخشري في كشافه: " فإن قلت: أين جواب لما ؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أنّ جوابه ذهب الله بنورهم، والثاني أنّه محذوف كما حذف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ سورة يوسف: 15، وإمّا جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدلالة عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات، لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت، فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار؛ فإن قلت: فإذا قدرّ الجواب محذوفاً فبمّ يتعلق ذهب الله بنورهم ؟ قلت: يكون كلاماً مستأنفاً، كأنهم لما شُبّهت حالهم بحال المستوقد الذي طَفِئت ناره اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد، فقيل: ذهب الله بنورهم"³

الآيتان 51، 54: أثار حذف المفعول الثاني " إلهاً " من قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ...﴾، ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ...﴾ الذهن في البحث عن دليل ومرجعية لذلك المحذوف، فإذا الدليل في

¹-الهمع: 2/ 182، 3/ 159، الخصائص: 2/ 432.

²-التبيان في إعراب القرآن : 1/ 26.

³-الكشاف: 1/ 72.

قصة سيدنا موسى عليه السلام بسورة طه السابقة النزول بمكة، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِي﴾، وفيها فصلت قصة اتخاذ بني إسرائيل العجل وعبادته في غيبة موسى - عليه السلام - عندما ذهب إلى ميعاد ربه عند الجبل، وفي سورة البقرة يذكرهم بها فقط، وهي معلومة لديهم. وهذا يدلنا على أثر تقدير الحذف وبيان مرجعيته في إظهار التماسك النصي في القصص القرآني وفي آيات القرآن الكريم.

الآية 54: في قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة محذوفة تقديرها " ففعلتم "، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ حيث تدل على أنها توبة عبدة العجل، وإنما امتحنهم الله عز وجل بعبدة العظمة بكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام¹. يقول الزمخشري: " المعنى اعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم"². ودليل آخر على المحذوف وهو لاحق قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن التوبة لا تتم إلا بتنفيذ ما أمر الله به، وهو قتلهم أنفسهم، " ولقد وردت الروايات عن تلك الكفارة العنيفة، وإنه لتكليف مرهق وشاق أن يقتل الأخ أخاه، فكأنما يقتل نفسه برضاه، ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن منكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذا لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام؛ وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيتهم، وهنا تدركهم رحمة الله بعد التطهير: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾³

وفي الآيات " 40 - 103 " نداء علوي جليل إلى بني إسرائيل يذكرهم بنعمته تعالى عليهم ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهدهم معهم، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾، ثم يبدأ في تذكيرهم بنعم الله التي أسبغها عليهم في تاريخهم الطويل، مخاطباً الحاضرين منهم كما لو كانوا هم الذين تلقوا هذه النعم على عهد موسى - عليه السلام - وذلك باعتبار أنهم أمة واحدة متضامنة الأجيال، ويستحضر أمام

¹-معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/ 137.

²-الكشاف: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، المصدر السابق، 1/ 131.

³-في ظلال القرآن: سيد قطب، المصدر السابق، 2/ 71، 72.

خيالهم مشهد نجاتهم من فرعون وملئه كأنه حاضر، ومشهد النعم الأخرى التي ظلت تتوالى عليهم من تظليل الغمام إلى المن والسلوى إلى تفجير الصخر بالماء، ثم يذكرهم بما كان منهم بعد ذلك من انحرافات متوالية، ولقد أدى الحذف أثراً هاماً في بناء هذا المقطع "40 - 103" حيث بدأ في الآية الأربعين بتذكير بني إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ثم استخدم النصّ القرآني " إذ - وهي مفعول به لفعل محذوف تقديره " اذكروا " العائد على " اذكروا " الآية (40) - في تذكير بني إسرائيل بتلك النعم طوال المقطع، فجاءت بالشكل الآتي :-

وإذ نجيناكم من آل فرعون: 49

وإذ فرقنا بكم البحر : 50

وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة : 51

وإذ آتينا موسى الكتاب: 53

وإذ قال موسى لقومه: 54

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك: 55

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية : 58

وإذ استسقى موسى لقومه : 60

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي "40"

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد: 61

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور : 63

وإذ قال موسى لقومه: 67

وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها " 72

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل " 83

وإذ أخذنا ميثاقكم " 84 "

وإذ أخذنا ميثاقكم " 93 "

ثم يمضي القرآن الكريم في كشف دسائس اليهود وكيدهم للإسلام والمسلمين، وذلك في الآيات من "104-122"؛ ليهتف بني إسرائيل الهتاف الأخير بعد استعراض تاريخهم مع ربهم ومع أنبيائهم، وبعد الالتفات عنهم إلى خطاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وخطاب المؤمنين، هنا يجيء الالتفات إليهم كأنه الدعوة الأخيرة، فيكرّر لهم الدعوة ذاتها التي وجهها لهم في أول الجولة، ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية: 122.

فالدليلُ إذاً على الفعل المحذوف الناصب لـ "إذ" في خمسة عشر موضعاً سابقاً ولاحقاً، وهو يؤكد أنّ الحذف من خلال الدليل، والتكرار، والمرجعية العائدة على بداية المقطع القرآني (الآية: 40)، ونهايته (الآية: 122) له أثره الواضح في الترابط النصّي وتماسك القصص القرآني.

وصلنا في الملاحظة السابقة إلى أنّ الآيات القرآنية حتى الآية 122 كان الحديث فيها متضمناً سيرة بني إسرائيل ومواقفهم من أنبيائهم وشرائعهم، ابتداءً من عهد موسى عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وفي مقطعٍ تالٍ لهذه المقاطع، وهو الآيات "124-140" يرجع السياق إلى مرحلة تاريخية أسبق من عهد موسى، يرجع إلى إبراهيم عليه السلام.

فإذا الحذف يؤدي وظيفة هامة في ترابط المقاطع القرآنية، حيث تبدأ الآيات بقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ فحذف الفعل "اذكروا" الناصب لـ "إذ" العائد على الفعل في الآيتين ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾: 122، 40، فكأنّ هذا الحذف تنبيهٌ واضحٌ للقارئ لما بين هذه المقاطع من ترابط، حتى لا يُظنّ مع بداية قراءة هذا المقطع أنّه منفصلٌ عن سابقه، وأنّه لا علاقة بين قصّة بني إسرائيل وقصّة سيدنا إبراهيم، ثمّ كررت "إذ" مرّات عدّة بعد بداية المقطع لتأكيد هذا الترابط، فإذا كان اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وإذا كانت النصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ الآية: 111، فإنّ الآيات جاءت تذكّر بني إسرائيل بأنّ الجنة لن تكون لمجرد أنهم أبناء إبراهيم وحفدته، وإنّما من استقام على العقيدة فهو وريثها وورث عهودها، ومن فسق عنها ورغب بنفسه عن ملة إبراهيم، فقد فسق عن عهد الله.

والآيات التي جاءت تذكّر بني إسرائيل بالوحدانية والعقيدة من خلال قصّة سيدنا إبراهيم مستخدمة "إذ" للربط بينها وبين ما سبق من المقاطع القرآنية هي:

1 - ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ 124.

2 - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَنُحِذُّوهُم مِّن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ 125.

3 - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿126﴾.

4 - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿127﴾.

5 - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿131﴾.

اشتمل الجزء الأول من سورة البقرة الآيات (1 - 141) على ثلاث قصص قرآنية، قصة سيدنا آدم " 30 - 39 " وقصة بني إسرائيل " 40 - 123 " وقصة سيدنا إبراهيم " 124 - 140 "، والملاحظ من خلال بيان الحذف و أثره في تماسك تلك الآيات أنّ الغالب عليها هو حذف الجملة، خاصّة الجملة الفعلية:

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿35﴾.

لتسكن

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿49﴾.

" اذكروا " حيث تكرر حذفها في العديد من الآيات القرآنية

وقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ↓ فَاَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿60﴾

" فضرِب "

*وقال سبحانه: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ↓ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿71﴾

" فوجدوها "

* وقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ↓ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى﴾ 73

فضربوه فحيي

وبقدر ما يكشف الاتكاء على حذف الجملة الفعلية عبر القصص القرآني عن تتابع الأحداث وازدحامها، فإنه يكشف أيضاً عن طبيعة القصص القرآني، حيث الميل للحذف اعتماداً على السياق اللغوي للأحداث القصصية، أو اكتفاءً بالإشارة لهذه الأحداث لورودها في آيات قصصية أخرى من القرآن الكريم، وهذا كله يكشف دور الحذف ليس فقط في تماسك آيات السورة الواحدة حيث إثارة الذهن في البحث عن تقدير المحذوف، ودليله، ومرجعياته، ومن ثمّ اكتمال أحداث القصة القرآنية، بل أيضاً في بيان تماسك آيات القرآن الكريم عامة، وأحداثه القصصية خاصة .

في بداية الجزء الثاني من سورة البقرة (142 - 152) اقتصر الحديث على حادث تحويل القبلة فجاءت الآيات تشير إلى قبلة واحدة تجمع المسلمين وتوحد بينهم فأمرتهم بالاتجاه شطر المسجد الحرام، جاء ذلك في ثلاث آيات في المقطع المذكور:

1- قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ الآية: 144.

2- قال تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية: 149.

3- وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ الآية: 150

وفي الآية الأخيرة " 150 " كان للحذف أثرٌ في تماسك المقطع القرآني من خلال ربطه للآيات الثلاث المشتملة على أوامر التوجه للقبلة، قال سبحانه: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ والتقدير: فعلنا ذلك، أي أنّ الله قد عزفكم أمر الاحتجاج في القبلة مما قد بينه سبحانه وتعالى في الآيات السابقة، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ .

*الآيتان "184، 196": ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾،
و﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾

في هاتين الآيتين محذوفات تقديرها: " فمن منكم مريضاً أو على سفرٍ فأفطر فعليه صوم
عدّة من أيامٍ أُخر." "

و"فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق فعليه فدية." "

ولقد ساهمت هذه المحذوفات في تحقيق تماسك النصّ من خلال ملء الفراغات (مواضع
الحذف) وتقديرها، ومن ثمّ وضوح المعنى وما يترتب عليه من أحكام شرعيّة، فظاهر الآية قبل
التقدير: أنّ صيام عدّة من أيامٍ أُخر واجبٌ على المريض أو على المسافر سواء أكان مفطراً أو
صائماً، وأنّ الفدية واجبة على المريض أو من به أذى وإن لم يحلق، وليس ذلك بمراد، وإتّما يجب
الصيام في حالة الفطر، والفدية في حالة الحلق. يفهم ذلك بعد تقدير المحذوف " فمن كان منكم
مريضاً أو على سفرٍ فأفطر " و " فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق "

ومما سبق يظهر لنا دور الحذف في تحقيق الترابط النصّي لتلك الآيات من إثارة الذهن في
تقدير المحذوف وملء فراغات في النصّ ينتج عنها تكرار واضح بين الدليل المذكور وبين العنصر
المحذوف، والمرجعيّة العائدة إلى المذكور، يلمس معها المتلقي ترابطاً واضحاً بين جمل النصّ .

الوصل ودوره في اتساق سورة:

إن الحديث عن أداة الوصل في سورة البقرة يتطلب منا تتبع جميع حروف العطف التي زحرت بها السورة، وذلك تبيان دورها في اتساق نص السورة، وبالتالي فهم سر التماسك الشديد فيها.

وقد احتل موضوع الوصل مكانة رفيعة بين المباحث البلاغية، وكان له شأن عند الضالعين من أهل اللغة، ولكونه دقيق المسلك، لطيف المآخذ؛ جعله بعضهم حداً للبلاغة وقصرها عليه، حينما سئل: ما البلاغة؟ فقال معرفة الفصل والوصل¹.

هذا وقد ذكر السكاكي حينما تعرض لهذا الموضوع في كتابه "مفتاح العلوم" كلاماً يفصح عن أهمية هذا الفن من فنون البلاغة، إذ يقول: "وإنها لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطائه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وأن لك في إبداع وشيها اليد الطولى، وهذا فصل له احتياج إلى تقرير وافٍ، وتحرير شافٍ².."

والتنبية إلى لطائف الفصل والوصل، ومعاهد البلاغة فيهما؛ امتلاً به تفسير أبي السعود، وقد ورد منه في تفسيره سورة البقرة شئ كثير. من ذلك، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ () وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)" البقرة: ٣ - ٤، يتكلم عن العطف الذي يصل الجملتين في الآيتين الكريمتين، إذ إن الأصل أن العطف يقتضي التغاير، فهل الأمر كذلك في هذا النص؟

يجيب أبو السعود مبيناً السر في وجود حرف العطف بقوله: "ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجاً تحت المتقين، ولا يكون توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات؛ بل لاختلاف الصفات.. للإيدان بأن كل واحد من الإيمان بما أشير إليه من الأمور الغائبة، والإيمان

¹- ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان: فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط2، 1996م. ص 392.

²-مفتاح العلوم: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص357.

بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير، مستتبع لأحكام جملة، حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل، ولا يجعل أحدهما تنمة للآخر.¹ ثم إذا انتهى من تقرير هذا؛ استطرد إلى بيان اللطائف والفوائد في اقتران كل من الصفات في سياق واحد مع أخواتها، فقال: "وقد شفع الأول - وهو الإيمان بالغيب - بأداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المدرجة تحت تلك الأمور المؤمن بها تكملة له، فإن كمال العلم بالعمل. وقرن الثاني - وهو الإيمان بالكتب - بالإيقان بالآخرة مع كونه منطوياً تحت الأول تنبيهاً على كمال صحته، وتعريضاً بما في اعتقاد أهل الكتابين من الخلل.²" هذه هي الطريقة التي اعتمدها، أيضاً، صاحب (مفاتيح الغيب) في تفسيره، ومن الأمثلة التي تبين دور الوص في ربط أجزاء السورة ربطاً محكماً ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ (43)"³.

حيث بين بأن الله " لما أمرهم بالإيمان أولاً ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانياً، ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية"⁴.

ثم ذكر هناك جملة من المسائل على رأسها، رد على قول القائلين بأنه "لا يجوز تأخير بيان الجمل عن وقت الخطاب قالوا إنما جاء الخطاب في قوله: { وأقيموا الصلاة } بعد أن كان النبي صلى الله عليه وسلم وصف لهم أركان الصلاة وشرائطها فكأنه تعالى قال: وأقيموا الصلاة التي عرفتموها والقائلون بجواز التأخير قالوا: يجوز أن يراد الأمر بالصلاة وإن كانوا لا يعرفون أن الصلاة ما هي ويكون المقصود أن يوطن السامع نفسه على الامتثال وإن كان لا يعلم أن المأمور به ما

¹- تفسير أبي السعود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1993م، 46/1.

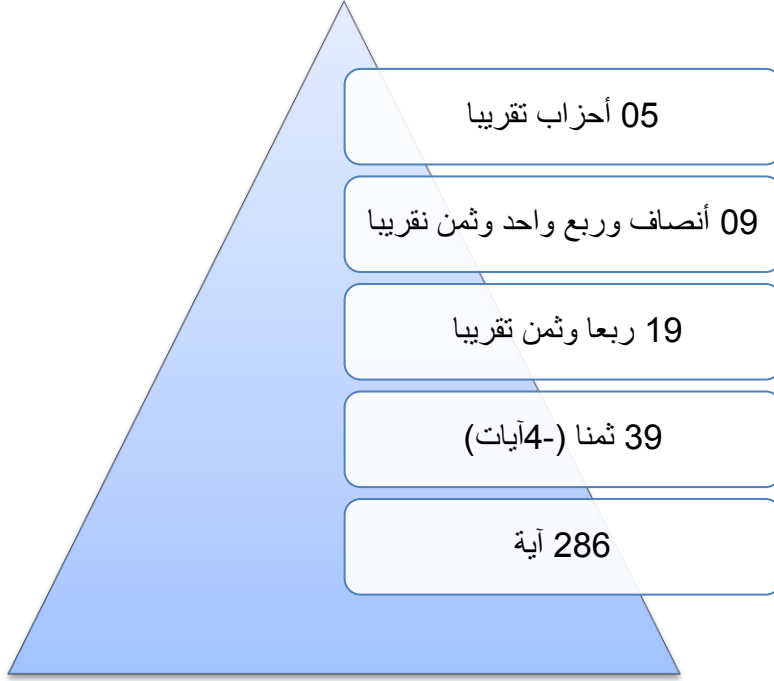
²- المرجع نفسه، 46/1.

³- سورة البقرة/ 43.

⁴- مفاتيح الغيب: تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، دار الفكر، 1401هـ/1981م، ص 69.

هو كما أنه لا نزاع في أن يحسن من السيد أن يقول لعبده: إني أمرك غداً بشيء فلا بد وأن تفعله ويكون غرضه منه بأن يعزم العبد في الحال على أدائه في الوقت الثاني¹.

وسنحاول في هذا المخطط تبيان الترابط بين أجزاء البقرة آية آية و ثمنا ثمنا و ربعا ربعا ونصفا نصفاً و حزبا حزبا



وكل هذه الأجزاء تجمع بواسطة حروف العطف أو أسماء الإشارة أو عن طريق المعنى.

الاتساق المعجمي: ونحاول في هذا السياق أن نتناول الاتساق المعجمي، وقد أشرنا سابقاً ونحن نعرض نظرية هاليداي في الاتساق أن التعامل مع المعجم يختلف عن التعامل مع وحدات تشكل قوائم منتهية كالضمائر وأسماء الإشارة.

ومن ثم فإن خاصية التنوع والاتساع بقدر ما تسمح للمتكلم أن ينشئ علاقات مختلفة بين الوحدات المعجمية بقدر ما تصبح المسألة متسمة بشيء من الصعوبة بالنسبة للمتلقي.

¹-مفاتيح الغيب: الرازي، المصدر السابق، ص69.

وقد يتحقق الاتساق بواسطة المادة اللغوية بصور مختلفة استنادا إلى ما تسمح به اللغة من مرونة في الاشتقاق. وتقوم خاصية الاشتقاق هذه بدور كبير في تسهيل الروابط الاتساقية بين مختلف الوحدات المعجمية التي تظهر في السياقات اللغوية وتتقاطع في المادة الاشتقاقية. لننظر إلى البعض من هذه الأمثلة:

206- (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون). (آ11-12)

207- (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون). (آ15)

208- (ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم). (آ45)

209- (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

210- (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا). (آ102)

211- (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم). (آ145)

212- (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين). (آ153)

1- التكرار:

تعريف التكرار:

التكرار لغة: هو مصدر كَرَّرَ أو كَرَّرَ " والكاف والراء أصل صحيح يدلّ على جمع وترديد . من ذلك : كَرَّرْتُ ، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى ... والتكرير كالحشرجة في الحلق، سمي بذلك لأنه يرددّها ... والكُرُّ حبل، سمي بذلك لتجمع قواه . والكُرُّ الحسي من الماء، وجمعه كرار ... ومن الباب الكِرْكِرَة : رحي زور البعير . والكِرْكِرَة الجماعة من الناس . والكِرْكِرَة : تصريف الرياح للسحاب، وجمعها أياها بعد تفرّق" ¹.

وجاء في مختار الصحاح أن: " الكر بالفتح الحبل يصعد به على النخلة، والكرة المرة، والجمع الكرات، والكر الرجوع ... وكر الشيء تَكْريرا وتكرارا أيضا بفتح التاء، وهو مصدر وبكسرهما وهو اسم " ².

وقد أورد الزمخشري لهذه الكلمة مجموعة من المعاني المرتبطة بها استقاهها من كلام العرب، وهي تدور كلها حول معنى واحد عام ومشارك، هو الإعادة والترديد ، من ذلك: "ناقة مكررة، وهي التي تحلب في اليوم مرتين. والتكرير وهو الصوت في الصدر الذي يشبه الحشرجة... الخ" ³.

¹ -معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، المصدر السابق، ص 872.

² -مختار الصحاح: الرازي، المصدر السابق، ص 291.

³ -أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1979، ص 389 - 390.

أما من حيث الاصطلاح فقد جاء في معجم الكليات بأن " التكرار في البديع هو أن يكرر المتكلم اللفظ الواحدة باللفظ والمعنى ... لغرض من الأغراض " ¹ وعرفه ابن الأثير بقوله: " هو دلالة لفظ على المعنى المردد " ².

لكن كما يبدو أن هذين التعريفين تعوزهما الدقة ؛ لأن الملاحظ أن التكرار لا يقتصر على الكلمة في حد ذاتها، ولكنه يمتد ليشمل جميع مستويات الكلام.

ولعل تعريف ابن القيم لهذا المصطلح أكثر وضوحا من التعريف السابق لأنه لا ينظر إليه من جانب واحد وإنما ينظر إليه من جوانب عدة فيعرفه بقوله: (وحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده، سواء كان اللفظ متفق المعنى، أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده) ³.

التكرار **Répétition** هو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صورته فنجد في الموسيقى بطبيعة الحال كما نبجده أساسا لنظرية القافية في الشعر. ⁴

أغراض التكرار في القرآن الكريم ودواعيه.

ما هي دواعي التكرار في القرآن الكريم ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا القيام بعملية مسح لكل المواضع التي ورد فيها التكرار، وتحديد الغرض في كل موضع، ومثل هذا العمل يحتاج إلى بحث خاص ومستقل، ولذلك آثرنا أن نكتفي بأهم هذه الأغراض.

¹ -الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص 297.

² -المثل السائر: ابن الأثير، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1999، ج2، ص 146.

³ -الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان (دت)، ص 111.

⁴ -ينظر: معجم المصطلحات العربية والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، المصدر السابق، ص 118.

وقبل الشروع في ذلك لابد من الإشارة إلى أن هناك ترابطا وثيقا بين أغراض التكرار، ومقاماته، بحيث يتعدّد الفضل بينهما، ولن نكون مجانبين للصواب إذا قلنا بأن الغرض هو عنصر من عناصر المقام.¹

ولقد أشار ابن جني في معرض حديثه عن التكرار إلى هذه العلاقة التي تربط بين المقام والغرض في باب أسماه " باب في الاحتياط " حيث يقول في هذا الصدد: "واعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له"²

" وتمكين المعنى والاحتياط له هو عبارة جامعة، يمكن أن يندرج تحتها كل ما ذكر، ويذكر من أغراض التكرار في كلام المفسرين، والبلاغيين والنقاد....ويمكن عدّه نكتة عامة لأسلوب التكرار كما يمكن أن يتسع لكل ما يندرج تحت أغراض التكرار، ومقاماته".³

وهناك أغراض ودواعي كثيرة في القرآن الكريم تستدعي مثل هذا النمط من الأسلوب، وتقتضي اللجوء إليه، ويمكن حصر هذه الأغراض في ما يأتي :

من المفاهيم الأساسية في معالجة النص الأدبي، فهو وسيلة مهمة في اكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية في التداوليات الأدبية، ويمكن أن يتمظهر العنصر المكرر في أشكال مختلفة، فإما أن يكرر الدال مع مدلول واحد، وإما أن يكرر مع مدلول يتحقق من جديد في كل مرة أو يتكرر المدلول الواحد مع دالات مختلفة، مما يؤكد السمة البنوية للتكرار في النصوص⁴، إلا أن دراسة الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي بل يعنى المحلل بإبراز أدبية الظاهرة في ضوء جدلية الثابت والمتحول ووظيفتها الخطابية من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات، ويميز علماء اللسانيات النصية بين التكرار التام والجزئي الذي يقوم على استعمال المختلف للجذر اللساني للمادة المعجمية نفسها ويعد هذا النوع بالذات من أهم الآليات اللسانية

¹ - ينظر: التكرار بلاغة: إبراهيم الخولي، الشركة العربية لطباعة والنشر القاهرة، مصر، 1993، ص 100.

² - الخصائص: ابن جني، ج3، المصدر السابق، ص 101.

³ - التكرار بلاغة: إبراهيم الخولي، المرجع السابق، ص 100.

⁴ - M. Frederic, la répétition, étude linguistique, niemayer, 1985.

التي تحقق الوظيفة الإقناعية في النصوص الحجاجية¹، بالإضافة إلى تكرار الترادف في مستوى اللفظة أو العبارة، كما يكون التكرار في مستوى البنيات الموزونة بعدد معين²، وتجانس الصوائت... فإذا كانت هذه التكرارات ملامح دالة على أدبية النص فإنها من ناحية أخرى بنى تسهم في تناسق المقاطع المتجاورة وتحقيق نصيتها، كما أن التكرار الإيقاعي المتناسق المميز للقصيدة يشيع فيه لمسة عاطفية وجدانية تحققها تكرارات المتواليات اللفظية والتركيبية مما يجعل لدى المتلقي قدرة على التأويل والتأمل بشكل جد فعال، وهذا ضرب من ضروب الانسجام الوجداني بين النص والمتلقي³

مظاهر التكرار الصوتي في القرآن الكريم.

يعدّ التكرار الصوتي من أهم المميزات النصية التي يتميز بها القرآن الكريم عن غيره من الأساليب البشرية، وقد أضفت عليه هذه السمة اللغوية رونقا وجمالا لا نظير له.

ويدرج بعض الباحثين التكرار الصوتي ضمن مظاهر الإعجاز الكثيرة التي تحدّى بها الله سبحانه وتعالى عباده، يقول محمود أحمد نحلة: "وانك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع، وإعجاز معجز، فالصوت المفرد يختار بعناية، وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك، ومتباعدة المخارج إن كان التباعد أدلّ على المعنى وأكثر تصويرا له"⁴

¹ -النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الحجاج: محمد العبد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص65.

² -أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة، دراسة نظرية تطبيقية: عبد الحميد هنداوي، صحيفة دار العلوم، كلية دار العلوم، ديسمبر 1999، ص91.

³ -البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص173، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص96.

⁴ -لغة القرآن في جزء عمّ: محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م، ص 346 - 347.

ولعل من أبرز مظاهر التكرار الصوتي في القرآن الكريم تكرار الحرف الأخير من الكلمة في نهاية كل آية، وهو ما يسمى عند علماء البلاغة بالسجع، ونظرا لارتباط السجع بالكهان في العصر الجاهلي، فقد تنزه بعض العلماء عن تسمية ما تماثل من الحروف في نهاية الكلمات بالسجع، وأطلقوا عليه بدلا من ذلك مصطلح الفاصلة، يقول ابن الأثير في معرض حديثه عن السجع في القرآن " وقد ذمه أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهها، فلو كان مذموما لما ورد في القرآن، وأنه قد أتى منه الكثير حتى أنه ليؤتى بالسورة كلها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر وغيرهما ¹."

لقد وضع علماء البلاغة للسجع البديع شروطا كثيرة ونظرا لكثرة الكتب البلاغية التي تحدثت عن هذه الشروط فإننا نقتصر على كتاب واحد منها هو كتاب (الطراز) ليحيى بن حمزة العلوي.

أمّا عن سبب اقتصارنا على هذا الكتاب دون غيره فيعود إلى اشتماله على جميع الخصائص الفنية للسجع، وإلى اعتماده على أسلوب الإيجاز في الإحاطة بها، حيث أنه استطاع أن يحصرها على أكثرها في أربع نقاط فقط.

ويرى أنّ السجع لا يكون حسنا مستساغا إلا إذا توفرت فيه أربعة شروط هي باختصار شديد كما يلي:

1 - الشرط الأول:

ويتعلق بالمبنى أو الجانب الصوتي حيث يشترط في الكلمة أن تكون حلوة مستساغة المذاق وبعيدة عن الغثاثة والرداءة.

2 - الشرط الثاني:

ويتصل بالتركيب، وهو أن تكون الكلمة أو اللفظة المسجوعة تابعة للمعنى، وأن لا يكون المعنى تابعا لها.

¹-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، المصدر السابق ص195.

يقول الزركشي في توضيح مناسبة الفاصلة في هذه الآية لما قبلها: " إنَّ بعث الرسول (p) تولية، والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنَّما يكون مستندا إلى حكمة مرسله؛ لأنَّ الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه، فلا بد وأن يكون حكيماً، فلا جرم كان اقتراحهما مناسباً".¹

التضام:

وإذا تتبعنا الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة فسنجد أنها تصب في المصَّب ذاته؛ واعتماداً على كتاب معجم الفرائد القرآنية²، الذي جعله مؤلفه في الجذور اللغوية التي لم ترد سوى مرة واحدة في القرآن جميعه، ومقتضى وجود أي مفردة منها في سورة البقرة يعني بالضرورة عدم وجودها في أي موضع آخر من القرآن الكريم.

واللافت للنظر أن غالب المفردات الخاصة بسورة البقرة³ هي في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وهي: (بابل، بصلها، بقلها، عدسها، فاقع، فومها، قثائها، ماروت، ميكال، هاروت، شية).

والقسم الثاني ما ورد من المفردات في آية الكرسي والآية التي تليها، وهي: (يؤوده، انفصام، سنة).

والقسم الثالث يتعلق بالأحكام المطلوبة من المؤمنين، كالصوم والحج والعمرة، وعلى الأخص النفقة، ويقابلها الربا، وهي: (يتخبطه، رمضان، صلداً، فطل، تغمضوا، إلخافاً، المروة).

¹ -البدیع فی ضوء أسالیب القرآن: عبد الفتاح لاشین المرجع السابق، ج1، ص95.

² -معجم الفرائد القرآنية: البسومي، باسم، نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط1، 1422هـ - 2001م.

³ -المصدر نفسه، ص 133.

والقسم الأخير مثل ضرب للكفار، وهو كلمة: (ينعق)، وبيان لخسران تجارة المنافقين (رجحت).

فلقد وردت إحدى عشرة مفردة في بني إسرائيل وحدهم من بين ثلاث وعشرين، ما يعنى مركزية موضوعهم في السورة، وهو ما يتناسب مع قصة البقرة التي سميت السورة بها، بل إن كلمتين من المجموعة قد وردتا في قصة البقرة (فاقع، شية).

والمجموعة الثانية، وهي الأكثر عدداً، فقد وردت قصة استبدال بني إسرائيل الذي هو أدني بالذي خير، ولذلك دلالة على مستوى هذه الجماعة البشرية وعدم صلاحيتها للخلافة أو لأي من عظام الأمور (بقلها، بصلها، عدسها، قنائها، فومها).

والمجموعة الثالثة من هذا القسم حول علاقتهم بالسحر واتباعهم ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، بدلاً من اتباعهم وحي الله تعالى على أنبيائه، ثم كفرهم بذلك الاتباع، وما فيه من تعلم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما في هذا الخبر من تئيس للمؤمنين من إمكانية صلاحهم، وقد صاروا أولياء الشيطان ووكلاء الطاغوت (بابل، هاروت، ماروت)، وفي تمييزهم بين (ميكال) وجبريل عليهما السلام، تأكيد منهم على رفض رسالة محمد، بدعاوى سخيفة، وإظهار لعنصرتهم من جهة أخرى.

والقسم الثاني الذي تخصص في آية الكرسي والآية التالية لها، يتناسب مع موضوع التوحيد الذي جاءت تعالجه قصة البقرة، ليظهر الارتباط الوثيق بين أعظم آية في كتاب الله تعالى، والقصة التي سُميت بها أطول سورة في القرآن الكريم.

والذي لا يؤوده حفظ السماوات والأرض لن يعجزه حفظ دينه ولا نصرته أوليائه، والذي لاتأخذه سنة ولا نوم، لن يضعف عن الحفظ، وليس بغافل عما يعمل الظالمون، والكفر بالطاغوت الذي قصدت إليه قصة البقرة، يجعل صاحبه مستمسكاً بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ما يشير إلى واقع أتباع محمد، وواقع الذين لم يكفروا بالطاغوت.

والقسم الثالث تحدث عن أركان الدين، وواجبات الخلفاء الجدد وما ينبغي أن يتجنبوه؛ فقد جاء حديث عن رمضان الذي فُرض فيه الصيام، وعن المروة التي هي من شعائر الله تعالى في الحج والعمرة، ثم تركيز طويل على موضوع النفقة، وضرورة الإخلاص فيها، وأسباب قبولها أو ردها، وأهمية استهداف أهل العفة الذين لا يسألون الناس إحفاً، وفي نفس الوقت الحذر من الربا الذي يستدعي إعلان الحرب الإلهية على فاعليه، ويجعل آكليه ألعوبة بأيدي الشيطان، ولعل التركيز على النفقة لأن الأشخاص الرساليين ينبغي أن يكونوا من أهل العطاء، لا من الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة.

يلاحظ مما سبق، على أن النص القرآني زاخر بالرموز الكثيرة، التي ذكرها المفسرون في كتبهم، التي تبرز أسبقيتهم في تبيان أدوات الاتساق والانسجام في النص القرآني بصفة عامة وفي سورة البقرة بصفة خاصة. وما اخترناه من أمثلة يعتبر قليل مما هو مبثوث في كتب التفسير.

خاتمة:

لقد سعى البحث، من خلال ما سبق، الوصول إلى النتائج التالية:

أشارَ البحثُ إلى أنه بالرغم من تباين تعريفات النصّ إلا أنها تشترك في تأكيدها على خاصية ترابط النص وتمامه.

إنّ عدم تكوين نظريّة نصّيّة متكاملة في اللّغة العربية لا يعنى أنّ العلماء العرب لم يتجاوزوا حدودَ الجملةِ إلى النصّ، ولكنّ التطبيقات النصّية لديهم تعكس بجلاء أهمية النظرة الشمولية للنصّ عامةً والنصّ القرآني على وجه الخصوص.

تلتقي آراء علماء النصّ مع آراء العلماء المسلمين القدامى في ضرورة النظرة الشمولية للنصّ، وإتّما ظهر الجانب النظري عند علماء النصّ الغربيين، في حين ظهرت التطبيقات النصّية عند العلماء المسلمين ولاسيما الذين عكفوا على دراسة القرآن الكريم للوصول إلى فهمه وبيان إعجازه.

يُمثل التماسك النصّي حجر الأساس في التّحليل النصّي المعاصر.

أثبتَ البحثُ أنّ الاتساق يؤدي دوره في تماسك النصّ من خلال جملة من الأدوات من أبرزها الحذف: الذي يركّز على طريقة الاختصار إذ تستخدم أقلّ العبارات لتوضيح المقصود، والأخرى طريقة البسط إذ تلجأ إلى توسيع الجملة الأولى، بؤرة النصّ، لتكوّن سلسلة من الجمل المتناسكة.

أثبتَ البحثُ، كذلك، دور الإحالة في تماسك النصّ إذ تقوم بربط أجزائه من خلال عودة اللفظ المحيل على مُفسّره، وهذا ما يجعل جمل النصّ الواحد تشكل لحمّة واحدة.

يُسهم الحذف، أيضاً، في تماسك النصّ عند وجود الدليل عليه، حيث نستطيع ربط البنية السطحية بالبنية العميقة.

يسمخ العطف بتكوين جملة أو فقرة جديدة مرتبطة بالجملة أو الفقرة السابقة فيسهم في اتساع النص.

أكد البحث أنّ كلّ تكرار في القرآن يأتي ليؤكد فكرة أو يثبت عقيدة، فلا يتكرر اللفظ بالمعنى نفسه في السياق نفسه.

أضاف البحث عن الطريق التأكيد على دور البلاغة الجديدة في تحليل الخطاب.

أسهم موضوع الخطاب في إدراك تماسك النص عندما عادت الأحداث الأساسية إلى ذلك الموضوع والغرض.

أثبت البحث دور المناسبة في تماسك النص من خلال وسيلتين هما: التناسب الداخلي، والتناسب الخارجي.

ومما أشار إليه البحث ورکز عليه هو إمكانية تفسير وفهم السورة القرآنية بأكملها من خلال فهم اسمها (العنوان) حتى يصل الأمر إلى التمييز بين مدنيها و مكياها.

و في الأخير نحمد الله تعالى الذي بلّغنا خاتمة البحث.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكرم برواة ورش عن نافع.

1. الاتجاه الأسلوبى فى النقد: د. شفيع السىء، ءار الفكر العربى، القاهرة، 1986م.
2. الاتساق والانسجام فى القرآن: مفتاح بن عروس، مكتبة كلية الآءاب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م.
3. الإءقان فى علوم القرآن: جلال الءىن السىوطى، ءءق مصطفى ءىب البغا، ط 2، ءمشق ءار ابن كءىر، 1993م
4. أساس البلاغة: الزمخشرى، ءءق عبء الرءىم مءموء، ءار المعارف بىروت لبنان، 1979م
5. أسء الغابة فى معرفة الصحابة، ابن الأءىر، عز الءىن على بن مءموء، ءءق ءلىل شىءا، ءار المعرفة، بىروت، ط 1، 1418هـ - 1997م.
6. أسلوب ءءكارار بىن الءرس القءىم والأسلوبىة الءءىة، ءراسة نظرىة ءطىقىة: عبء الءمىء هءءاوى، صحىفة ءار العلوم، كلية ءار العلوم، ءىسمبر 1999م.
7. الأسلوب والأسلوبىة بىن العلمانىة والأءب المءزم بالإسلام: ء.ءءنان النءوى، ءار النءوى، ط 1، 1419هـ
8. الأسلوب والأسلوبىة: بىروجىرو، ءرءمة ء. منءر عىاشى، مركز الإنماء الءضارى، ءمشق، ط 2، 1994م.

9. الأسلوب والأسلوبية: غراهم هوف، ترجمة كاظم سعيد الدين، المكتبة الوطنية ببغداد، 1985م.
10. الأسلوبية الرؤية والتطبيق: أ.د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة ط1، 1427هـ
11. الأسلوبية منهجاً نقدياً: د. محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989م.
12. الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1977م.
13. الأسلوبية وتحليل الخطاب: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م.
14. الأسلوبية ونظرية النص - دراسات وبحوث/ نقد: د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997م.
15. الأسلوبية، لبيير غيرو، سلسلة ماذا أعرف، العدد 616، باريس 1975م
16. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): محمد الشاوش، سلسلة اللسانيات، المجلد 14، جامعة منوبة، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط الأولى، 2001م/
17. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ضبطه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط5، 1952م.
18. الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1990م.
19. إعراب النص (في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب): حسني عبد الجليل يوسف، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997م
20. انفتاح النص الروائي (النص . السياق): سعيد يقطين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م

21. أهم المدارس اللسانية: د. عبد القادر المهيري ومحمد الشاوش، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1999م.
22. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: كتاب جماعي، نشر كلية الآداب منوبة. تونس. 1998م.
23. الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، در النفائس، دمشق، الطبعة الرابعة، 1402هـ / 1982م.
24. الباقلائي وإعجازه في القرآن، عبد الرؤوف مخاوف، منشورات دار مكتبة الحياة.
25. البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: رجاء عيد، دار المعارف، مصر، ط1/01/1993م.
26. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الجياني، مطبعة السعادة، دار الفكر، بيروت، 1413هـ - 1992م.
27. بدائع التفسير: محمد، يسري السيد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1414هـ - 1993م.
28. بدائع الفوائد: ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.
29. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
30. البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة، 1999م.
31. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م، الجزء الأول
32. البرهان في نظام القرآن في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1983م، الرياض.
33. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: الدكتور محمد العمري سنة 2005م بدار افريقيا الشرق.

34. بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، الشركة العالمية للنشر، لوبنجان، ط1، 1996 م.
35. بلاغة الصورة: ر. بارت، نقله الشرقاوي في البلاغة القديمة، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك، البيضاء، 1994م.
36. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. 1999م.
37. البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة العالمية للنشر، ط1 / 1997م.
38. البلاغة القديمة: رولان بارت، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربية. 1994م.
39. البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة التاسعة
40. البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان: فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط2، 1996م.
41. البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص): هنريش بليث: ترجمة وتعليق الدكتور محمد العمري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م.
42. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1984م
43. البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997م.
44. بنية اللغة الشعرية: جون كوهن، تر: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال، البيضاء، 1986م.
45. البيان في عد آي القرآن: الداني، أبو عمرو، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1، 1414هـ - 1994م
46. البيان والتبيين: الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر، تحقيق علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال . بيروت . ط01: 1408هـ . 1988م.

47. بين البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ط1، 1984م.
48. تاج العروس: الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر سنة 1888م.
49. التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
50. التبيان في البيان: الطيبي، شرف الدين، تحقيق ودراسة عبد الستار حسين زموط، دار الجليل، بيروت لبنان، ط1، 1997م.
51. التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث: منير محمد خليل ندا، أرشيف جامعة القاهرة.
52. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي: المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن: (181/8)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1406هـ - 1986م
53. تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية: إبراهيم صحراوي، ط 1، دار الآفاق.
54. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص: محمد مفتاح ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986م.
55. تحليل الخطاب الشعري: محمد العمري، الطبعة:1، الدار العالمية للكتاب، المغرب 1990م.
56. تحليل الخطاب: ج . ب. بروان ، و ج . يول Browan et yole “ ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد لطفي الزليطني، والدكتور منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1418هـ /1997م.
57. التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج): كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه ومهد له أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1425هـ /2005م.

58. التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي" :مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م
59. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، م 2.
60. التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبد الغفار، مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م
61. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط14، دار الشروق، (1413هـ/1993م)
62. تفسير أبي السعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1999م.
63. تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د ط، 1997م.
64. تفسير القرآن الحكيم/ المنار: رضا، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م.
65. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، (112/1)، دار المعرفة، لبنان، 1969م.
66. التفسير الكبير: الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط1، 1981م
67. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة): محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م/1392هـ
68. التفكير البلاغي عند العرب: حمدي صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.
69. التفكير النقدي: حسان الباهي، أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. ط 1، 2000م.
70. تفهيم القرآن: المودودي، أبو الأعلى، تعريب أحمد يونس، دار القلم، الكويت، ط1، 1398هـ - 1978م
71. التكرار بلاغة: إبراهيم الخولي، الشركة العربية لطباعة والنشر القاهرة مصر 1993م.
72. التماسك النصي في الحديث الشريف: د. عبد العزيز فتح الله عبد الباري.

73. التناسب البياني في القرآن: أبو زيد، أحمد، رسالة ماجستير، 1990م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، المملكة المغربية.
74. تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م.
75. التناسق في شعر السبعينات (دراسة تمثيلية): فاطمة قنديل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، كتابات نقدية، العدد 86، مارس 1999م.
76. جامع البيان: الطبري، (224-310هـ) دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
77. الجمل المختلف في إعرابها: إبراهيم صالح الحندود، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، ع الأول، (المحرم وربيع الأول 1425هـ / إبريل ويونية 2004م)
78. حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط. الثانية 1987
79. الحوار ومنهجية: حسان الباهي، العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط 2، 2004م.
80. الخطاب والقارئ: د. حامد أبو حامد، مركز الحضارة العربية، ط 2، القاهرة 2002م.
81. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية: عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1985م.
82. دراسات قرآنية: قطب، محمد، دار الشروق، القاهرة ط 7، 1993م
83. دراسات منهجية في تحليل النصوص: نهاد رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ / 1984م
84. دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات: مصطفى صلاح قطب: رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1417هـ / 1996م.

85. دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية: سليمان الطراونة، الأردن، ط1، 2000م.
86. الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: أشرف عبد البديع عبد الكريم، دار فرحة، المنيا، 2003م
87. دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ/1994م
88. ديوان ابن الرومي، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان. (دت).
89. ديوان البحري، تحقيق حسن كمال الصيرفي، دار المعارف، مصر.
90. ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر عام 1944م.
91. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تأليف عروة بن الورد، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م.
92. الديوان: العقاد عباس محمود والمازني، إبراهيم عبد القادر: ط4، دار الشعب، القاهرة،
93. الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، بدون بيانات
94. زهرة التفاسير: أبو زهرة، محمد، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، د. ت.
95. سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، 1415هـ - 1995م.
96. سير أعلام النبلاء: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (461/1)، حقق بإشراف، شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي.
97. السيرة النبوية الصحيحة: العمري، أكرم ضياء، (188-189)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 5، 1413هـ - 1993م.
98. السيميائية نظرية لتحليل الخطاب: جان كلود جيرو، ولوي بنييه، ترجمة الدكتور رشيد مالك، ضمن كتاب السيميائية أصولها وقواعدها

99. شروح التلخيص: سعد الدين التفتازاني، دار النشر، الأجزاء: 1-2-3، دار الكتب العلمية، الجزء:4، دار الهادي، د.ت.
100. شعب الإيمان: البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
101. شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القصد والقصيد/ صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط1/1999م.
102. الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط03/1984م.
103. صحيح مسلم: كتاب الإيمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1347هـ - 1929م.
104. الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي: الولي محمد، المركز الثقافي، بيروت، 1990م.
105. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2002م.
106. ظواهر تركيبية في مقاسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقات بين البنية والدلالة: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م.
107. عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي: مالكي، فرج عبد الحسيب، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1424هـ - 2003م
108. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: محمد حماسة عبد اللطيف
109. علم البديع: بسيوني عبد الفتاح، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ووسائل البديع، مطبعة السعادة القاهرة، مصر. ط1/1987م.
110. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1982م.

111. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م
112. علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي: برند شيلز، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1987م.
113. علم المناسبات بين السور والآيات: بازمول، محمد بن عمر، ويليه: مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ - 2002م.
114. علم النص "مدخل متداخل الاختصاصات": تون أ فانديك، ترجمة وتعليق الدكتور سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة، الطبعة الثانية، 2005م.
115. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: تون أ . فان دايك، ترجمة وتعليق دكتور سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.
116. علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر لوبنجمان، ط1997م.
117. عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المناع، كلية الآداب جامعة الملك سعود، دار العلوم بالرياض.
118. الغربال: ميخائيل نعيمة، ط15، نوفل، بيروت، 1991م.
119. الفتاوى الكبرى: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ / 1987م.
120. فن القص بين النظرية والتطبيق: نبيلة إبراهيم، القاهرة، مكتبة غريب، 1992م.
121. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان (دت).

122. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام": طه عبد الرحمن، المركز الثقافي 2000م.
123. في الأسلوب والأسلوبية: محمد اللويحي، مطابع الحميضي، ط1، دت
124. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة/بيروت، ط26، 1997/1418م.
125. القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ج1،
126. قاموس الياس العصري: الياس انطون الياس، دار الجليل، بيروت، 1972م.
127. القراءة في كتاب القراءات السبعة: ابن مجاهد، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (د.ت).
128. القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود، دار العودة بيروت 1979م
129. قضية البنيوية: عبد السلام المسدي، دار أمية تونس، 1991م.
130. الكافي، معجم عربي حديث: الباشا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992م.
131. كتاب الخطاب القرآني -دراسة في العلاقة بين النص والسياق: الدكتورة خلود العموش الطبعة الأولى 2008م، جدار للكتاب العالمي عمان الأردن.
132. كتاب الصناعتين: العسكري أبو هلال، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية -صيدا، بيروت، 1406هـ. 1986م.
133. الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
134. الكشاف: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، دار الفكر، سوريا، ط1، 1977م.
135. الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان. ط2، 1992م.
136. لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ. - 1994م

137. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: د. محمد خطابي : المركز الثقافي العربي، بيروت 1991 م.
138. لغة التربية (تحليل الخطاب البيداغوجي): إوليفي روبول، ترجمة عمر أوكان، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2002م
139. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م
140. لغة القرآن في جزء عمّ: محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1981م.
141. اللغة والإبداع- مبادئ علم الأسلوب العربيّ: عياد شكري، ط1، القاهرة، 1988،
142. الماركسية والتاريخ الأدبي: جون فراو Jone Frow، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي-المغرب، 1968م.
143. مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د.مصطفى مسلم، مطبعة المعارف، ط1، 2009 م.
144. المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر: ضياء الدين بن الأثير الجزري، تحقيق محمد كامل، عويضة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
145. المثل السائر: ابن الأثير، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت لبنان 1999م.
146. مجهول البيان: محمد مفتاح، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1990م.
147. مختار الصحاح: الرازي، دار الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1994م.
148. مختار الصحاح: الرازي، محمد ابن أبي بكر، دار عمار، عمان، ط1، 1417هـ- 1996م.
149. مدخل إلى علم اللغة النصي: وفولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر: ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ/ 1999م.
150. مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر): إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1999م.

151. مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: مجموعة من الكتاب، ترجمة: د. رضوان ضاضا، عالم المعرفة، 1997م.
152. المرايا المقعّرة (نحو نظرية نقدية عربية): عبد العزيز حمودة.
153. المستصفى من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1322هـ، تصوير مؤسسة الرسالة.
154. مشكلة البنية. سلسلة مشكلات فلسفية، إبراهيم زكريا، مكتبة مصر، د.ت. وروبنز، ر.ه: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب). ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1997م.
155. المصطلحات الأدبية الحديثة: د. محمد عناني، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط 1، 1996م.
156. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1414هـ - 1994م.
157. معجم الفرائد القرآنية: البسومي، باسم، نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط 1، 1422هـ - 2001م.
158. معجم المصطلحات العربية والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، 1984م.
159. معجم المصطلحات العربية: خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1995م.
160. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة مصر، ج 1، 1960م.
161. معجم علم السرد: جيرالد برنس، المترجم: عابد خزندار، المراجع: محمد بري، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة - مصر الطبعة: الأولى 2003م.
162. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1/ 2001م.

163. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط2 ، البابي الحلبي، مصر 1969م.
164. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي رحمه الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979م.
165. مفاتيح الغيب: تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، دار الفكر، 1401هـ/1981م.
166. مفتاح العلوم: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2000م.
167. مقالات في الأسلوبية- دراسة: منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1990م.
168. مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن، دت
169. مقدمة في الخلفية النظرية لمصطلح الحجاج: حمادي صمود. ضمن كتاب جماعي من إنجاز فريق البحث في البلاغة والحجاج عنوانه: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، نشر كلية الآداب منوبة. تونس. 1998م.
170. المقدمة، ابن خلدون، باب البيان، طبعة دار الشعب، تحقيق: علي عبد الواحد وافي
171. من قضايا التلقي والتأويل: سعد يقطين، طبعة 1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الرباط، 1994
172. من نحو الجملة إلى نحو النص: سعد مصلوح، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون معلماً، ومؤلفاً، ومحققاً (مجموعة بحوث مهدها إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكره الثانية)، تحرير: وديعة طه النجم وعبد بدوي، جامعة الكويت- كلية الآداب، 1410هـ/ 1990م.
173. المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي: مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس/ العدد الأول، 2003م.

174. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وهو مطبوع ضمن الجزء الثاني من سلسلة الأعمال الكاملة للدكتور الحبيب بن الخوجة، تأليف: صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م.
175. ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية: ترفيتان تودوروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الثانية 1996م.
176. النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، دار القلم الكويت 1957م.
177. نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية: د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، 1991م.
178. النحو العربي والدرس الحديث: د. عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1988م
179. نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى): عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 1425هـ / 2004م
180. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، 2001م.
181. نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: مصطفى النحاس، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.
182. نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً): الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993م.
183. النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الحجاج: محمد العبد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2004م.
184. النص من أين؟ وإلى أين؟: د. عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

185. النص والخطاب والإجراء: روبرت ديوجراندي، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.
186. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ترجمة عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - بيروت، 2000م.
187. النص: بني ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص): تون أ. فان دايك، ترجمة منذر عياشي ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص. 2006م.
188. النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص: جان ماري سشايفر، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2004م.
189. نظرات في القرآن: محمد الغزالي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر 1986م.
190. نظريات معاصرة: عصفور جابر، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1998م.
191. نظرية اللغة الأدبية: خوسيه مريًا بوثوينوايقانكوس، سلسلة الدراسات النقدية ترجمة الدكتور حامد أبو حامد، 2 مكتبة غريب دمشق.
192. نظرية النقد الأدبي الحديث: د. يوسف نور عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م.
193. نظم الدرر في تناسب الآي والسور في التفسير، للشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ / 1995م، عدد الأجزاء: 8، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
194. النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية: أ.د. سعد أبو الرضا، ط2، 1428هـ.
195. النقد العربيّ - نحو نظرية ثانية: مصطفى ناصف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.
196. النقد المنهجي عند العرب: محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة.

197. النكت والعيون: الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، (137/1)، دار الكتب العلمية،

بيروت، د ت، د ط.

198. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس

الدينحالة، غير مفهرس، دار الكتب العلمية، 3 / 159.

المجلات والدوريات

1. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية": سعد مصلوح " و"الدراسة الإحصائية للأسلوب، بحث في المفهوم والأجزاء والوظيفة" عالم الفكر العدد 03 أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1989م.
2. الأسلوبية الحديثة: د.محمد عياد، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الجزء الأول، 1981م.
3. أسلوبية الفرد: عبد الفتاح المصري عن مجلة الموقف الأدبي، عدد 135 -136، دمشق 1982م.
4. الأسلوبية من خلال اللسانية: عزة آغا ملك، مجلة الفكر العربي، ع: 38.
5. الأسلوبية، لبيير غيرو، سلسلة ماذا أعرف، العدد 616، باريس 1975م.
6. أما بعد ": عز الدين إسماعيل، مجلة فصول، العدد الأول، المجلد السادس، 1985م.
7. بلاغة الخطاب وعلم النصّ: فضل، صلاح. عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1992م.
8. البلاغة العامة والبلاغات المعممة: محمد العمري ضمن مجلة فكر ونقد. العدد 20 .يناير. 2000م.
9. البلاغة العامة والبلاغات المعممة: محمد العمري. ضمن مجلة فكر ونقد. العدد 20 .يناير 2000 .
10. البنيوية وما بعدها- من ليفي شتراوس ألى دريدا: وستروك، جون، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1996م.
11. التحليل العلمي النصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية: عبد الرحمن حاج صالح، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة -الجزائر.، عدد06، جويلية 1996م.
12. الجمل المختلف في إعرابها: إبراهيم صالح الحندود، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، ع الأول، (المحرم وربيع الأول 1425هـ / إبريل ويونية 2004م)

13. حبك النص " منظورات من التراث العربي " :محمد العبد، مجلة الدراسات اللغوية، مج الثالث، ع الثالث ، رجب ورمضان 1422هـ / أكتوبر وديسمبر 2001م.
14. حول الأسلوبية الإحصائية: محمد عبد العزيز الوافي، مجلة علامات، ج42، مج11، ديسمبر 2001م.
15. السياق القرآني وأثره في تفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال، تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحث عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، 2002م
16. شعرية العنوان في كتاب "الساق على الساق في ما هو الفاريق": المطوي، محمد الهادي، مجلة عالم الفكر، مجلد 28، الكويت، 1999م، العدد(1/456).
17. في منهجية الدراسة الأسلوبية": محمد الهادي الطرابلسي " مجلة الجامعة التونسية نوفمبر 1983م.
18. لمن النص اليوم للكاتب أم القارئ: حسن غزالة، مجلة علامات، ع: 392، مج10، مارس/2001م
19. المدخل إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي ، " مجلة فكر ونقد. العدد 17.
20. المرايا المحدّبة (من البنيويّة إلى التفكيك) :حمودة عبد العزيز، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نيسان 1998م.
21. المرسلّة الشعريّة: أمبرتو أيكو، مجلة الفكر المعاصر، عدد، 18، 19، بيروت، لبنان، 1982م.
22. مشكلة البنية. سلسلة مشكلات فلسفية، إبراهيم زكريا، مكتبة مصر، د.ت. وروبنز، ر.ه: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب). ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1997م

23. من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي، مجلة "فكر ونقد" عدد 20 - 1998 م.
24. من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات: محمد الولي، ومقال آخر له معنون ب: "المدخل إلى بلاغة المحسنات". ضمن مجلة فكر ونقد. العدد 17 مارس. 1999م.
25. منهجية ليوسبتزر في دراسة الأسلوب الأدبي: عزة آغا ملك، عن مجلة الفكر العربي عدد 36 - 1985م.
26. نحو أجمومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية: د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، 1991م.
27. نحو النص ومبادئه واتجاهاته في ضوء النظرية اللسانية الحديثة: نعمان بوقرة، مجلة علامات في النقد، ماي، 2007م، المجلد 16، العدد 61.
28. نظرية النص: رولان بارت، ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. عدد (3) بيروت، 1988م.
29. نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو النص: د. مازن الوعر، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 385/2003.
30. النقد العربي البنيوي: د. مها خيربك ناصر، مجلة الخطاب، العدد الثاني: ماي 2007م.
-

المراجع الأجنبية:

- ADAM J. M :- Pour une analyse textuelle : l'exemple du contre du graal, pratiques N° 9 Metz 1976.
- Linguistique et discours littéraire Paris, Larousse. 1976.
 - Matéo- Falconé : Analyse macro- textuelle. Pratiques N° 11. Metz, 1976.
 - Ordre du texte, ordre du discours Pratiques N° 13 , Metz, 1977.
- BAHMANI , N : - Grammaire fonctionnelle de l'Arabe du coran ,éd BAHMANI Nadjar , R. F.A , 1998 .
- BENVENISTE . E : - problèmes de linguistique générale, Paris , Gallimard, 1982.
- BOSCH (P) : - Coherence and cohesion. In connexity and coherence. Edited by Wolfgang Heidrich, Fritz NEBAUER, Berlin 1989 .
- BUSQUESTS (J) : - Une approche de la cohérence du discours dans la tradition de la sémantique dynamique. VERBUM . Tome XX III, N° 1.PUN 2001.
- CAREL (MORION) : - Argumentation interne aux énoncés. Revue de Sémantique et Pragmatique N° 11, Juin 2002.
- CHABROL . C : - De quelques problèmes de grammaire Sémiotique narrative et textuelle , Paris , Larousse , 1973.
- CORBLIN . F : - Défini et démonstratif dans la reprise immédiate, Le français moderne N° 51 . 1983 .
- DUBOIS . J : - Grammaire structurale du français : Nom et prénom, Paris . Larousse 1981 .
- DUPONT (D), FAUVAUX (T) , GHENET (H) : - La dynamique de l'information : éléments de grammaire textuelle. DE BOECK – DUCULOT , 1994.
- FASSI FEHRI . A : - complémentation et anaphore en Arabe moderne . thèse d'état , Paris 3 . 1981 .
- FAUCONNER . G : - La coréférence : syntaxe ou sémantique . Paris . seuil . 1974.

- étude de certains aspects logiques et grammaticaux de la quantification et de l'anaphore en français et en Anglais . thèse d'état . Paris . 1976 .

FOSSION (A), LAURENT (J.P) : - Pour comprendre les lectures nouvelles, DE BOECK - DUCULOT. Bruxelles. 1981 .

GREIMAS. (A.J) : - Introduction à l'analyse du discours en sciences sociales. HACHATTE . 1979 .

HALLIDAY . M.A.K : - Cohésion in English . London . Longman 1983.

- An introduction to Functional grammar. Edouard Arnold, Publishers , London 1985 .

HARRIS (Z.S) : - Discours analysis, Language vol 28. Trad. fr in Langages 13. 1969.

LUC (C), VIBREL (J) : - Le modèle d'architecture textuelle : Fondement et expérimentation . VERBUM , Tome XX III , N° 1. P U N. 2001 .

LUNDQUIST (L) : - La cohérence textuelle : Syntaxe, sémantique , pragmatique, NYT NORDDISK FORLAG, KObenhavn 1980 .

- Coherence in scientific text. In connexity and coherence. Edited by WOLFGANG Heidrich, Fritz NEBAUER. Berlin 1989.

MAILLARD. M : - Anaphores et cataphores, Communication N° 19 , Seuil 1972 .

- Essai de typologie des sustituts diaphoriques, Langue française , N° 21. Paris, Larousse 1974 .

MAINGUENEAU (D) : - Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Paris, 1976.

- Pragmatique pour le discours littéraire. Paris, Bordas 1990.

RÜCK (H) : - Linguistique textuelle et enseignement du français.

HATIER-CREDIF 1980.

SARFATI (G-E) : - Eléments d'analyse du discours . NATHAN , 1997 .

SCHNEDECKER (C) : - Besoins didactiques en matière de cohésion textuelle : le problème de continuité référentielle. Pratiques № 85. 1995 .

VAN-DIJK. T.A : - Grammaires textuelles et structures narratives. Sémiotique narrative et textuelle . Paris . Larousse . 1973 .

- Some aspects of text grammars : a study in theoretical linguistics and Poetics. Mouton. The hague . Paris 1972.

- Text and Context. Explorations in the semantics and pragmatics of Discourse. Longman Group. 1977.

المواقع الإلكترونية:

<http://www.lissaniat.net>

<http://www.al-maqha.com>

<http://saidbengrad.free.fr>

<http://medelomari.free.fr>

www.ruowaa.com

www.arabicstory.net

www.marefa.org/index.php/ - 57 لسانيات: تصنيف

www.hijaj.net/viewtopic.php?p=6733 - 33k

www.cairn.info

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقم الآية
6	سورة الفرقان	32
19	سورة الذاريات	31
19	سورة الحجر	57
28	سورة الشورى	11
28	سورة الحجر	9
28	سورة البقرة	23
95	سورة هود	44
81	سورة فاطر	27
95	سورة هود	44
103	سورة البقرة	07-06
203	سورة الأنعام	82
203	سورة لقمان	13
208	سورة البقرة	178
208	سورة البقرة	185
208	سورة البقرة	286
210	سورة البقرة	04
210	سورة البقرة	177
211	سورة البقرة	67
213	سورة البقرة	75
213	سورة البقرة	74 - 49
213	سورة البقرة	40
215	سورة البقرة	163
219	سورة البقرة	285
219	سورة البقرة	03
219	سورة البقرة	286
220	سورة البقرة	73
221	سورة البقرة	56
223	سورة البقرة	71
225	سورة البقرة	73
225	سورة البقرة	30
226	سورة البقرة	124

229	سورة البقرة	218-214
230	سورة البقرة	02
231	سورة البقرة	173
237	سورة آل عمران	53
240	سورة البقرة	33-31
245	سورة آل عمران	59
245	سورة الأعراف	05
245	سورة العنكبوت	20-19
245	سورة الروم	11
247	سورة البقرة	24-23
248	سورة البقرة	30
249	سورة البقرة	246
250	سورة البقرة	22
250	سورة البقرة	25
250	سورة البقرة	26
250	سورة البقرة	101
251	سورة البقرة	75
251	سورة البقرة	62-61
252	سورة البقرة	54
252	سورة البقرة	266
252	سورة البقرة	74
252	سورة البقرة	187
252	سورة البقرة	168
252	سورة البقرة	144
254	سورة البقرة	35
254	سورة البقرة	158
254	سورة البقرة	219
254	سورة البقرة	140
255	سورة المائدة	18-17
255	سورة الحجر	85
255	سورة مريم	65
255	سورة الأنبياء	30
255	سورة الفرقان	59
255	سورة الشعراء	24
255	سورة السجدة	04

255	سورة الروم	08
255	سورة فاطر	41
255	سورة الصافات	5-4
255	سورة الشورى	29
255	سورة الزخرف	85
255	سورة الدخان	38-7
255	سورة الأحقاف	03
255	سورة ق	38
255	سورة النبأ	37
256	سورة البقرة	228
256	سورة الأنبياء	216
256	سورة ص	27
257	سورة البقرة	102
257	سورة البقرة	102
257	سورة البقرة	170
257	سورة البقرة	213
258	سورة البقرة	03
258	سورة البقرة	17
258	سورة البقرة	27
258	سورة البقرة	102
258	سورة البقرة	182
259	سورة البقرة	06
259	سورة البقرة	63
260	سورة البقرة	184
260	سورة البقرة	271
260	سورة البقرة	282
261	سورة البقرة	157-155
263	سورة البقرة	205
263	سورة البقرة	24
263	سورة البقرة	68-67
264	سورة البقرة	74
264	سورة البقرة	89
265	سورة البقرة	35
265	سورة البقرة	21
265	سورة البقرة	58

266	سورة البقرة	126
266	سورة الأنبياء	63-58
268	سورة البقرة	52-51
268	سورة البقرة	85
269	سورة البقرة	191
270	سورة البقرة	118
270	سورة البقرة	159
272	سورة البقرة	02
273	سورة البقرة	13-11-07-04-3
274	سورة البقرة	20-19-18-17
275	سورة البقرة	27-24-23-22-21
276	سورة البقرة	40، والآيات 47-46-45-41-35
298	سورة البقرة	43

فهرس الموضوعات

الإهداء

أ- المقدمة

المدخل

العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص

أهي تنازع وانفصال أم ترابط واشتمال ؟

06 توطئة تعريف الجملة
11 بين الجملة والنص
13 نحو الجملة ونحو النص
17 العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص
27 أنواع الخطاب (الخطاب القرآني نموذجاً)

الفصل الأول

لسانيات النص بين التأسيس والآفاق

31 ماهية لسانيات النص
39 لسانيات النص عند الغرب
74 لسانيات النص عند العرب

الفصل الثاني

تحليل الخطاب بين البلاغة والأسلوبية

122 بين البلاغة والأسلوبية
136 تحليل الخطاب من منظور الدراسات البلاغية
136 ماهية البلاغة
138 مولد البلاغة والممارسة النقدية
145 الدرس البلاغية والعودة من جديد
151 بين البلاغة ولسانيات النص

152	علم البلاغة نموذج جديد لتحليل الخطاب.....
159	تحليل الخطاب من منظور الدراسات الأسلوبية.....
159	ماهية الأسلوبية.....
166	الأسلوبية واللغة.....
183	الأسلوبية وتحليل الخطاب.....
188	الأسلوبية والنص الأدبي.....

الفصل الثالث

الاتساق والانسجام في سورة البقرة

191	توطئة.....
195	مفهوما الاتساق والانسجام.....
203	الانسجام في سورة البقرة.....
247	الاتساق في سورة البقرة.....
310	الخاتمة.....
312	ثبت المصادر والمراجع.....
335	فهرس الآيات القرآنية الكريمة.....
	فهرس الموضوعات